محمد المختار السوسي

معتقل الصحراء

الجزء الأول

المغرب

مذكـــــرات

عن

المعتقـــــل

المؤلف وهو يلقي احدى الخطب في محفل وطني

محمد المختار السوسي

معتقل الصحراء

الجزء الاول

المغـــرب

مقدمـــــة

هذا كتاب (معتقـل الصحـراء) وهو مجمـوع ضـــم بين دفتيه جزءيـــن :

ـ الجزء الاول : يتكون من قسمين : القسم الاول في (التنجداديـات) أي ما يتعلـق بمقامي فـي (تنجداد) ، والقسـم الثاني فـي (الكردوسيات) ، أي ما يتعلـق بمقامي في (أغبالـو نكردوس) ، وهـذا الجزء يضـم المنثور والمنظوم من المذكرات والقوافي التي ترسل بحسب الدواعي والبواعث .

ـ وأما الجزء الثاني فهو مجموع تراجم لمن ضمنى معهـم معتقـل (اغبالو نكرودس) من الاخـوان ، فقد كنت كتبت تراجمهم من أفواههـم هناك الا قليلين جدا استدركت تراجمهم بعد .

ثـم انني أطلب مـن المتصفح للقوافـي ان يغمـض كثيرا عما يراه مـن النهاءة في غالب ما يقـرأه ، خصوصا الاخوانيات ، لان المقصود هـــو التسجيـل لا غيـر ، فما لا ينشـرح له صـدر الاديب فقـد ينشرح لـه صدر المؤرخ ، وما كل وقت يقول الشاعر ما يريد ، ولو كان الشاعر مختارا دائما ، لكـان لا يقول الا ما يختـاره دائمـا .

كما أطلب منـه أيضا ان يعرف ان كل ما يكتب في ترجمة كل واحد مـن المترجمين فانمـا هو تسجيل مـن نفسه لنفسـه ، الا النظـرة الخاصة التي القيهـا أنا حواليـه ، فهي وحدهـا التـي اتحمـل مسؤوليتها ، وأمـا مطلق الاوصاف فمـا كان مني فانني أحسـن الظن بالجميع ، ومـا كان من صاحب

الترجمة بما وصف به نفسه فذلك فى عهدته ، على أنه لا ينبغى أن يحسب بعض الناس ان تذكر مساوىء البعض التى يعتقدها فيه فى الوقت الذى يحب هو لنفسه أن لا تذكر الا محاسنه ، فنحن فى الكتاب لا نقصد الا تسجيل الاسماء والأفكار ومنابع الوطنية والاعمال في الحقل الوطني ـ ولا علينا فيما وراء ذلك ـ أقول هذا لان البعض قد يقول ان فلانا رفع فلانا فوق قدره ، على حين أنه هو يرى أن الناس كلهم تحت قدره هو ، فما أحسن الانصاف ومسامحة الاشراف .

محمد المختار لطف الله به .

القسم الاول

التينجداديات

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(كيف اعتقلت الى الصحراء)

الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ، والصلاة والسلام على من ابتلى فصبر فكان قدوة الصابرين في الابتلاء ، وعلى آله وصحبه أسود الهيجاء ، والمستميتين في نشر دين الحق تحت الضغط والاكراه والجلاء .

أما بعد ، فقد سبق في الازل ان يذوق ايضا الرجال الوطنيون صدمة اخرى من يد الاستعمار ، فهاهم يتلقونها بصدور رحبة ، ورباطة جأش ، لعلمهم أن هذا ثمن ما يطلبونه من الحرية والاستقلال ، (ومن عرف ما طلب، هان عليه ما بذل) ، ولما كان الاستعمار تحتوش يده في أمثال هذه المواقف حتى لا يبقى ولا يذر ، فيسوق حتى الاذناب والاتباع ، ومن لا يعدون الا من مطلق جند هذا الحزب الوطني . كان الكاتب ممن شرفه الله بفضله فكان أحد المسوقين ، وان لم يكن الا ذنبا من أذناب الوطنيين وجنديا صغيرا بين الجنود العاملين تحت لوائهم ، (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون) .

أعمالي الخاصة قبل حوادث الاعتقال :

ألقيت عصاي في (مراكش) مختتم 1364 هـ اثر زوال كل العراقيل التي كانت تمنعني من سكن هذه المدينة منذ النفي الى (الخ) فأول ما فعلت ان افتتحت الدراسة في مسجد (باب دكالة) مع تلميذ واحد ، وهو السيد محمد ابن ادريس الجزولي من أبناء الحومة ، ثم تتابع الطلبة شيئا فشيئا فلم تنتصف سنة 1365 هـ حتى اجتمع حولي عشرات ، فأمعنت في الدروس المتنوعة معهم بكل اكباب ، ثم يسر الله الحج من فضله هذه السنة ، وقد كنت اتطلع الى أداء الفريضة ، فاغتنمت يوما مجلسا من الصالحين في

زاويتنا في الـغ حين كنت لا أزال فيها اواسط 1364 ه فطلبت منهم ان يدعـوا لـي بالتيسير . فقال لي سيدي محمد الزكـري هؤلاء الجالسون يعني مـؤذن الزاوية سيدي محمد بن بلعيد التناني ، وسيدي الحاج أحمد الايسدغاسي ، وسيدي محمد ابو الركيـك (1) ينفتحون ان أكرموا بشيء ، فأكرمتهم بطعمة لذيذة ، ثم في أواخر 1365 ه ، بينما أنا في موسم زاويتنا هناك في (الغ) اذا بالهاتف يحمل لـي من صاحبنا (مـولاي علي الرحماني) التاجر أن أتهيأ الى الحج ، والوقـت صيف ، فرجعت الـى (مراكش) فاذا بمكالمة عـلى يد الباشا الحاج التهامي مـن القصر الملكي بأمر الملك ان التحق بـ (الرباط) كعضو مـن الوفد الرسمي ، وهكذا تأدى واجب الحج من هذه الناحية ، بعدما عزم مولاي على الاداء ، فله نيته ، وكانـت حجة استوجبـت كل المتع ، وقد كنت كتبت رؤساء كل ما يتعلق بها ، فالله يسهـل في تخريجها ، وهناك قواف توجد في رحلة الاخ سيدي عبد الله المخطوطة (2) ، ثم لما رجعت أقبلت على التدريس بكل عزيمة في مسجد(باب دكالة) الا درسا أدبيا في (رسالة ابن زيدون) في الحادية عشرة ألقيـه في مسجد (ابن يوسف) ، يحضـره نجباء الطلبة من كل نـوع ، زيادة على نحو سبعين مـن أصحابنا الملازمين لكـل الدروس ، وقـد تكاثر الطلبة أيضـا حتى كانوا طبقا عن طبق ، فيعينني فيهـم النجباء من أصحابنا ، وهكذا استرجعت ما كان قبل النفي الى (الغ) ، ثم كانت حركة بناء (مدارس ابن دغوغ) فتألفت لجنة للاشراف فعينت رئيساً لها بالحاح ،وبموافقة

---

(1) من رجال (منية المتطلعين) .

(2) خرجت على الآلة مع الرحلة الحجازية لاخيه محمد الخليفة .

جلالة الملك ، فكان الحاج التهامي الكلاوي يراعيني وأراعي مقامه وأنفخ فيه روح التعالي ليكون خير معين ، فكان ذلك مما يسر تمام المشروع ، بعدما وقف الفرنسيون أمامه ـ كعادتهم ـ وقد كنت ألقي الخطب في المجتمعات بدار الباشا ، فيسوء ذلك المستعمرين ، هكذا لم أشعر أن مثلت ثانيا في هذا المشروع شبيه ما كان في (الجمعية الخيرية) وقد نشكى الفرنسيون مرارا بأنني سحرت الباشا حتى قام خير قيام في انجاز المشروع ، وهكذا مضت سنوات 1366 هـ و 1367 هـ والباشا يجتهد ان لا يفارق الجماعة وأعمال الوطنيين اذ ذاك مستاوقة مع نظرات العرش ، والجو ما بين محمد الخامس وبين الفرنسيين يسوء شيئا فشيئا ، فلمتصل 1369 هـ حتى أظلم الجو بين الفريقين ، وحين زار الملك (مراكش) أظهر الباشا كل اعتناء بالملك ضيافة وهدايا وأدبا وخضوعا ، حتى غار الفرنسيون ، فقد كان أهدى له نحو عشرة من الخيل في أمكنة متعددة خرج الى زيارتها كما أهدى له عقودا من الجواهر الممتازة ثمنها نحو 12 مليونا ، ثم لم يكد الملك يرجع حتى كاد الفرنسيون للباشا ليستميلوه ، ثم كانت سفرة الملك الى (فرنسة) وتأخر الباشا وراءه ، وقد كان الملك قدم فيما يفيد (المغرب) فلما جاء الباشا اعتنى الفرنسيون به فهيأوا له ما هيأوا من الاستقبالات .

(هذا) وقد كان الملك أرلسني في وفد الى (تونس) سنة 1367 هـ للحضور في مؤتمر الحرمين الشريفين ، تحت رئاسة ابن غبريط ، الذي قال لي بعدما تأنس بي ، أهكذا أنت ؟ فما كنت أظنك الا زعيما سياسيا منذ رأيت الفرنسيين يأبون كل الاباء ان تكون عضوا في الوفد والملك يلح حتى قال لهم : انني لا أوافق على ذهاب الوفد اذا لم يذهب فلان ، قال فلم يوافق الفرنسيون حتى ضمنتك ، وحين رأيتك الآن ساكن النامة ، تعجبت في غلطهم ، ثم ألقيت محاضرة عن محمد العالم ابن مولاي اسماعيل ، وقصيدة في تحية (الباي) ثم لم تكن مدارس ابن دغوغ الا واحدة مما أحنق علي الفرنسيين ، فقد تأسست مدرسة ابن ڤريبر بيد القائد العيادي ، وكذلك أخرى بناها ازاء داره في (مراكش) هي الآن تابعة للمعارف بعدما كانت تحت يدنا ، وطالما عاتبه

الفونسيون على الانصياع لي ولكنه يثبت، كما أسس القائد الحسين الكنتافي أخرى في (وادي نفيس) وحبس عليها ، وكادت تنجح لو لم يمت القائد ، وكذلك وجدت من الباشا الأكلاوي اصاخة في هذا الميدان ، فقال لي بعدما نجح العيادي في مدرسته ، انشا سنهيي، أربع مدارس واحدة في (درعة) واخرى في (تلوات) وأخرى في (تاليوين) وأخرى في (مسفيوة) فعليك أنت ان تشرف عليها وأن تحضر لها الاساتذة ، وعلي أنا النفقة ، والرجل فعال لما يقول مقدام لايهاب ، الا أن احد مسامير مائدته سمعه يذكر ذلك يوما ، فقال له : نصيحة يا سيدي لا تصغ لكلام فلان لئلا يفسد ما بينك وبين (فرنسة) ثم أتبع ذلك بكلام حتى أفسد نيته ، وكذلك كانت اعمالي كلها في المعارف ، ولا ريب أن الفرنسيين يعرفون كل شيء ، فحقدوا علي حقدا عظيما ، فبلغني كل ذلك فكنت أحسب حسابه ، ثم بدا في جو بعض طلبتي فكرة أخرى ترمي الى الالحاد صدرت من بعض الزعماء في (مراكش) فقمت وقعدت لذلك ، فصرت أتأفف من جو (مراكش) من هذه الامور كلها ، فصادف ذلك ابتداء قضية الأكلاوي مع الملك ، فكان ما كان من الانتقال من (الحمراء) الى (البيضاء) مع أن معيشتي في (الحمراء) كادت تستوفي كل ما يراد من المعيشة بفضل الله ، والتلاميذ متوافرون ، والنجابة ضاربة أطنابها في صفوفهم ، بعد ما درست معهم مختلف الفنون سنوات .

الانتقال الى البيضاء ثم الاعتقال :

في شهر ربيع الاول عام 1370 الموافق لشهر دجنبر 1950 م ، عيدت عيد المولد في دارنا بدرب الزاوية بـ (الرميلة) بباب دكالة بمراكش ، وقد تفرق الطلبة للعواشر ، فسافرت اثر يوم العيد الى (ابزو) فنزلت عند صاحبنا القاضي سيدي أحمد بن منصور ، فاذا به يخبرني بالحادث الجلل ألا وهو طرد باشا (مراكش) من القصر الملكي ، ولم اسمع ذلك في (مراكش) ، نفض الي خبر ما وقع ، فرأيته كأنه استصغر ذلك ، فقلت : كلا انه لحادث عظيم والغالب أن سيكون ما يكون ، لاني استحضرت موقف الباشا أخيرا حيث

تأخر في (باريز) حتى عقد مع الفرنسيين ، فقد كان حج في تلك السنة ، وحضر مع مولانا الملك المحبوب في المحادثة التي أجراها مع الفرنسيين في شأن حقوق (المغرب) ولم تكن (فرنسة) بعدما رأت تصميم جلالته على نيل حقوق المغرب بلباقته ، وتبائه ، وصراحته وقوله الفصل لتهدأ ، على عادتها من نسج المكائد ، فلا بد أن تهيىء من يفسد الجو حتى يكون عكرا على الملك ، وهل تعدم من تكون مصالحه مع مصالحها في قرن ؟ فها هو ذا الباشا يتأخر بعد الملك ما شاء الله في (باريس) وها هم فرنسيو (المغرب) هيئوا استقبالات واحتفالات يوم رجع ، في (سوق الاربعاء) وفي حين دخوله (البيضاء) حيث أوعز سرا الى أدناب الجواسيس ان يلتف الجنوبيون كلهم حوله ، فتكون منهم – من غير ان يعرفوا المقصود - ذيل عظيم مستطيل من عشرات السيارات بل مئات من (عين السبع) بضاحية (الدار البيضاء) الى داره في شارع (أنفا) بداخلها ، وأما في يوم دخوله الى (مراكش) فشيء عجيب لم يقع مثله قط في استقباله ، فقد امتد المستقبلون من قنطرة (وادي تانسيفت) الى باب داره بداخل المدينة فلم يبق ذو سيارة ولا امرأة بعلمها الخاص الا امتلأ بهما ما قبل (گليز) الى داخل المدينة ، والناس سماطان على جانبي الطريق ، فدخل في أبهته المعروفة متى أراد اظهار الأبهة ، وهو أعرف الناس لتمثيل هذا الدور متى احتيج اليه ، كما أنه في وقت التواضع يعرف كيف يتواضع حتى لا تحس بأنه ذلك الرجل الذي له ماله من العظمة .

وقد كنت انا في داري اذ ذاك ، فدخل علي من حضر الاستقبال فذكر فيما ذكر ان الباشا مر بأعلام السبعة رجال ، فلم يقف ليتأدب معها كالعادة ، قال : فسمعت شيخا مسنا كان في عرض الواقفين يقول لانسان ازاءه : ان هذا الرجل الذي لم يتأدب مع أعلام السبعة رجال سيكون هذا اليوم آخر أيام عزه ، وهذا من العجب العجاب ، فقد ينطق الله بعض الناس بما لا يحسبه كثير من الناس قريب الوقوع .

لم يمر عـلى هذا كله الا نحو عشريـن يوما ، فاذا بالعيد قـد وصل واذا بالرجل يقف أمام الملك ذلك الموقف المعلوم ، ويتجاسر أن يصدر الاوامـر الى جلالته بنفض يده من الوطنيين ، ولا شك ان الملك هو المعروف بالتأنـي والرصانة ، وسياسـة الامور باللطافة والحكمـة ، لم يكن ليدفع في صدر هذا الرجل العظيم عن سابـق تصميم ، وأيس ذلـك من خلقه المعتاد ، ولكن الله فعل به ذلك لامـر يريده تعالـى ويعلم عاقبتـه ، (وما رميت اذ رميـت ولكن الله رمى) ثم ان الصدر ، الحاج محمد المقري الذي كان يمكن أن يداوي ذلك قبل ان يستفحـل ويستشرى داؤه لم يحرك فـي رتق الفتق بسرعة ، لما كان من المنافره سرا بينه وبين الباشا مما يعرفه المطلعون ، بل كان من الشامتين به (حدثني بعض خلصاء المقري أنه نبهه ذلك النهار على استدراك الامر فقال له : دع الاگـلاوي وابن يوسف اللذيـن لا يتبعان مـا اقول لهما وانصح به فكلاهما كفر صنيعي يذوقان بينهمـا ما يذوقان) ، ولا ريب أن الحادثة فتحت للفرنسيين الباب الذي ينتظرونه فانتهزوها فرصة ان لم يكن كل ذلك مبيتا من قبـــل .

بينت ذلك للقاضي الأبزيـوي ، ثم قلت لـه : ان لهذا الامر الجلل ما بعده والمستقبل كشاف ، ولم ينشب الجو في اسبوع العيد ان صار يكفهر فقـد شرع الفرنسيون يوعزون الى القواد ان يزوروا الاگـلاوي بـ (مراكش) فصاروا فرادى ينتابونه،فصارت الشبكة تحاك،ففي هذا الجو ثار ثائري أنا وقد أيقنت بأن دورا جديدا سيمثل في (المغرب) فقلت ان كان لابد من اعتقال فليكن الى غير الغ ، وقد كنت رأيت فيما يرى النائم قبل الحادثة بأسبوع أنني خرجت مع مولانا الملك من دار بالبادية ، على نية أن نزور قبور شهداء في محل ما ، وقد كانت العادة فـي بلاد (سوس) ان نحترم المقابـر ، حتى ان الناس لا يلبسون فيها النعال ، – وقد ورد ما يؤيد ذلك في الحديث – فتعجبت حين رأيت الملك أزال نعليه من باب الدار التي خرجنا منها تأدبا مع القبور مـن بعيد ، ثم أزلت أنـا ايضاً نعلي اتباعا لفعله ، فصرنا نمشي ، الملك أمام ،

وانا اتبعه ، وعبد له من ورائي ، وعلى جلالته جبة وسلهام من صوف نقي ، لبسة التواضع ، ثم مررنا منحدرين من ثنية بمسجد ، فدخل الملك اليه فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج منه ولا أدري أصليت أنا أم لا ؟ نتسلقنا سفح ثنية وراء واد ، فاذا بقبور الشهداء ، فوقفنا على قبر مسطح كالقبور التي أعرفها في مقبرة الزعفران عند باب (العلو) بـ (الرباط) ، ثم بعد لأي قام الملك فاستند الى جدار ، فاستدرنا به ، ونحن نحو اثني عشر ، فالتفت الى الشاعر الكبير سيدي عبد الرحمان بن شيخنا ابي شعيب الدكالي فامره ان ينشد قصيدة ، فاذا به ينشد قصيدة من نوع التواشيح الاندلسية ، وذكر في مختتمها ان الله تعالى سيذل (فرنسة) حتى تكون في قعر البئر ونحن في اعلى البئر فنطل عليها من الأعلى ، فمد المنشد عنقه كأنما يطل حقيقة على البئر ، وفي عنقه طول نحو اربع اذرع ، فضحك الملك من ذلك الوصف ، فأمره باعادة الانشاد ، فاعاده المنشد ، فمد ايضا عنقه الطويل فامتلأ الملك بشرا وحبورا ، هكذا كانت هذه الرؤيا العجيبة التي تطلب الله تعالى ان يحققها بفضله فيذل العدو حتى يكون في القعر ونحن نطل عليه ، وقد قصصتها اذ ذاك على أصحابي ثم لما مضى ما مضى ، كنت كلما وقفت على قبر ابن عبد الله ازاء (العلو) وهو الذي كان يحاول الفتك بابن عرفة أتذكر هذه الرؤيا وأرى قبره والحائط الذي ازاءه هو تعبير رؤياي ، وسبحان الله الذي يري الارواح ما يريد ، وبالتأثر بهذه الرؤيا ، وبما رأيته يحاك في (مراكش) عزمت على الهجرة لاعلن من أول يوم أنني من شيعة ملكي لا من شيعة غيره ، ولعلي بذلك افتح الباب لغيري وقد توقعت أنه سيأتي يوم لا يكون فيه لمن في (مراكش) الا ان يختار : اما الملك واما غيره ، فقلت في نفسي :

رأى الامر يفضي الى آخر ... فصير آخره أولا

صرت أولا أتردد على (البيضاء) ثم أقلعت أخيرا في جمادى الثانية بأعلي حين تهيأت لي دار السكنى ، وفي آخر يوم غادرت فيه (الحمراء) سأل عني

الاكـلاوي فقيل لـــه انه ارتحل ، فقال : مكث الـــى الوقت الذي نحتاج اليه فيه فأفلت من أيدينا ؟ وكذلك الجنرال (دوتفيل) حاكم ناحية (مراكش) أثـــر فيه ارتحالي كثيرا حين ذهبت هذا المذهب ، لانه يعرف تأثير ذلك في الاوساط ، وقد روج حديثي مع كثيرين يعرف اتصالـــي بهم ، وهكذا صرت بيضاويـــا بعدما كنت حمراويا ، وكتـــب لي أن أمثل هذا الـــدور الذي دفعتني اليه الاقدار وان لم أكن الا مطلق فرد من أفراد الشعب لا في العير ولا في النفير ، ورحم الله من عرف قدره ، ولم يجاوز طوره .

في الدراسة بالبيضاء :

لم أكد استقر بـــ (البيضاء) حتى راجعت عملي في التعليم العام ، فالتـــف أيضا حولي طلبة سرعان ما وصلوا الـــى 70 زيادة عن صغار ، وقد اتخذت أولا مركز تدريسي المسجد المحمدي ، ثم استقررت في المسجد الذي بناه الفاسيون ازاء (درب ابن العالية) حيث أقطن في دار اكتراها لي الحاج ابراهيم التملي التاجر المشهور (1) ، وقد ألقي فيها بعض الدروس في الاوقات التي لا أذهب فيها الى المسجد .

استدعاءات من الاستعلامات :

لم يمض علي الا شهور بعد الاستقرار ، والاشتغال بالتدريس العام فـــي المساجد ، خصوصا بين العشاءين حين يجتمع الجم الغفير من الناس حتى يكتـــظ المسجد . لـــم يمض عنـــي بعد ذلـــك الا مقدار ما يأتـــي الجواسيـــس ويذهبون ، ثم وصلني يوما استدعاء ، فذهبت فسئلت أسئلة عادية ، وفي مرة أخرى اعتاصت هذه الاسئلة واشتبكـــت ، وكأنهم يريدون بذلك من طريق غير

---

(1) توفي هذا التاجـــر الكريـــم سنة 1381 هـ .

مباشر أن أنكف عن نشاطي في التوجيه العام ، ولا ريب أنهم يعلمون كيف يكبر الناس ويستعظمون هجرتي من بلد يحكمه من هو ضد الملك ، بل صرت احدى المتكئات التي يتكىء عليها بعض المهاجرين من طلبة (مراكش) الذين بالغ من في(مراكش) في اهانتهم حين جلد كثيرين منهم،حتى مات احدهم بعدما بلغت به السياط مبلغها ، فيما ذكرلنا ، ولكنني وأنا أعرف ما أصنع ماض في شأني ، عازم على أداء المهمة التي استعطت أن أنفع بها شعبي منذ ان ملكت امر نفسي في (مراكش) ، هذا الشعب الذي رفع من شأني وكساني وأطعمني وأسكنني ، بل عيأ لي في (البيضاء) أن أبني دارا أملكها وهي الدار الوحيدة التي دخلت تحت ملكي في ماضي عمري ، وذلك بعد نحو سنة في هجرتي هذه، أفلا يهتم مثلي بمثل هذا الشعب الكريم . فليس عندي ما أجزيه به الا التوجيه الصحيح الى دينه ، والى الهداية الى الصراط المستقيم في كل شؤونه ، لانني محروم من أدوات الزعامة وقيادة السياسة ، فلم يبق الا أن أكون طويلبا يؤدي ما استطاع مهمة الطلبة .

آوتني (البيضاء) واتسعت فيها ذات يدي والحمد لله ، وتكونت حولي هالة من الهالات التي يكونها هذا الشعب المسلم حول علماء دينه ، ثم بينما انا ليلة فوق الكرسي في درس صحيح البخاري بين العشاءين في مسجد الفاسيين المذكور ، الواقع ازاء (قيسارية الحفاري) ، والجمع حافل ، والمسجد مكتظ ، اذا بمؤذن المسجد يتخطى صفوف الناس المتراصة حتى ناولني ورقة عرفت من النظرة الاولى أنها استدعاء آخر من مراقبة الناحية، لاحضر بها في الغد على الساعة التاسعة صباحا ، فتجلدت حتى أتممت الدرس ، ثم بعد ذلك أخبرني المؤذن أن الجاسوس الشهير المسمى(العربي الخريبكي) هو الذي الزمه ان يوصل الي ورقة الاستدعاء على تلك الحالة في بهرة الناس ، وفي الغد أحضر الي الاخ الوطني المخلص المضحي سيدي (محمد هرواش البعمراني) أحد الوطنيين المغامرين سيارته ، وحملني عليها الى مكان الاستدعاء ، ولما دخلت بقي في الانتظار من الساعة التاسعة الى ما بعد منتصف النهار ، حتى كدت أيأس ،

كما انتظرت رفيقا حتى كاد ييأس ايضا ، فقد قضيت تلك المدة ما بين وقفة الانتظار حيث لا مقعد ولا مستراح ، وبين جلوس الاستنطاق الدقيق ما هي وما لونها ؟ لم غـادرت (مراكش) ؟ وما هو عملـك هنا ؟ وماذا تقول للناس الذين تجمعهم حولك لتخدر اعصابهم ؟ ومن أين تعيش ؟ ولماذا لم تكن مثل الفقيه سيدي (أحمد أكـرام) المرضي عنه من قبل الحكومة ؟ وقد كان الجاسوس (العربي الخريبكي) هو الذي يتولى الاستنطاق بكل وقاحة بمحضر الجاسوس الآخر الشهير (محمد العبدي) ، وأما القبطان الفرنسي الذي كان حاضرا وهو شاب فلم يتكلم كثيرا ، وقد اجبت عـن هذه الاسئلة وغيرها بأجوبة متضحة جريئة على عادتي في أمثال هذه المواقف ، وقد وجدت أن (العربي الخريبكي) كان يعرفني من (مراكش) وأنه كان يتدس دائما بين الناس في دروسي ، وهو بجبته ولحيته الكثة ، وعمامته المكورة وجبهته المطبوعة بأثر السجود فـــلا أنتبه اليه بين أمثاله الكثيرين ، وكذلـك (محمد العبدي والجاسوس الشهير أيضا (العربـــي المسكيني) (1) ، وقـد أخبرنـــي انسان مرة أن أحـد هذين الجاسوسين الاخيرين حثه على مجالستي ومعاشرتي ليطلـــع على كل من اتصل بهم ، وعلى جميع أحوالي حتـى لا يغيب منها شيء عن الاستعلامات (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ، هذا كله يفعل مع مثلي الذي ليس له لا نقير ولا قطمير الا في ميادين التعليم العام ، ولكن الفرنسيين أعرف بما يهددهم ويجتث ما يستنبتون .

---

(1) قـد قتـل هؤلاء الثلاثة بالتتابع بمسدسـات الابطال الفدائيين حياهم الله وجزاهم الجنة مـا ضحوا ، ومن الغريب ان أوتـي الى جثة العبدي بالكلب البوليسي ليشمها كي يعرف قاتله ، ولكن الكلب لم يزد على ان رفع رجله حتى بال على وجهه ، ثم ربض حوله ، نعوذ بالله من المصيبة في الايمان.

الغيـوم تتكاثـف :

مرت الاعيب الجنـرال جوان (مقيم فرنسـة العام بالمغرب) تلك الألاعيب التي منهـا أنه غر فرسـان الاطلسيين بمـا كذبه عليهم فزحفـوا في زعمه الى (الرباط) ليظهروا استنكارهم لاعمال ملكهم المحبوب ، وان كانت الحقيقـة انهم أوتي بهم بنية التسليم على الملك او مرغمين دون ان يعرفوا لماذا ، وقد ظهر مـن الشعـب المغربي أنه صـار يلتف تلقائيـا التفافا عجيبا حول ملكـه المحبوب ، كما أن جلالـة الملك حفظه الله عرف كيـف يقود السفينة بحكمة وثبات بين تلك الامواج ، وتحت تلك العواصف ، الى أن كان ما كان مما لست الآن بصدد تفصيله في هذه العجالة .

وأما (الدار البيضاء) فقد اكتظت باللاجئين من جميع النواحي خصوصا من (مراكش) ، وقد يئس الفرنسيون من أهل المدن ، فردوا وجهتهم الى الاطلـس والى من فيه من بعض القواد الزاعمين أنهم يقودون حركة بربرية سياسية ضد العرب وضد العرش ، أو يراسون غيرة دينية ضد الالحاد والشيوعية او التنطع في الديـن .

وفي جنب هذه الحركة تتكون حركة اخرى من الطرقيين بزعامة بعـض ابناء المشايخ الكبار او المتمشيخين كـ (ادريس بن عبد العالي الرباطي) (1) صاحب جريدة (الحرية) وأمثاله الذين يرسلهم الاستعمار الى جهات القطـر ويوصي عليهم ،فتؤدى لهم الاتاوات،والحقيقة ان غالب هؤلاء كغيرهم مسوقون مخدوعون رغم أنفهـم ، ومن ذا يستطيـع ان يجرؤ اذ ذاك لقـول الحق الا من وفقه الله وأزاح الغشاوة عن قلبه .

وفي أثناء ذلك ، أخذ المراقبـون الفـرنسيـون يوعزون الى القواد ، بل

---

(1) سقط أيضا تحت رصاص المكافحين السريين في (البيضاء) .

يأمرونهم أمرا أن يزوروا من مي (مراكش) تشجيعا له على المضي في المهمة المنوط به تزعمها ، هـذا وقد كان لذوي الاغراض ممـن لا يهمهم لا الفرنسيون ولا نصرة العرش ، سعي حثيث تحت هذه الحركة ، لنيل اغراضهم الخاصه ، ويسوءنا أن نقول أن هؤلاء كثيرون جدا في صفوف المناوئين للملك ولحزب الاستقلال والله تعالى لا تخفى عنه خافية،(والله متم نوره ولو كره الكافرون).

يـوم فـرحـات حـشـاد الـحاصـد :

طرق آذاننـا من شهور أن الاقامـة العامة صارت تحـوك حبالة جديـدة للايقاع بالمنتمين الى حزب الاستقلال،على عكس ما كان يريده الجنرال (جوان)، اذ كان برنامجه مؤسسا على أن يوقـع اولا بالملك ، ثم بعد ذلك يسهل عليه الايقاع بالوطنيين ، ففعل ما فعل مما أداه أخيرا الى أن لم يجد الا ان يطلـب من جلالة الملك أن يتبرأ من حزب الاستقلال ، فلم يطعه الملك ـ وحاشاه وهو الموفق بعناية الله ـ والآن تريد الاقامة العامة أن تقلب القضية فتوقع بالحزب أولا عسى ان يضعف الملـك فينفتح الطريـق الى العرش ، ولذلك قيل لنا ان جميع الملفات تراجع من جديد ليحصد الوطنيون حصدة واحدة في أول فرصة.

كنت انا أيضا المختار المدرس في المساجد ، المندغم في التعليم ، أنـا الـذي لا أكون فـي السياسيين الا تابعـا منقادا ، وجنديـا مطيعا ، مخلصا لمبادىء الدين اولا ، ثم لمبادىء الحزب الحق ثانيا ، كنت انا أسمع كل هذا ، وأشعر بأن الحلقة تضيق شيئا فشيئا ، فأعدىء نفسي بأن الاعتقـال هنا مع الاخوان خير مما كنت فيه في (الغ) في المنفى الاول ، فبقيت أنتظر مفوضا أمري الى ربي الذي ما تعودت منه الا الجميل .

جاء يـوم الاضراب من أجل اغتيال الزعيم النقابـي التونسي (فرحات حشاد) وكان ذلك يوم الاحد ، وفي يوم الاثنين ابتدأت الاعتقالات ، فاعتقل الاخ المجاهد السيد (الهاشمي الفيلالي) ونظراؤه بـ (الدار البيضاء) ثـم توالت الاعتقالات في جميع نواحي (المغرب) .

المختـــار يعتقـــل بـــدوره :

في صبيحة يـوم الاربعاء ، تهيأت لمثل مـا أصاب الاخوان ، وأنا موقن أنني أحدهم ، وقديما قيل :

من حلقت لحيـــة جـار لـــه فليسكب المـــاء على لحيتـه

أصبحت اوصيمن أريد توصيته على الاهل والصبيانالذين خلفتهم ورائي كزغب القطا ، وقد كنت آخذ من كراء الدار التي بنيتها في سيدي معروف كـراء يقوم به أود العائلـة ، فذهبت بعد الغداء ، فوصلـت بين المكترين وبين من خلفته وصيا على الدار ، ثم مررت بالدار ، فلبست جبة غليظة ووضعت فوقي سلهاما غليظا ، ودفعت للسيدة كداشة لا أريد أن أصاحبها معي وذلك من غير أن أقول لها شيئاً عـلى عادتي في أمثال هذه المواقـف ، حفظاً لها مما يحصل للعارف بالامور من الهموم المخيمة من توقع الحوادث قبل وقوعها ، ثم خرجت مع التلميذ النجيب سيدى (أحمد المسفيوي) من (ءال النيمس) الذى ما كان يفارقنـي اذ ذاك ، فيمسايرنـي دائمـا حيـث أذهـب ، فمررنـا بزقـاق فـاذا بالجاسوس (المسكيني) المتقدم الذكر ، وكان يثافنني ويتحيا لي فقال : انني اليوم في رخصة ، وليـس عندي ادنى خبر عما يقـع ، ولا ادري أصدق ام كان من الكاذبين،ثم تجاوزناه،فصرت أثرثر بكل رباطة جأش مع صاحبي المسفيوي واقول له : أرأيت أننا نعيش الآن في حوادث خطيرة سيكون لها فيما بعد اليوم صدى عميق في التاريخ ، فربما تستدعى بعد ثلاثين سنة لتلقى محاضرة عما يقع الآن في هذا الطور الخطير الذي يمر به (المغرب) ، فاستحضر انك كنتمع (المختار) فشاهدت منـــه الممازحة وعدم المبالاة بما يمـــوج حواليه ، وقد استسلم لما يكون ، حتى ان وجهه كما ترى ليقطر بشرا ، فهكذا صرت أداعبه حتى وصلنا دار الاخ الاستاذ (الحمداوي) في درب (مارتيني) زنقة (التسولي)

فهناك فارقت صاحبي (المسفيوي) (1) ، فدخلت الى الاستاذ (الحمداوي) وقد كنت زرته صباحاً في مدرسته حيث ارسلت كلمة هاتفية الى أخي (عبد الرحمان) (2) بـ (مراكش) ليحضر عند الاولاد في أول يوم يصدمون فيه بابتعاد والدهم تهدئة لهم ، وعسى ان يروح عليهم ليهدأ الاهل قليلا ، وان كان في الله وحده كفاية (أليس الله بكاف عبده) ، ثم اننا انا والاستاذ جلسنا نتساءل عما نتوقعه معا ، وقد قربت صلاة العصر ، ونحن في احدى غرف الدار العليا ، وبين ايدينا صينية الاتاي ، فاذا بجرس الباب يرن فاطل مطل فاذا بالبوليس ، فحقت الحاقة ، ونزل ما كان متوقعاً ، وماله من دافع .

طلع البوليس يفتش نواحي الدار ، فقيل لي انخنس واخرج ، فقلت كلا ليس الانخناس لي بخلق ، على أن ذلك لا يمكن ، لان بعض البوليس في باب الدار ولا معنى لذلك ، فلما وصل البوليس بالتفتيش الى الغرفة التي أنا فيها ، اذا بالمراقب الذي كان استنطقني من أيام ، وقد عرفني وعرف ما بيني وبين الاخ (الحمداوي) ، فقال لي وقد وقعت عينه علي : انك ايضا مطلوب ، فقلت له ها أنذا ، ثم لما تم تفتيش الدار خرجوا بنا فوضعت يدي على كتاب (داروين في النشوء والارتقاء) ، ألفه بعض المصريين ، وهو ضخم ، فوضعته في يدي ، فركبنا مع البوليس الى مركز الاستعلامات ، وبعد دخولنا بقليل قيل اننا سنذهب معك الى دارك فقلت هيا بنا ، وأنا قد كنت احتطت فابعدت عني كل ما أخاف عليه،ولا أخاف الا على مسودات مخطوطات مؤلفاتي فدخلنا دارنا ، فحين راى الجيران سيارة البوليس امام باب داري تجمهروا في ناحيتي الدرب تجمهرا عظيما ، ففتشت الدار تفتيشا ليس بمتتبع ، وقد كانت الخادم خديجة وهي امرأة عجوز ، تدور بهم هي وولدي سعيد الصغير ، ثم أتاني سعيد باللبدة وبورقة خمسة آلاف فرنك ، ثم غادرنا الدار وتركتها وما فيها في يد

---

(1) هذا السيد الجليل اليوم أستاذ في احدى مدارس (مراكش) .

(2) صار قاضيا ثم عضوا في الاستيناف في (أكادير) حيث ذهب به الزلزال رحمه الله وقد كان وطنيا غيورا .

الـذي لا تخيب فيه الظنون، ولا تضيـع عنده الودائع (1) ، ثـم ركبنا سيارة البوليـس بين تلـك الجماهير التـي لم تفتح الطريـق الا تحت ضغـط أوامر البوليس ، وقد أطللت على الجماهير بوجه تتوسطه ابتسامة ، (وقد ذكرت لي هذه الابتسامة بعد الرجوع) .

وتجلـدي للشامتيـن اريهـم اني لريب الدهـر لا اتضعضع

ثم بعد دخولنا المركز ، ميل بنا الى حيث تؤخذ حالتنا المدنية ، وهناك رأيت الاخ (الهاشمي الغيلاني) وقد كان أطلق أمس ثم أعيد اليوم ، وعند المغرب بالضبـط ، أخرجنا ثلاثتنا أنا والاستـاذ (الحمداوي) والاخ السيد (محمـد الشرايبي الفاسي) التاجر ، فاركبنا سيارة جيب ، ثم أتت الجامعات خلاخـل في الأيدي ، فكنت في وسط الاخوين فضمت احدى يدي الى الاخ (الحمداوي) والاخرى الى يد الاخ (الشرايبي) ، فكنت في الوسط ولكن الوسط الذي لا يلغى عند الانتاج على حدتعبير المناطقة ـ فافهموا يا من قرأوا السلم من علمائنـا القدمـاء ، وأمـا العصريون فأنـي يفهمون هـذه النكتة ، (ووسط يلغى لـدى الانتـــاج) ـ .

---

(1) فوالله ما اضاع الله الوديعة ، فقد حفظ الاهل وصان حرمتهم ، وفتح لهم ابوابا شتى من الرزق حتى انني وجدت عند الاهل يوم رجوعي مما بقي عن النفقة ما اشتريت به دارا أخرى ـ وهي الثالثة زيادة على اثنتين كانتا عندي قبل الاعتقال ـ ولا ريب ان هذا واقع لغالب اخواني،فالحمد لله والشكر له ، وليجز الله الشعب بخيـر ، فقد قـام بكفاحين كفـاح السلاح وكفاح اعانة اســـر المعتقلين .

الـى تافيلالـت :

بدأت السيارة تقطف بنا ، وأنا التفت الى الاخ (الحمداوي) وأقول له : الحمد لله الذي هيأ لنا بفضله ان تسير فينا الحوادث كما تسير في المصلحين والانبياء ، والساعين في المصلحة العامة ، ثم القيت على لساني هذه الآيـــة (وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد) ، ثم بعد تكلمنا قليلا التفت الينا الحارسان الفرنسيان اللذان يركبان معنا فأمرانا بالصموت،وقد كنت أرى شباناً أقوياء كثيرين من الفرنسيين عند ركوبنا للسيارة يتموجون حولنا بكل قوة ، فقلت : هكذا كان شباب العرب حين كانوا يحتلون بلاد الفرس والروم والقبط في أول الاسلام ، فهل نعيش حتى يسترجع العرب والمسلمون قوتهم ، فينشطون هذا النشاط بكل عزة وقوة ، (نعم عشنا حتى رأينا ذلك والحمد لله في أول استقلالنا) .

ثم لما سارت السيارة صرنا نتتبع وجهتها بأعيننا ، والظلمة تســدل ذيولها وأضواء المصابيح تشع عن يمين وعن شمال ، ثم بعد لأي ادركنا اننـا الى صوب (الرباط) وبعد نزولنا في (الـرباط) أطلقوا أيدينا فأزحنا عنا حاجة الانسان ، وصلى من معي العصر والمغرب ، وقد كنت أنا صليت العصر في السيارة ايماء في الطريق ، لانني كنت على وضوء ، وذلك للمحافظة عـــلى الوقت ـ على عادتي والحمد لله ـ ثم بعد نحو ثلث ساعة في مركز الاستعلامات (بالرباط) خرجوا بنا في سيارة لينة المقاعد مما يعتاد ركوبه ، وليســت بسيارة جيب اليابسة المقاعد ، وقد كنا سألنا عن الخبز فلم نتوصل الى شرائه في (الرباط) ، كذلـــك سرنا في طريق لا ندري الى أين ، وقد تلويت فـــي سلهامي الغليظ ،وغطيت وجهي والفصل فصل برودة ، فاذا بنا الى (مكناس) وقد نمت ما بين (الربـــاط) و (مكنـــاس) (1) فلم استيقـــظ الا عند الوصول .

---

(1) حدثني من أخبره من كان يسوق بنا اذ ذاك قال : عجبا لفقيه بين المعتقلين نعس نعسـة مستمرة من (الربـــاط) الى (مكناس) كأنه لا يـــدري الى اين ذهـــب بـــه .

فدخلنا الى محل وسط ، فيه كراسي من عود ، فوجدنا الاخ أبا المزايا سيدي (ابراهيم الكتاني) والاخ السيد (أحمد مكوار) والاستاذ سيدي (محمد ملين) ، وقد استرعى نظري منه أنه لم يلبس الا لباسا رقيقا ، مع ان الوقت وقت صبارة البرد ، فلعلهم أزعجوه عن اللباس ، أو لم يكن مستعدا لهذا الحادث كما استعد له من يعرفون انهم لا يفلتون منه .

مكثنا هناك في صموت الا بعض الهمسات ، لان من عادة الحارسين ان لا يدعوا التكلم ليؤثر الصمت في الأعصاب لتنهار ، وقد طلبنا ماء الشراب فلم نؤت به ، الا اذا تمكن الانسان ان يشرب متى ذهب الى المستراح الذي ابيح لنا التردد اليه ، وقد طلبنا القهوة والخبز ، وبعد ان وعدنا بهما كان الرفض هو الجواب الاخير .

وللمستعمرين وان آلانوا قلوب كالحجارة لا ترق

جلس كل واحد في محله ، وقد ازيلت عنا الجامعات التي ردت الى ايدينا عند خروجنا من (الرباط) فسهر الجميع كذلك الا أنا ، فانني ايضاً نائم ما شاء الله ، وقد طبت نفسا بما كنت أتوقعه ، فعمدت الى مقدم الكرسي الذي نجلس عليه،وهو من نوع كراسي التلاميذ في الاقسام المدرسية فوضعت جبهتي على المرتفع أمامه ، ونمت مستريحا بدفء سلهامي وجبتي الغليظتين ، وقد فوضت واستسلمت ، فهدأ باطني واطمأننت .

وفي نحو الثانية بعد منتصف الليل ، أمرنا بالقيام ، فجمعنا اثنين اثنين في جامعة ، يد هذا الى يد هذا ، فكان من نصيبي شاب من (مكناس) ذكر لي ان اسمه (فضول) وأنه أخذ من (القرويين) ، فركبنا ثلاث سيارات ونحن ثلاثة عشر كما حسبتهم حين طلع النهار ، وقد كان الاخ أبو المزايا (ابراهيم الكتاني) في سيارتنا ، والسيد (احمد مكوار) ومعه حقيبة ملأها

حلويات ، وهو الذي لهثنا (1) لما طلع النهار ، ثم سارت القافلة بنا الى جهة لا ندري ما هي ، الى ان عرفنا بعد أنها جهة (تافيلالت) فطلع علينا الفجر قبل وصولنا (ميدات) كما حدثوني باسم المدينة ولم اكن اعرفها قبل اليوم ، ثم لم نتجاوزها الا بقليل حتى طلعت الشمس ، فوقفت القافلة فأمرنا بالنزول للاستراحة قليلا فازيلت الجامعات من الايدي ، فقضى كل منا حاجة الانسان ، وصلى من يصلي وأما أنا فقد استحضرت الصلاة حتى طلعت الشمس ، فعددتها ساقطة عني لأني لم أجد في الوقت متوضا ولا متيمما ولم أنس الصلاة ، وهذا هو مذهب مالك الصحيح – وتسقط صلاة وقضاؤها بعدم ماء وصعيد – كما في (خليل) الذي يعرفه الرجعيون أمثالنا ، ثم بعد نحو ثلث ساعة اعيدت الجامعات الى الايدي ، وكل راكب الى محله ، فذهبنا قدماً بسير واحد متصل وامامنا وخلفنا سيارات جيب فيها الحرس ومعهم آلات الاتصال مع المراكز ، الى أن اطللنا على جبل دخلنا في غار تحته ، ثم سرنا ننحدر وننحدر ، حتى وصلنا (قصر السوق) عند الزوال ، فوجدنا بعد خروجنا من ذلك الجبل بسيط (تافيلالت) الأفيح ، بنخيله الكثير ، وقد كان الاخ ابو المزايا يحدثني أحيانا بأحاديث بعضها عن مولاي (علي بن الطاهر السجلماسي) المشهور ، يحكى عنه بوساطة شيخنا سيدي (محمد بن العربي العلوي) بعض كرامات ، ونعجب حين يقر كراماته هو وحده ، ثم لما دخلنا (قصر السوق) وجدنا جدرانا حمراء وجوا صافيا ، وسماء زرقاء ، فعراني ابتهاج بهذا المنظر المبهج في هذا الفصل فتفاءلت خيرا ، ثم لمحنا سيارات جيب كثيرة مصطفة في جانب المركز ، فلم ندر المقصود بها .

أمرنا بالنزول ، ثم وقفنا صفا واحدا ، وقد بلغ بنا الاعياء والسغب والسهر مبلغا عظيما ، ولم يطل بنا الوقت حتى استدعينا لنمثل امام الجنرال الفرنسي رئيس ناحية (تافيلالت) ، فاصطففنا أمامه ونحن

---

(1) اللهنة بضم فسكون : فطور الصباح .

بجامعاتنا ، فقال لنا كلاما لينا لطيفا ، محصله : انكم هنا معتقلون اعتقالا مدنيا ، وسيذهب كل واحد منكم الى مركز خاص ، فيجد مؤونته المعينة له من صندوق الحكومة وفراشه ، ومن كانت له دراهم فليودعها عند رئيس المكتب ليأخذ منها ما يشاء ، ثم قال ان الحكومة لا تقصد تعذيب أحد منكم وانما هذا سجن سياسي ، هكذا قيل لي لانه يتكلم بالفرنسية ، وقد قال له احدنا : اننا نريد ان لا نمنع من الكتب ، فقال كلا لا تمنع عنكم ، فهكذا عرفنا الى اين نحن سائرون ، وكنا على بصيرة في مصيرنا ، ثم خرجنا من عنده فاعطى كل واحد منا خبزة فرنجية مستطيلة (كوميرة) يحملها في يده كأنها عصا غليظة ، ثم ازيلت عنا الجامعات التي لم نرها بعد ، فقضينا ايضاً حاجة الانسان وشربنا ، وصار كل واحد يعض في خبزه القفار بلذة ، لأن الجوع افضل الأدم .

الى تنجداد :

بعدما استرحنا نحو نصف ساعة اثر الخروج من عند الجنرال ، وقف مناد ينادي : اين فلان ؟ فيتقدم فيدفعه لمن جاء يتسلمه من المكتب الذي سيذهب اليه ، وهكذا ، وحين نودي باسمي تقدمت فتسلمني فسيان (ضابط صغير) جاء من مركز (تنجداد) ، ثم ذهب بي الى سيارة جيب من تلك السيارات المصطفة المذكورة ، فوجدت في السيارة عونين بسلاحهما وهما مسلمان ، ثم ذهب الفسيان ليقضي حاجته ، فانفردت بهما ، ففاتحاني بملاطفة ، فسألاني من أنا ، فذكرت لهما ما يريدان معرفته عني ، ثم سمعتهما يشتمان الفرنسيين بحرارة على ما يفعلون بالمسلمين الوطنيين الأحرار،وقد امراني حين يكلماني أن لا التفت اليهما خوف أن يلمح الفسيان ذلك من بعيد ، وقد سمعتهما يذكران قضية (فرحات حشاد) التونسي مما يدل على أنهما كانا يتتبعان الاخبار ، وما يجرى في (المغرب) وغيره ، فقلت في نفسي هذه طليعة خير ولعلي سأعيش مع امثال هؤلاء الحراس المتيقظين .

جاء الفسيان ، وكان شاباً جلدا قوياً فساق السيارة سوق العنف الشديد ، والطريق غير مرصفة ، فصارت تقلقل بنا من هناك نحو ساعتين ، حتى وصلنا واديا فيه نخيل كثير ، وفيه أبنية متسعة ، عرفت من بعد أنه (وادي غريس) الذي يمر ازاء (كلميمة) ثم لم نسر بعد (كلميمة) الا قليلا نحو عشرين كيلو مترا ، حتى لاحت لنا ابراج (تنجداد) الحمراء الفارهة الى السماء ، فدخلنا المركز وقد حان وقت العصر .

رئيس المركز :

مثلت أمام الرئيس فاذا به شاب ظريف هين لين ، مستبشر الوجه عادي في مخاطبته ، فما عدا أن كتب حالتي المدنية بمسائلة لطيفة ، ثم سألني عما عندي من الدراهم فاعطيته ورقة الخمسة «الاف فرنك ، ثم قال لي ان محلك يهيؤ لك ، وقد اوصيت من يطبخ لك مؤونتك على شهوتك ، ثلاث وجبات في اليوم مع الاتاي ، ثم قال لي وقد نظر الي : هل أنت يا سيدي ممن يهربون ؟ فقلت له باشمئزاز لو كنت ممن يهربون لما وقفت هذا الموقف ، ثم انني أعرف من أنا ، وأعرف في اي مكان أنا ، وادرك لماذا اوتي بي الى هنا فكيف يخطر ببالي الهروب ؟ فاكتفى مني بهذا ، ثم لم ار منه قط تشددا في الحراسة ، فقام معي بنفسه حتى دخلنا الى ساحة ، فتيامنا الى دار وجدناها تكنس ، ثم دخلها وخرج ، فقال هذا محلك يا سيدي ثم ودعني،ثم ذهب ، وهو محل فيه بيتان وساحة صغرى ومستراح ، وباب المحل مفتوح الى ساحة فيها شجيرات وحقول وبئر ، وهذا الباب مفتوح ، فادخل واخرج الى البستان كما أريد ، هذا هو المحل الذي اعد الآن لك أيها المختار ، عوض دارك التي بـ (درب ابن العالية) في (البيضاء) ، ولا اختيار للعبد في تصاريف الاقدار ، فسلم فيما يريد ، يصنع لك ما تريد .

سلم الامر تجدنا نحن اولى به منكا

يا رب اني رضيت بقضائك،وآمنت بأنك لا تفعل بعبيدك الا خيرا،فاللهم قوني واحفظني في هذه الخلوة التي كتبتها علي ، حتى لا أخرج منها الا كما

فأجد من اللذة مالا اكاد اصفه ، فلا نامت اعين الملاحدة ولا من اشربت قلوبهم الغفلة عن الأديان وعما ترمي اليه ، فهم اشقى الناس بالحياة كيفما تجلت لهم الحياة ، ثم اتصلت بالقبطان فذاكرته في الاتصال بأهلي ، فأذن لي ان ارسل اليهم رسالة توا في البريد على غير يده ، ثم طلب مني بعد أيام ان لا أرسل اية رسالة الا على يده وهكذا اخبرتهم اين انا،ثم طلبت منهم مصحفا وبعض الكتب ، وبعض الكسوة وبعض حلويات ، فها انذا الآن اتملى بنعم الله علي ظاهرا وباطنا ، هكذا نزلت (تنجداد) وهذه هي نفسيتي الآن في ايامي الاولى ولعلني اسجل بعض ما يستحق الذكر فيما يلي من الايام .

اللهم وفقنا واغفر لنا وأحينا تحت ظل الاسلام ، وزحزح عنا كابوس الاستعمار ، وامتعنا نحن واولادنا وشعبنا بالحرية والاستقلال ، واحفظ لنا ملكنا ، وأيد رجالنا الساعين في الخير ، انك سميع مجيب يا رب العالمين .

تنجداد في 22 ربيع الثاني عام 1372 هـ

محمد المختار السوسي

المعتقل في تنجداد أطلق الله سراحه .

كلمة أمام القوافي

انعم الله على هذا العبد الضعيف المذنب بأن جعله ما بين الموسومين بالغيرة على دينه ووطنه حتى ناله في ذلك ما ينال كل الغير حقيقة من سجن ونفي ، حتى مالت به الاقدار الى خلوة صوفية ، ومصقلة روحية فلسفية ، فأبعد الى (تنجداد) اولا من (تافيلالت) ، فعينت له الاقامة في دويرة لا بأس بها ، تجمع كل المحتاج اليه من ضروريات الحياة ، بعدما كفى كل المؤن ، فكان وعنده كتبه وصحته وفراغه في جنة النعيم ، فأقبل على شأنه اقبال من يعرف أن هذه فلتة العمر وقلما يتكرر مثلها ، وهناك من متمنيات امثاله ما لا يقضى الا في مثلها ، فاجتهد أن لا يفلت هذه الفرصة السانحة ، فأقبل على مدارسة القرآن ، وعلى مدارسة علومه في كتاب (الاتقان) ، وعلى تفسيره في (الكشاف) وفي (أحكام) ابن العربي ، فيستغرق في ذلك استغراقا ، فكان مع هذا الاستغراق ربما بدرت منه قوافٍ قليلة ، فحرص على عادته ان يقيدها ، فها هو ذا بين يدي القارىء ما كان صدر منه اذ ذاك في (تنجداد) ، ولا ينقص المجموعة الا قصيدة في محاسن الحضارة ومساويها ، تبلغ 253 بيتا ، وهي جيمية ، فقد بقيت وراءه في دفتر جمع بعض مؤلفات اودع عند انسان هناك يسر الله الاتصال به عن كثب (ولما طلب منه بعض ذلك ادعى ضياعه فلم ينفع بعده الا الاسف) .

هذا ولما كانت الخلوة صوفية ، فقد غلب على بعض ما قيل من ذلك روح صوفية كما سيراه القارىء الكريم ، وما القوافي الا كالماء ولون الماء لون انائه .

23 محرم 1373 هـ .

محمد المختار السوسي

المنقول الى اغبالو نكردوس

منذ أيام

تحيـة (تنجـداد) :

– 24 ربيع الثاني 1372 هـ –

(تنجداد) اني اليوم ضيفك هـل ارى ... بارضك ما تقضي الضيافة من كرم ؟
فصحـوك عـذا المستطـاب مبشـر ... بـان ندى كفيـك لي من بني الديـم
أتيتـك منفيا عـلى رغم معطسـى ... ولكنني استروح النـروح من امم (1)
فهـذى حقـول يدفـق المـاء بينهـا ... أيبردهذا الماء في الصدر ما اضطرم ؟
فهاتيـك الفـاف النخيـل فهـل ارى ... يرفرف لـي من فوقهـا للمنى علـم
هـدوء عظيـم مستفيض وكيف لي ... بصدري عدوء ينتفي معـه السام ؟
فياليـت اشعـاع الطبيعـة هـذه ... يحـل بقلـب ملـؤه الغـم والالـم
فـذى وحدة قد قسمت لي جديـدة ... تغادر نفسي مثل لحم على وضـم
فمن قبل يوم كنت بين عشيرتـي ... سعيدا اذا بي مفرد السجن في الظلم
وحيـدا فـلا ألقـى أنيسـا مضمـدا ... بحلو حديث ما الزمـان به كلم (2)
ولكننـي استغفـر الله هـل أنـا ... سانساك يا رحمان في كل ما الـم
السـت الهـا راحـمـا ومهيئـا ... لعبدك ما ينفي الوجوم متى وجـم
أاتـرك للـغـم السبيـل ينوشنـي ... وعندي الرجـا في الله درع من الغمم
فأيـن الـذي جربـت فـي كـل غمـة ... وفي كل ما هم وفي كل ما دهـم
فأيـن عزيماتـي وأيـن تجلـدي ... وأيـن الذي اعتـاد مني من الهمـم ؟
فقمتك ارفـع لا أبالـك موقنـا ... بأن صروف اليأس لا تدرك القمـم
أعنـدك رب الكائنـات جميعهـا ... وتخشى خشاش الارض من أسقط الامم
أتخشى (فرنسا) وهي من بعد ما رأت ... هزائمها كادت تعود الى العـدم
فـدع كيـد كـل الكائدين ومـل الـى ... الهـك بالعـزم الاكيـد وبالشمـم
سيونسك الرحمـان جل جلالـه ... بطرسـك ان تمر القريحة بالقـلـم
(تنجداد) اني عبد ربـي ومن يكـن ... الى ربه يستوطىء الافـق بالقـدم

---

(1) المعطس : الانـف . من أمـم : من قريب .
(2) كامـه : جرحـه .

ما المجد الا في شموخ بني التقى ... لا في الشموخ بريطة او جوخة (1)
ما كان اخلق من يحاول توبة ... مثلي ويبغي في المتاب رسوخه
ان لا يصاحب ان يرد لب التقى ... الا أيمات التقى وشيوخه
ينأى عن الاغرار حتى لا يرى ... من بعد افكار الهوى الممسوخة
فينيخ ما بين الشيوخ وفائز ... في جمعهم من لا يزال منيخه
فلعل ما قد فات بين لداته ... مستدرك من بعد بين الشيخة (2)

* * * * * *

ينسى الفتى الفترات في اطواره ، ... لكن اينسى عبرة الشيخوخة ؟
هيهات قد شدخ الغرور فأصبحت ... غصن المنى مرضوضة مشدوخة (3)
من كان يحسب قول شيخ مائنا ... في أذنه يبغي به تشييخه
فلينتظر حتى يطير شبابه ... ويزيل عنه مشيبه تدريخه
فهناك ، حين يذوق ما اجترحت يدا ... غلواء صبوته ، يذوق طبيخه

وبعد فمن اراد ان يعلم ما بين كلام وكلام ، فليقرأ كل القصيدة ثم ليقرأ هذا البيت الوحيد من قصيدة لابن الخطيب السلماني :

والنفس لا تنفك تكلف بالهوى ... والشيب باحظها بعين رقيب

فانه يرى كيف الايجاز ، وكيف يؤدي بيت واحد مالا تؤديه قصيدة مهلهة ، ولكن مع ذلك ، فلا بد ان ينسج أمثالي أحيانا ، وان كانوا لا ينسجون الا مهلهلا ، و (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

---

(1) الريطة الثوب الجميل ، والجوخ الملف .
(2) للفظة الشيخ عدة جموع منها الشيخة بكسر الشين .
(3) غصن بضمتين : جمع كغصون .

زفـــرة عـــلى نـــزع كتـــب

كان الذي معي من الكتب يوم نفيت الى هذه (الصحراء) كتاب عن مذهب داروين الانجليزي في النشوء والارتقاء . كنت تناولته من خزانة الاخ الاستـاذ الحمداوي يوم هجم علينا البوليس في داره ، وبه كنت ازجي الاوقات اوائـل هذا الشهر الاول في المنفـى ، ثم أرادت الرحمـة الالهية ان ترسل لي كتاب (دلائل الخيرات) في اليوم الخامس من نزولي هنا على يد بعض الاعوان ، اسره الى ، ففرحت به غاية الفرح ، فاكببت عليه ، حتى ختمت فيه 75 ختمة ، وما احـلاه وما امزجه بالروح ، ثم وصلتنـي كتب ارسلت اليها ، وهـي تفسير الكشاف ، والمصحف المجرد وتفسير الجلالين ، فسلمها الى المراقب اللطيف بلا تردد ، فانفسح المجال امامي للمطالعة ، ثم ارسلت الى كتب اخرى كاحكام ابن العربي المعافري والاتقـان والمنجد ، فحين وصلـت لفافتها الى المركز ، قال المراقب : أفي كل يوم كتب جديدة ؟ فقلت له : ان كل هذه الكتب دينية حول القرآن ، ونظـر الى المنجد فـرأى من الصور ما عـرف به انه ليس من القرآن في شيء ، فقال : لا يمكن ان أبت أنا في هذا ، فلا بد أن ارفع ذلك الى من هم فوقـي في (كَـلميمة) فـاردد الي حتى الكتـب التي عندك ، فعزم فـي ذلك ، فبعثـت اليه بتفسير الـزمخشري المتكون مـن أربعة اجزاء ، فلم يبق عندي الا المصحف المجرد ، فلا تسأل عما خامرني اليوم من جراء ابتعـاد كتبي التي هي وحدها أنسي الوحيد ، فلم أملك نفسي وانا تحت سحابة الهموم الكثيفة ان قلت هذه القصيدة الآتية التي لا تمت في نظري الى الشاعرية الحق باي سبب ، ولكن تلهيت وقتا بانشائهـا ، فالا تكن الا نظماً مهلهلا ، وهراء محضا ، فانها على كل حال كانت لي نعم المرهم في هذا الوقت العصيب :

عنـــي فما في مـن صبر ولا جلـــد فالكتب يا أيها الاقوام من كبـــدي
اني أرى من بصيص في الحياة ولـم آخـذ من الكتب ما اشتاقـه بيدي ؟
كل له مدد تحـلو الحيـاة بـــه أفي حياتي بغير الكتب من مـــدد ؟

اني صبور . ولكن كيف مصطبـــر ... متى يحاول سـل الروح من جسدي ؟
أضحـي وامسي ولا كتب تؤانسنـي ... وارحمتـــا لغريـب الكتـب منفـــرد
اوحدة من صبـــاح للمساء ؟ فيـــا ... للنـــاس للوحـدة الفتاتة العضـــد
انى التفت ارى الاشجـــان هاجمـــة ... مـن كل صـوب عـلى طرائـق قـدد
والغم ياخذ من صدري تلابيبـــــه ... حتى الهواجس قد حجرن من خلـــدي
أجثـــو كاني لا سمع ولا بصـــر ... ولا فـــؤاد باحـــداث طغـت جـدد

* * * * * *

كتبي فلا عيش لي من دونها او لـــم ... تدروا بان ليس الا الكتب ملتحدى(1)
فالكتـب سؤلـي وآمالـي ومنتعشـي ... وانـس قلبي ومنهـا وحدهـا جلـدي
فحبها خامرت منـــي بشاشتـــــه ... ما كان بين شراييني وفي غددي(2)
بهامزاجي وتمييزي فـــان ذهبـــت ... تذهب بتمييز ما باليـــوم او بغـــد
حتى القريض يواتي منه اروعـــه ... ما بينها مثل زهر في الرياض نـدى
فمذ تولت تولى الشعر يتبعهـــــا ... فالآن حد نظم شوك ، خـذه منجـرد
نظـم كـدردى زيت ان تذقـه ، وان ... تنظر تجده كصخر في الفلا نضـــد
وافـى بـه غثيـان يستثـار فلـــم ... اطق له الرد ان يصدر او أن يـــرد
وقـــد يكـون هـــراء النظم مانسـة ... لنازح عن سـرور الكتب مبتعـــد

10 شعبان 1372 هـ

---

(1) الملتحد : الملتجأ .

(2) جمع غدة بالضم : وهي العقد الصلبة في الجسم ليست بلحم ولا شحـم ولا عصب ولا عظم ، وظيفتها افراز سوائل تنقى الدم وتحفظ توازن وظائف أجهزة الجسـم .

فـرحـة بـرجـوع الـكـتـب

كنت كتبت القصيدة الدالية المتقدمة في ذلك اليوم العصيب ، فاقبلت على التوجه الى الله ، اطلب منه ان يفرج عني برجوع كتبي ، وبعد نحو اسبوع ، لاقيت المراقب وحده وجها لوجه في البستان الذي نسكن فيه ، فقلت لـــه بملاطفة ، وهو اهل لها لما يعاملني به،انني اضع حالتي بين يدي انسانيتك ، فانني كما ترى غريب لا اعاشر احدا ، ولا أتكلم مع أي انسان ، وانني منفرد في هذه الخلوة ، فهل أجد الا كتبي التي بينها نشأت ، وبالمطالعة فيهـــا أمضيـــت حياتي ، وانا كعالم لا مندوحـــة لي عن كتبي ، اللهم الا اذا اجرمـــت اجراما يقتص مني لاجله بانتزاع كتبي من يدي ، فان ذلك شيء آخر ، وانـــا عنا كما ترى ايها المراقب متتبع كل الاوامر التي تصدر الى ، فيكون جزائي ان احرم من كتبي التي هي وحدها انسي ؟ هذا ما قلته له ، وقد ضربت عـــلى الوتـــر الحساس الذي أعرف انـــه سيوخذ به ، فتبسـم وقال انني سانظر في ذلك ، فاقبلت على ربي الذي اليه نواصي عباده ، اتطلب منه بكل الحاح قضاء حاجتي هذه التي هي عندي كل لذائذ الحياة في هذا الوقت ، ثم في ساعة كنت فيها اناجي ربي بهذه الامنية ، أدعـوه بكل جوارحـي ، اذا بالجاويش دخل بالكتب كلها ، فلـم املك نفسي فرحا حتى قدمـت له هو اولا كل شكر يطيقه لساني ، ثم قمت الى حقيبتي فناولته زوجا من الجوارب اكرمته به كبشارة، ثم اقبلت عـلى كتبي اضمها الـى صدري جزءا جـزءا ، وما ضمة قيس ابـن الملوح لليلاه باعذب ولا أحلى ولا أنزل في شغاف الفؤاد مما أجده حين اضـم الى كتبي ، فما أحلى العطاء بعد الحرمان ، والوجدان بعد الفقدان ، ثم حاولت ان اكثر عن القصيدة المتقدمة المهلهلة بما عسى ان يتذوقه أصحاب الـــذوق في الشعر العالي ، ولكن هل كانت القصيدة حقا رائعة ؟

يـــا فرحتا ان هذا منتهى أملـــي ... الا تطيـر فـؤادي الآن بالجـــذل
تاب الزمان فرف الآن من كتبـــي ... خودا تبختر بين الحلي والحلـــل
الى كتبي ، الـــى صدري معانقـــة ... ممزوجـة بارتشـاف الظلـم بالقبـل
أأنـــت ما ادخـل الجاويش أم درر ... براقة اللون اون الشمس في الحمل ؟
قد أشرق البيت بالانـــوار اذ طلعت ... شموس كتبي أمام القلب لا المقـــل
أغبـت يابهـا (الكشـف) عنـي أم ... غابـت حياتي ؟ فيدنو منتهى أجـلى
وأنت ايتهـا (الاحكـام) كيف أرى ... بغير رأيـــك من بعد عن الخطـــل
هات اسقنيها كئـــوس الراح مترعـة ... وانهل وعل ماحـلى الشرب في العلـل
يا ظالما ظمئت نفسي لموردهـــــا ... فالآن ينقع ما في النفس من غلـــل
في الغور امس وهذا اليوم أحسبني ... متوجـا انظر الدنيا من القلـــــل
يا عجبا كدت اقضي أمـس منفردا ... والآن احسبنـي فـــي مجمـع الملـل
والمرء مثلي اذا ما كان في كتـــب ... تـــراه في نزهة مفتنة النقـــل
في كـــل سطر ملـــذات منوعـــة ... أحـلى من الحصـر مرتجا مـن الكفل
مـــن لم تكن بيـــن كتب العلم لذتـه ... هـل كـان يالـلـورى الا من الهمـل .

وقد توصلت بالكتب في 21 شعبان 1372 هـ .

شكـرا للـه مـن اعمـاق الفـؤاد

عند العاشرة من يوم الاثنين 27 شعبان 1372 هـ ، بينما انـا اتناول عن يمين وعن شمال الكتب المختلفة التي استمتع بها ، اذ جاشت الفكرة بهذه القطعة ، وانا في نشوة لم يذقها قلبي ولن يذوقها بعدي نشوان ، وقد كـان بعضها منع مني ، ثم توصلت بها قبل اسبوع : في 21 من هذا الشهر :

شكرا من أعماق الفؤاد المسلـم ... شكرا لما يوليه فضـل المنعـم
شكرا على نعماء، مـا ذاقت لهـا ... شبهـا حيـاة المتـرف المتنعـم
انـى التفت رايتنـي في غمـرة ... فياضـة امواجهـا بالانعـم
كتـب منوعـة تـداول بينهـا ... افهـام ذى شغـف بها متفهم
هـذى المنى جمعـاء في متناولـي ... سنح الزلال السلسبيل لمن ظمـى
في فترة فيها الفـراغ مطلـب ... ان الفـراغ لمنيـة المتعلـم
او ما كفيت جميع ما اشهى امـا ... تحظـى اللهـاة بكل ما يهـوى فمـى
او ما وجدت من الرياضة فوق مـا ... تقوى به عضلي وينشقـه دمـي (1)
لـم لا اكب فيـا لها من فرصـة ... منهـوزة ثمراتهـا ان أقـدم
من قبـل ان يطوى الفراغ فانثني ... ايضـاً عـلى سبابة المنتـدم

---

(1) العضل والعضـلات : جمع عضلة بفتـح العين والضاد واللام ، وهي كـل لحم مكتنز يتخلله عصب كظاهر الفخذين والعضد والفريصة ، وهذا النـوع من اللحم هو الذي يتحمل الاعباء في الجسم .

يـالـه مـن فـطـور

في صبيحة الاحد 29 شعبان ، بينما انا اتناول فطوري عند السادسة ، من خبز السميذ ، وسمن لذيذ ، وشاي أحلى من الفانيذ ، اذ قلت ارتجالا :

هكـذا هكـذا يكـون الفـطـور عاينـاه فهـل عـراه فطـور
مضغـة حـلوة وشـرب لذيـذ كيـف يا قـوم يعتريني فتـور
كلكـم فاشهـدوا بنـي (تنجداد) أجمعيـن عـلـي انـي شكـور
اتملـى كمـا اشـا بنعيـم دائـم ، كيـف لا يـدوم الشكـور
رب شكـرا ، فـزد سراحا قريبـا نحو اهلي كيما يتـم السـرور
رمت شعرا مستعذب الروح لكـن كيف يـا ناس يفلق الشعـرور
يقنع المـرء بالشميـم اذا مـا لـم يعاين روضـا وشته الزهور

مـتـابـا ربـي مـتـابـا

دخل علي رمضان ، فجاءت روعته وروحه ومناغاة القرآن والوحدة والفرح والاغتباط بما فيه من مناجـاة ربي ، فتزخـر نفسي بالانابات والاخباتات ، وتتعهد ان لا تراجع بعد اليوم ما كانت تألفه قبل ، ففي 10 من هذا الشهر المبارك صدرت هذه القصيدة :

متابـا من الاجـرام رب متابـا فهـل اتلقى بالقبـول جوابـا
فكم زمن قضيت بالجـرم سـادرا فـلا اتخطـى للمآثـم بابـا
فـاي ذنوب مـا اجترحـت كاننـي كفـور كنـود ما اعتقـدت مثـابـا
اقارف عن عمـد واذنـب راضيـا واجهـر بالافك المبين خطابـا
فيالك جرئا ، ويا سوأتـا اذا الهـى لم يسدل علي حجابـا

لقد كنت مغرورا بآمـــال صبوتـــي ... اذا تلكـــم الآمال عدن سرابـــا
فهاك يـــدي يا رب فاقبل ضعيفـا ... اقر بما قـــد تـــاب منه متابـــا
لعلي زمـــان الشيب في اليوم عمل ... سوى عمـــل الغر الملىء شبابـــا
فقـــد آن للمختار ان يجعـــل الهدى ... طريقـــا ويختار التقاة ثيابـــا
كأني بيـــوم الرمس حـــل اوانـــه ... فوسدت وحدي في الرجـــام ترابـــا
هنالك يـــا رباه كن لـــي ومقـــا ... أصب في جواب السائلين صوابـــا
وكن لي يـــوم الحشر حتـــى ازج في ... ظلالـــك لا القـــى هناك حسابـــا
فاحشـــر في أهل السعادة لا عنـــا ... ارى ، لا ولا اذنـــى تصيـــخ عتابـــا
بفضلك يا ربـــي الكريم ومن يكن ... بفضلك حاشـــا ان يـــذوق عقابـــا
عبيـــدك يرجو من نداك فجد فمـــا ... سمعـــت بمـــن يرجـــو نداك فخابـــا
تعسف في خمس وخمسين حجـــة ... وفي اليوم ناداه المشيب فثابـــا
ارى ما أرى مما جنـــى فاوى الـــى ... حماك وضيف الاكرمين يحابـــى
فجللـــه بالرحمى ونفس كروبـــه ... وزحزح له نحو الرشاد نقابـــا
وروق لـــه رضوانك الاكبر الـــذي ... هو السعد والفوز العظيم شرابـــا
فمـــن فـــاز بالرضـــوان منـــك فانـــه ... لاحظـــى جميع العالمين مثابـــا

الـــى م اعتســـاف فـــي الضلالـــة

في صبيحـــة يوم الاثنين 18 رمضـــان 1372 هـ ، جاشـــت الفكرة ايضـــاً بما يأتي ، وقد صهرتها روح الصوم ومناجاة الله تعالى والانفراد في الخلوة :

الـــى م اعتســـاف الضلالـــة والعمـــى ... أما آن يا مختار ان ترعوى ؟ أمـــا ؟
فقد مضت الخمسون فالخمس بعدهـــا ... فما العذر في يوم السؤال غدا فما ؟
أما كان فيها لو تنبهت مـــــراب ... فتصلح ما غادرت فيها محطمـــا
بأي اعتذار عند ربـــك تنثنـــــي ... وافضالـــه مذ كنـــت يوليك انعمـــا

اما كنت مغمورا بنعماء أترفت ... جنابيك والابصار والسمع والفما
تقلب مذ ادركت في صحة ، فهل ... تذكر داء او تذكر مسقما ؟
بلى ذكريات من مساقم غفلة ... تكابد منها ما تعرق اعظما
فاية ادواء اعز تعالجا ... من الغفلات الخابطات على عمى ؟
غفلت عن المقصود منك فظلت في ... وقاحة غاو ان ير الاثم اقدما
أريت نجوم الرشد منذ صباك لو ... ترى مقلة عمياء في الافق انجما
ولو كنت محظوظا لفزت بنشأة ... حرى بها من غدوت له ابنما (1)
واعدى الورى من قد عدا شرب أهله ... ولا سيما ان كان شربا مفدما (2)
نعم انني آنست من منشئي هدى ... باشراق نور الدين طفلا غليما
غريرا فكانت لي انطباعات منشئي ... كغرس لو أن الغرس بالسقي تمما
فثناه على خسران حال تقلبت ... عليه غوايات فصار مصلما
ولو كنت من شرخ الحداثة سائرا ... بنور الهدى ما كنت في اليوم مظلما
ولا مضت الاعوام هاتيك حفلا ... مجاهرة بالموبقات ومأثما
فيا رب اني تائب توبة فهل ... على العبد الا أن يتوب ويندما
فوفق وسدد للصواب مقاصدي ... جميعا كما ترضى به واعف وارحما
وصن ما تبقى في الحياة من الهوى ... بفضلك حتى اسلم الروح مسلما

---

(1) ارجو ان لا ينسى القارىء انني ابن رجل امضى حياته في ارشاد العباد .
(2) فدم الابريق : وضع عليه القدام وهو مصفاة صغيرة او خرقة تجعل على فمه ليصفى بها ما فيه . والمقدم المصفى .

واحسرتاه

في صبيحة الثلاثاء 19 من الشهر لكت أيضاً هذه القطعة :

واحسرتاه غرقت في الاثم ... يا رب انقذني من اليم
فضلك يا رب فكم قد جنت ... يدي فلم تزدد سوى الحلم
اليوم يا رباه ها أنذا ... انيب للطاعة من يومي
تسديدك الدائم ربي لكي ... أصمى بعد اليم ان ارم
فقد تقضى العمر اجمعه ... واسهمي تخطى فلا تصمي
بين الهوى والنفس قضيته ... ظلما ، وهل يفوز ذو الظلم ؟
ما ان علمت لي من احظة ... سماؤها خلت من الغيم
ذنب الى ذنب كأني من ... بكم الى عمى الى صمم

* * * * * *

الست يا مختار قد زعموا ... انك ذو علم وذو فهم
وانت هذا ، اليوم تعلن ان ... امضيت كل العمر في الاثم
فقلت كم من عالم جهبذ ... اضله الله على علم
فالدين في الاخلاص ، لاخطب ... براقة تلقى على القوم
ذو العلم بين الناس ان لم يكن ... مهتديا سم الى سم
يؤذي الورى فوق اذايته ... لنفسه ، يا لك ذا جرم
من كان هش الدين مثلومه ... اينقذ الاديان من ثلم ؟
من لم يكن من نومه صاحيا ... اينقذ الوسنان من نوم

* * * * * *

يا ربي اجلعني منار الهدى ... بالعلم في نفسي وفي قومي
حتى ارى مهتديا هاديا ... لعلني افوز بالغنم
لعل ما اجترحت فيما مضى ... مكفر بعمل اليوم

اتـــوبـــة دائـــمـــة ؟

وفي يوم الاربعاء 20 من الشهر زفرت ايضا هذه الزفرة :

عـــلى غرر ان لم تداركـــه باللطـف ... ومـن تخطه باللطـف فهو على حتـف
يدندن ان قد تاب والله عالـــــم ... حقيقة ما يبدى ابن آدم او يخفى
احقـــا متاب عن سريرة مخلـــص ... ام الحائز الارهاق بالنفي يا منفـــي
فيا حسرتا ان لم تكن منك هـــذه ... غداة غد الا السحابة في الصيـــف
فترجـع مطواع الهـوى في غد متـى ... امنت اذا ما شدته اليوم في نسـف
ألم تك في المنفى القديم العهود ام ... عهودك تبقى ما بقيت على خـــوف
فمـــا كدت تلقى مـــا الفت محررا ... من الخوف حتى عدت ايضا الى الالف
فهتكـــت استارا وجـــزت حواجـزا ... وبدلت ما بدلت باللهو والقصـــف
وقعـت عـــلى اللذات وقعة ســـادر ... فاقبلت بالكفين قطفا على قطـــف
على نهمات كالاعاصير صر صـــرت ... نيلتهم المفهوم من كل ما يلفـــي
اذا خطـــرة سامتك نحـــو هدايـة ... توليت عنها معرضا ثاني العطـــف
كان لم تكن ذاك الذي عرف الهـــدى ... وفرق بين النكر من قبل والعـــرف
كان لم تكن عاهدت قبل على التقى ، ... أخيس؟اما استحضرت حشرك للوقف؟
اترشد في العسرى وتعسف موسرا ؟ ... فهل انت ممن يعبدون على حـــرف ؟
أمـــا كنت فـــي المنفى لـــه سنـــا ... فما ازداد حتى حلت عن ذلك الوصف
أم اليـوم خمر ثـم في الغد أمره ؟ ... تذبـذب مبدا ، يا لها خطة الخسـف
افـــي كل يوم مبـدأ تستجـــده ؟ ... فـاف لذى الالـــوان ، أف لـــه ، أف
فذلك عهد الامـس واليوم ما ترى ؟ ... أبعد الهدى ترتد ايضا الى العسف ؟
الم تتعـــظ بالحادثـــات اما رات ... عيونك من نقص المواثيق ما يكفي ؟
وبعـــد فذا عقـد جديد وانت قـــد ... عرفـــت الذي أعطيته صفقة الكـــف
به فلتثـق ما دمـت في العقد واقيـا ... يمـدك بالتوفيق والايـد واللطـــف

ختمة القرءان حفظا

استتممت الختمة الاولى من القرآن العظيم استظهارا بعد ما نسيته نسيانا تاما من قديم ، وطالما أرسلت الزفرات على ذلك فيما مضى من تآليفي ، فاليوم يسر الله مراجعته ، فأتيت على الختمة استحضارا ، وذلك على رأس التاسعة وربع عربية ، صبيحة الاربعاء 27 من هذا الشهر المبارك فقلت هذه القصيدة في هاتين الساعتين وانا الآن اخرجها :

الحمد لله هذى منية العمر ... بها ظفرت وما احلاه من ظفر
اليوم ، واليوم في الايام غرتها ... وسمتني بحجول ، رب ، والغرر
هذا الكتاب كتاب الله مرتجع ... حفظا فبشرى بما أوفى على البشر
امنية مذ نفضت الذيل من صغرى ... احظى بها اليوم بعد الشيب والكبر
كانت شجى القلب مذ ادركت قيمتها ... وها هي اليوم ملء السمع والبصر
في هذه الساعة الغراء دار بها ... وفق الذي اتمنى دائر القدر
كم فرصة قبل هذا اليوم قد نهزت ... لكن واردها لم يحظ بالصدر (1)
وطالما سدد السهم المريش لها ... لكنه طاش بين القوس والوتر
كلما جال فكري في الذي حرمت ... يدي توقدت الاشجان بالفكر
أوشمت متقنه حفظا توزعني ... حزن عظيم على ما ضاع من عمري
هاي عمر لمن قد ضيعت يده ... روح الحياة فيمضي العمر من هدر
قد كان في يده كنز فضيعه ... لهوا فيا جرم ما في اللهو من هذر
جناية مالها مثل وفاقرة ... عظمى ، وداهية جلى من الكبر

* * * * * *

(1) كالوقت الذي مضى لي في الخ حين النفي اليه عام 1356 هـ .

كذا أحس عقودا من سنين مضت ... بلاعج من أسى يهتاج بالشرر
وكلما جاش عن ذكرى أحس به ... كأنني بين ناب الليث والظفر
أألبس العمر والقرآن ليس له ... منى لباس ؟ الا ياضيعة العمر
ألست تعلم ان اجرمت معصية ... تردى اذا لم تنل غفران مغتفر (1)

* * * * * *

حتى اذا آن نجح السؤل سهله ... من في تصاريفه تفكير مفتكر
من كان يحسب اني اليوم ادرسه ... بتنجداد ؟ ومن يستقص يعتبر
جاءت بها نعمة محمودة نقم ... عسراء ، بالصروف الدهر من عبر
فرغت عن رغم انفي كي أنال منى ... نفسي بلا شغل يلهي ولا عذر
لكنني - اصدق الرحمان - مغتبط ... وان سجنت ، وليس الخبر كالخبر
ابكار يومي كالآصال مدرسة ... موصولة الدرس ، والاصال كالبكر
والقلب بالحفظ فالتفسير يكرع في ... مناهل الآي من عاتيكم السور
مستمتعا بين عاتيك الرياض فما ... ينفك من زهر الا الى زهر
فيالها خلوة انست حلاوتها ... ما ينحق العاني المسجون من مرر
واليوم هانذا احظى بما اقتطفت ... كفاي بين المنى من يانع الثمر
مستظهرا لكتاب الله اجمعه ... من فضل ربي لا من فضل مصطبري
وانها منة عظمى نعمت بها ... ما ان اكافئها بالالسن الشكر
فليغد لي حلية ، وليغد لي خلقا ، ... وليغد لي شغلا ، ما امتد لي عمري

---

(1) وفي الحديث ان على من حفظ القرآن وفرط فيه حتى نسيه ذنبا عظيما .

حسرة على فوات قيام ليلة القدر

في مراقبة نينجـداد اعوان يغلب عليهم الدين والايمـان العميق ، وغالبهم يحافظ على الصلاة ، وكان من عاداتهم التي تمشوا عليها منذ سنوات ، حسبما اخبروني به ، انهم يقومون ليلة القدر ، ولذلك تهيئوا لها ، واستوردوا ثلاثة من حفظة القرآن ، فأمـوا بهم للصلاة بالتناوب طول الليلة ، بعد ما أقاموا في وسط المركز حفلة دعي اليها الكل الجفلى، اذ أتى كل واحد من داره بما أعده لتلك الحفلة ، فقد كنت اسمعهم يصلون الى ان طلع الفجر ، ثم سمعتهم يذكرون جهرا بصوت واحد الى أن طلعت الشمس او كادت ، وهكذا قام الاعوان مـع نسائهم في الوقت الذي كنت انا فيه نائما ، لم اعد التراويح المعتادة ، بعدما كنت عزمت على عدم افلاتها لاحراز فضلها ، فحداني ذلك ان قلت :

أقمتها ام شخرت بين من نامـوا ... حتـى الجلاويـز والنسوان قد قاموا
الليلة القدر تكراهـا ؟ فيا عجبـا ! ... أتزهد اليوم فيما كنت تستام ؟ (1)
اما عزمت على احيائها ؟ فمتـى ... نكصت ؟ ام عزمات البعض أحلام ؟

• • • • • •

لله درك ممـن اسرعـوا قدمـا ... قاموا جميع لياليه كمـا صامـوا
صاموا احتسابا كما قاموا كذلك ،ومن ... يرجـو الجـزاء فصـوام وقـوام
يغبرك استثقلت حتى تئـط بهـم ... مضاجع النوم ان يمتـد نـوام (2)
فانـت من يعرف الآنام همتـه ... في الخير،ان يسع للخيرات أقوام(3)
قرت بك الهمة العليا فانـت لهـا ... كفء بمـا انت وقت الخيـر مقـدام
ان متجـر عن او تلفتـك مكرمة ... فانمـا انـت تعزيـم فاقـدام

---

(1) الكرى : النوم .
(2) اط السرير : صوت عند الجلوس عليه . والجلاويز جمع جلواز : الاعوان
(3) الآنـام بالمد : لغة في الانـام .

فمن لـــه بين أجر واحد قـــدم فانت في كـــل اجر لـك اقـدام
دع الجلاويز والنسوان يحتفلـــوا فانت انت أقـــام القوم ام نامـوا
فمـــا لسيدنا الصـوفي من شبـــه فيومـــه اللحـــظ والاعوام ايـــام
ذو همـــة تنبذ الاكـــوان قاطبـة فهـــام في ربـه بين الالى عامـــوا
لا غفلـــــة تعتريـــــه لا ولا سنـــة اذكـــره اللـه بالانفـــاس الهـــام
فمـا زج المـــلأ الاعـــلى بباطنـــه حتى كان مالـــه بالارض المـــام
قـــد أشرب الاجر اعمـالا متابعـــة فكيـف يستامـه بالشبـه مستـــام
من مثله في قيام الليـــل منتصبـــا حتـــى تلـوح لنور الفجر اعـــلام
فليهـــن سيدنـــا هذا التهكـــم ان لم يمـــس ميتا فلا يؤذيه ايـــلام
فمـــا كـــذاك قـلوب المؤمنيـن اذا ما كان في القلب ايمان واســـلام
من لم يكن الف شهـــر يستفز بـــه اجـــرا فايمانه بالاجـــر او هـــام

زعزعـة بزيـارة الاخ عبد الرحمـان

والـولـــد سـعـيـد

* * *

قرب عاشرة يوم الاربعاء 17 رمضان اخبرني المراقب ان أحدا من هنـاك سيزورني غدا ، وقد اعلمت الناحية بذلك ، فذهبت بي الظنون كل مذهب ، من هذا الزائـر وان كان الغالب انه من أهلي ، فارتقبت الغد الخميس فلـم يـات أحد ، وفي يوم الجمعة ورد الاخ ابوزيد والولد سعيد ، وقد سبق الاعـــلام اليوم بقدومهما في سيارة (ساتيام) فتلقاهما عون مبعوث لذلك ، فذهب بهما الى الرئيس ، فاستدعيت ، فهناك علمت من القادمان ، فاعطيت لنا ساعـــة بحضور المراقب ، قلنا فيها ما تذكرناه ، وتسلمت ما اتيا به امامه وودعتهما فـي الحين فمكثا هنـاك الى الثالثـة بعد الزوال عنـد مرجع السيارة فذهبـا لطيتهما ، ولا يعلم الا الله كم تأثرت حين لم استمتع بهما ، والولد الشيق يلاحظني في وقت الاجتماع بنظرات دامعة ، وانا اصغي واتكلف التجلد فياله

من موقف ، ثم توسلت الى الله ان يخفف عني الصدمة ، حتى انني في عشية اليوم لااستحضر ما أقرأ ولا ما اذكر ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

ثمجاشت فكرتي بهذه القصيدة تخليدا لهذا الموقف الذي لا يقفه الانسان الا قليلا ، وقد وجدت من الروح ما وجدت حين صرت انشىء القصيدة فكانت بلسما للجرح الذي أحس به في قلبي واليكها .

يـــا وقفة ظلت فيها اليوم حيرانـــا قد كان فيها من الاشجان ما كانـــا
قد غان فيها شعـوري عن عواطف قد طمت عـــلى القلب ،الاما وأحزانـــا
هذا اجتماع ولكـــن كيف مجتمـــع لـم يحـو الا شفاهـــات وءاذانـــا ؟
تبودل النطق من دون القلوب بـــه فيـــا لها لوعـــة تصليك الوانـــا
تجاوب هادىء لكـــن عـــلى مضـض تحـــت الجوانـــح لا ينفـك نيرانـا
هذا اخي ، ثم هذا فلذتي ، أأنـــا صخر اذا لم أذب شوقا وتحنانـــا ؟
تجشمـــا شقة نحـــوي على لهـــف الحظة تنقع المشتـــاق لهفانـــا ؟
الحظة ، لوصفت ، تكفي ؟ وكيف وقد مـرت حـذارا وتلميحـا وكتمانـا ؟
أنا يحام على المقصود مقتضبـــا أو يستـــدار حوالـــي غيـــره ،انا
ملفقـــات احاديـــث مـررن عـــلى افق الشريط سراع الخطو افنانـــا
ما ان قضت وطرا ، لا لا ، ولا كشفت سجفـــا ولا بينت مـــا كان او ،انـــا
كانهـا جلسـة خـرساء ، مـا عرفـت فيها الاحاديـــث ايضاحـا وتبيانا
مذ نصف عـــام ارجى اليوم ثم اتى يوما تداعـــى رجائي فيه اركانـــا
لم أجن فيه ، ولو يجنوا ، ولو حشفا الا التياعـــا على الاكباد قدرانـــا
وحســـرة بالها من حسرة غمـــرت كلا قعانى بهـــا في القلب ما عانـــى

. . . . . .

ولكبدا اذ ارى المفلوذ من كبـــدي يمسح العين اشفاقـــا واشجانـــا
تكـــدت لولا بقايا من مصابرتـــي اريك ايضا بني الشجو اعلانـــا
فامسح النهج للاجفان ترسلـــه دمعـا يسلسل ذوب القلب هتانـــا

. . . . . .

عسى عسى ان نرى لطفا على كثـــب واللطف يبغت في الباساء احيانـــا
اذن ندارك ما في اليوم من مضـــض هل كنت انساه ازمانـــا فازمانـــا

. . . . . .

يـــا وقفة ارمضـــت منا الجوانـــح لا ارمضت بعد بذاك (العين) انسانـــا
فلتعم كل (العيون) الشاخصات غـــلا ابصـــــار الا اذا ما عـــدن عميانـــا
متى ؟ متى ، ام قريب يومه ؟ فنـــرى نور الوجود فيضحي الكل جذلانـــا
اذن سننشد ، والخيل المغيرة فـــي الاعداء ، ما الهم التوفيق (حسانـــا) :
(لتسمعـــن وشيكـــا فـــي ديارهـــم اللـــه اكبر يـــا ثارات عثمانـــا)
ان الرجـــاء قـــوي ان نمـــد الـــى رايات ما يرتجيه الشعـــب ايمانـــا
حاشا حشا ان يخيس الوعد منبثق من مطلع أفعـــم الافكـــار ايمانـــا

الحنيـــن الـــى افـــلاذ الكبـــد

عـــبـــد الـــعـــزيـــز

تذكرنـــي عبـــد العزيـــز الغزيـــلا وسامـــة بـــدر قـــد بـــدا متهلـــلا
تذكرنـــي ذاك الوجيه اذا ارتمـــى بحجـــرى وادنـــى خـــذه لأقبـــلا
فانكب تقبيلا ، واهوى لو اننـــي اقبله ما دام عمـــري مسلســـلا
فتقبيلـــة الشيـــخ الـــرؤوم الـــذ مـــن مراشفـــة العشـــاق ظلما معســـلا
فوارحمتـــا للقلـــب قلـــب اب اذا تسلسل دمع الجفن منه تسلســـلا

البنية عائشة

عائشة الحلوة يا فلذتي ... ما غبت يوما قط عن فكرتي
في كل وقت هي حاضرة ... كانما تنظرها مقلتي
في هالة الانوار ابصرها ... متى تصورها مخيلتي
تشبطة ان ذهبت او أتت ... كانما تخطر عن ظبية
متى متى اجعلها ثانيا ... في الحجر تحنو حولها ضمتي ؟
اشم منها زهرة فتحت ... تشذى شذى تحيا بها مهجتي
ما انس لا انس غداة رأت ... أصابعي تهوى الى قرصة
فاجفلت عني مرتاعة ... وثابة ترجف من حضرتي
قمت اجري خلفها فاذا ... بها باعلى الدار في وثبة
مرت كمثل البرق تطلع في ... مدارج للدار في قفزة
لم أصل حتى حنت فوقها ... أم دفوق القلب بالرحمة
ثم نكصت عالما أنها ... تدرعت عني بالجنة
وحينما تكشفت سحب ... من غضبتي حتى صفت نظرتي
راجعت نفسي فاذا بي أرى ... ذيالك التأديب من قسوتي
بنية صغيرة ما درت ... من بعد ما تاتيه من فعلة
لم تدر من رشدتها غية ... تذهب او تأتي بلا نية
اتاتا ، وانني عاقل ، ... ازن ما تأتي بعقليتي ؟
مالك يا مختار ؟ هل بلغت ... بك القساوة الى الغاية ؟
ما انتذا توخز وخزا بما ... قد كدت تجنيه على الطفلة
من لم تسد فؤاده رقة ... فهل يكون ، عوض ، للعشرة

البنية مريم

جاست استعرض من تركت ورائي من الاولاد الذين اودعتهم في يد العناية الالهية ، فانهم كلهم لا يتجاوز اكبرهم كثيرا عشر سنين . وأصغرهم البنية مريم التي رزقناها في البيضاء في السنة الماضية ، فهي وحدها التي لا تشعر الآن بمفارقة والدها المعتقل ، وهي الآن بعد سنة من مولدها ستحاول ان تدرج بين يدي من لا تزال بين سحرها ونحرها ، وقد كفيت بعدم ادراكها الهموم التي يتقلب فيها اخوانها من جراء فراق ذاقوا مرارته ، وعهدي بها وهي كما تقعد وتتبسم ، وتمد يديها اللدنتين الى كل من تعلم انه سيحملها عن الارض .

تذكرتها الآن ، فاستدعيت ربة القوافي لتمدني بما اسجل به هذه الذكرى ، فلبتني بما يلي :

مريم يا بسمة الحياة ويا ... نبع السرور لمن هما نجلا
نجمة سعد بدت على افق ... متى نراها كالبدر مكتملا
بين شغاف الفؤاد حبك قد ... ادار كاسا فعلني علا
ان تك بنتي صغيرة ما درت ... من بعد هذا الذي به وهلا
فعن وشيك تدري أبا طفحت ... اشواقه فغدت له شغلا
من كان يذهل عن رضيعته ... فعنك قط ابوك ما ذهلا
فأنت ، انت بنيتي ذكرى ... وان اكن في السجون معتقلا
في كل وقت اراك ماثلة ... عندي خيالا فاغتدى جذلا

26 ذي العقدة 1372 هـ

زعـــزعـــه

كان عون من آيت يوسي خرج معي يوما في وقت جولتي ، فافضى الـى بانه منخرط في الحزب ، فصرت اساره كلما خرج معي في نوبته ، ويفضي الي بكل ما عناك مما يتلقفه من الاخبار الرائجة ، وقد كان تزوج امرأة مـــن (اداوزيكي) بسـوس ، فكتبت رسالـة سرية فالقاها الى بعض تلامذتي فـي البريد ، ثم لم ينشب ان استدعـاه الرئيس فامره ان يضع لبـاس الاعـوان وان يذهب الى حال سبيله ، فذهب ليومه ، فاخبرت بذلك فسبق الى ذهنـي انه ربما رفت لوطنيته ، ثم صح عندي ذلك بعد ، كان ذلك ، ثم سافر الرئيس الى الدار البيضاء وترك خلفه النسيـان (ضابط صغير) وهو في غير مسلاخ الرئيس ، ثم بينما انا في بيت في الدار حول الحادية عشرة صباحا ، وانـــا مستند الى مخدة ، وفي يدي كتاب غرقت في مطالعته ، اذا بانسان ولج الباب، ثم اخذ بالمصراع ، فـاذا بالدقات تتتابع فيه يعالـج بها ازالة قفل فاسد كان الباب بسببه لا يغلق ، فكنت ادخل واخرج من الدويرة الى البستان منذ جئت ، كلما اردت ذلك ثم ادور في الساحة ذهابا وايابا على عادتي في التريض ، ثم لا اعد تلك في الساعات الرسمية التي اعطيت لي كمسجون ، فاني لا اقضيها الا بين الحقول النائية عن المركز ، فكنت اخرج متى شئت عند الحادية عشرة ، او بعد العصر قرب الاصيل ، فاستدعى احد الاعوان الذين يمكثون امام باب آخر يؤدي الى داخل المركز ، فاخرج معه ، هكذا حياتي منذ أشهر ، فكنـــت احس انه لا رقيب علي نهارا ، وفي الليل ياتي عون فيبيت وراء باب الدويرة ، فاسامره ما شاء الله ، ان كان ممن امازجهـم من الاعوان وكثير مـا هم ، ثم انني الآن لما رايت قفل المحل يعالج ، عرفت أنه سيقفل على الباب ، فلا تسل عما هجم علي من الهموم والغموم واعاصير الاكدار ، وانا اتصورني مغلقـــا على طول النهار والليل ، حتى لا اخرج الا في الاوقات التي قد يسمح لي بهـا ان كان لا يزال يسمح لي بها ، ان لم يكن ما اراه متسببا عن اجرام ينسـب الـي ، وما يدريني فلعـل الرسالة التي ارسلتهـا مع ذلك العون اليوسـي قد

بلغهم خبرها ؟ بل ما يدريني ان ما كنت أجول فيه من المحادثة في الوطنية وما اليها مع الاعوان ان خلوت بهم في الخارج أو باتوا عندي هو السبب لسد الباب دوني ؟ فلست ادري . وكل شيء ممكن .

هكذا ذهبت بي الظنون كل مذهب ، في الوقت الذي يشتغل فيه النجار بمعالجة القفل القديم ووضع قفل آخر ، ثم لما أتم عمله أغلق الباب دوني فبقيت كأني في لهاة التنين ، وقد اعتورتني الوساوس من كل ناحية ، فبقيت كذلك ، ثم أردت ان أعجم العود ، وأجس النبض ، لعلني أفوز بنبأ يقين عن السبب ، فأرسلت الى الجاويش ، فأتاني فجعلت اسأله عن أمور أوصيته ان يشتريها لي ، لانه المكلف أن يشتري من دراهمي ما أنا في حاجة اليه ، الى أن تخلصت اخيرا الى مقصودي ، فاذا بالسبب يتبين انه بسيط ، فقد تشكى الاعوان من كثرة الاشغال ليل نهار ، فأجال نائب الرئيس نظره فيما عسى ان يخفف به عنهم ، فقيل انه لا فائدة في السهر للمبيت عند فلان لانه ثقة لا يهرب ، ولا معنى لمبيت العون عنده ، فيكتفي باغلاق الباب دونه ، وقد كانوا يجهلون أن قفل الباب لا يغلق ، فلما علموا بذلك ارسلوا من أصلحه ، فاغلق الباب وصار لا يفتح الا في اوقات معينة على غرار المسجونين الاخرين الذين يوجدون في ناحية اخرى من المركز ، هكذا حكى لي الجاويش ، فانفسح بعض مابي ، ففوضت امري الى ربي وطلبت منه تعالى ان يقويني على حالتي الجديدة ، فاذ ذاك قلت القصيدة الآتية في اليوم نفسه ، وأنا لا أزال في بحبوحة من الاحزان)) .

يوم أيوم

أفي الباب ام في العين دقات مسمار فاني قد احسستها بين أشفاري
يدق على المصراع مسماره اذا بقلبي يلقى فوق دقات مسمار
فماذا جرى حتى بغتت كذا كما تباغت وسط الليل امواج زخار ؟

فبينا أنـــا في خلـــوة مستلـــذة كما يرشف الهيمان من ظلم معطـــار
اذا بولوج شـــت بشرى فجـــاة كما يفجأ الناطور اسـراب أطيار (1)
أمـن بعـد أن عـودت حريـة متـى أردت خروجا اغتدى قابـــع الغار ؟
أيوصـــد دوني كي اكون حقيقـــة سجينا فلا أنفـك حينـا عـن الدار ؟
أيغلـق دوني الباب ليل نهاريـــا لعيش ممر الـذوق غايـة امرار ؟ (2)
أأبقى بياض اليوم بين تقمـــع طويل فتشويني اللواعج بالنار ؟ (3)
أيذهـب مـا اعتـــاده منـذ أشهـــر من العيش منهارا عـلى جرف هـار ؟
فلا تبصر الشمس المنيرة أعينـــي سوى لمحة بين اصفرار واسفـــار
فمـاذا جـرى هـل كـان ثمة مقصـد جديد لتنغيصي وضغطي واسهـــاري
فماذا الذي أجرمت أيضـــا فقلبـت (تنجداد) لـي ظهر المجن لاضـــرار

* * * * * *

فيارب يا من لا يخيـــب الرجاء في يديه ولا يرضى لجـار بإخفـــار
اليك أمـد الكف يـــا رب كل مـــن يجول من الاعماق للفلـك الجـاري
ترى عبدك المختار في ضنك ما بـــه تهـــدده فـــي يومـه يـــد قهـــار
فرحماك يا من في يديـه تصـــرف كمـا شاء يحيـى او يميـت باقـدار
فكابوس هـذا اليوم ارخـى سدوله عـــلي بأحـزان تمـــوج واكـــدار
فزحزح بفضـل منـك يا رب كيد من يحـــاول اقفـــالا لبابي باجبـــار
فمـا لي هذا اليـوم صبر وان أكـن مدى عمـري فيما عـــرى جد صبـار

25 رجب 1372 هـ .

---

(1) الناطور بالطاء او الضاد : حارس البستان .
(2) يقال مر الشيء وأمـر : اذا كان ليس بحلـو المذاق ، كما يقال في عكس ذلك حـلا واحـلى .
(3) تقمع : جلس بلا شغل .

فـــرج جـــديـــد

منذ شهرين كان باب الدار مسدودا دوني ، فلا أخرج الا مرتين كما هو الشأن في المساجين ، ساعة صباحا بعد العاشرة ، واخرى بعد العصر ، ومن طبيعتي من قديم انني لا أستطيع الانحباس تحت السقف ما بعد العصر الى الغروب ، فليتصور القارىء ما أنا فيه الآن ، وقد كنت اشتكيت على الرئيس بعد مجيئه من سفر له الى البيضاء بما وقعت فيه من الحرج في صحتي وفي بصري حين الازم بيتا لا يسرح فيه البصر ، فقال لي : وماذا تريد ؟ فقلت : أريد ان أعطى وقتين آخرين زيادة على ما أعطى لي كمسجون ، فاخرج الى البساتين لاقضي هذين الوقتين الآخرين في الساحة امام مسكني تسريحا لبصري الضعيف وترويضا لجسمي النحيف ، فأنعم لي بذلك ، وأعطى الاوامر للاعوان ليمتثل امري في توزيع هذه الاوقات ، وحين كان ما بيني وبين الاعوان عامرا نظمت أربع ساعات في اليوم : ساعتان للخروج للبساتين ، واخريان لأتريض في الساحة أمام مسكني ، وليست الساعة الا رمزا ، والا فانها تطول كثيرا ، بل لم يكن الا نصف ساعة رسميا ولكن تحول بالاغضاء الى ساعة وقد يترك العون الباب مفتوحا بعد رجوعي من الخارج ، ويقول لي متى قضيت غرضك فاردد مصراع الباب ، وهكذا كان لي وقتان صباحا للخروج من المسكن ، ومثلها عشية ، ثم لا مراقبة علي في ذلك ، وان كنت اجتهد ان لا أتجاوز الحدود كثيرا .

ثم ان الرئيس الذي وجدته هناك والذي كان يلاطفني قد استبدل بغيره ، وهذا الذي خلفه عنجهي متغطرس ، فقد طلبت لقيه مرارا فلم يجبني ، وان كان لم يحدث في شأني اي تضييق ، ولا شعرت بانه اوصى في أمري بمراقبة زائدة على المعتاد ، وفي اليوم الذي جاء فيه الخبر بأن اخي الاستاذ عبد الرحمان وولدي سعيدا سيجيئان ليزوراني جاء الي هذا الرئيس الجديد مع الطبيب ، فسألني عن صحتي وهل احتاج الى طبيب ، فشكرت له صحتي ،

وحين جاء الزائران وجلست معهما في مكتبه ، قلت له ان الوقت شهر رمضان ، وانا اتعشى بعد أن أدخل الى المسكن ، والهضم لا يقع لي الا بالتريض ، وهذا ما احتاج اليه لتطبيب صحتي التي سالتني عنها ذلك النهار ، فسمح لي بساعة اخرى بعد المغرب في الساحة لاتريض للهضم ، فهكذا كان عندي خمس خرجات من المسكن ، فكنت اتعشى في الساحة من صلاة المغرب ، فأبقى فيها ، والوقت صيف حتى اصلي العشاء ويدب الى جفني النوم .

مكذا توسعتفي الاوقاتالتي افارق فيها المسكن ،فتمتجميع الاماني عندي بذلك ، وقد وزعتها كما اشاء ، فأخرج في الثامنة الى الساحة الى ما بعد التاسعة ، ثم في العاشرة ونصف الى البساتين حيث لا ارجع الا نحو الحادية عشرة ونصف ، ثم اخرج نحو الثالثة عشرة الى الساحة الى العصر ، ثم عند الاصيل أخرج الى البساتين ، ثم اخرج بعد المغرب حتى اصلي العشاء ، فهكذا حياتي الآن والحمد لله ، وارفع الشكر والحمد لله الذي لطف بي على ما انا عليه من عدم الاستقامة ، فليس هناك الا فضله ورحمته لعبيده ، اللهم زدني لطفا الى لطف ورحمة الى رحمة ، واتساع صدر في هذه الحالة التي انا فيها الآن حتى ينشرح قلبي لعبادة ربي .

وتحت تأثير هذا الفرح الذي استولى علي الآن قلت القطعة الآتية التي تكاد تجمع كل العلل :

هكذا أحرزت كل المنى

أزيد من اربع ساعات ... مرحى ، فقد احرزت منياتي
الحمد لله لقد نلتها ... كما اشاء خير ساعات
اختار في توزيع أوقاتها ... ما بين غدواتي وروحاتي
فكيفما اريد تمتعني ... تنفسحات بين جولاتي
أنهى وءامر الذي عنده ... حراستي بين الحراسات
فيسلس العون لكل الذي ... نظمته بوفق رغباتي

يسعد ما يسعد حتى اذا ... دعوته اذا به ياتي
البث ما البث في حجرتي ... ببهجة من غير اعنات
حتى اذا سئمت من كتبي ... ما بين منثور وأبيات
أجول ما اجول في ساحة ... قد أصبحت لي خير ساحات
وتارة بين البساتين في ... أحلى خمائل أنيقات
بسائط تموج نخلا فلا ... ينفذ طرف بالتفافات
والدافقات تتخللها ... كأنها بطون حيات
من لا يرى ارض سجلماسة ... وما بها من العمارات
وكيف يمشي بين أشجارها ... بين ظلالها الوريفات
لم ير بعد كيف يطفح ما ... بين الفجاج بالغراسات
وكيف تعمر الصحارى الى ... ان يستحيل القفر جنات
في غلبها الالفاف تفسح ما ... تفسح عيني بين خرجاتي
واستلذ جولاني على ... تلك الرياضات الاريضات
واحمد الله الذي كشفت ... نعماؤه جميع غماتي

. . . . . .

فهكذا احرزت كل المنى ... حتى تمليت شهياتي
والعيش ان تحيا سعيدا على ... مبتغيات مستطابات
من استطاب العيش في حينه ... فليله عن ماض وعن ءات

– ابتدأتها في 19 رمضان 1372 هـ ، وتمت في 25 شوال .

الجرائد وثقي الملك

كانت (السعادة) و (الوداد) و (القيامة) ، هي الجرائد العربية التي تصل الى هذا المركز ، وكان الرئيس يبعث الي منها كلما طلبت منه جريدة ، وكانت السعادة أقربها اذ ذاك الى نفس مثلي ، لانها تترفع أحيانا عن التهجم على القصر الملكي ، فترسل كلامها في تلك الزعازع كانها انما تحكي ما يقع في حين أن غيرها تأتي بالتفاصيل اللاذعة والصور المؤلمة ، وانما افضليتها في كونها لا تأتي بالفحش الصريح عن القصر واشياعه ، على عكس أختيها المجرمتين أبرز اجرام ، ولولا ان الانسان يريد استقاء بعض الاخبار من

عاتين مكرها لما استطاع ان يقربهما ، ولا ازال اتذكر انني كنت اقرأ مرة في (الوداد) مقالة تهجمية على بعض اخواننا المعتقلين ، فلم املك نفسي ان مزقتها غيضا مما فيها من عتك الاعراض ، وقد حرصت على ان اقرأ (السعادة) بتتبع ، حتى انني ارسلت قيمة الاشتراك فيها الى ادارتها باقتراح من المراقب ان اردت ان أقراها بتتبع فصارت تصلني بانتظام ، وفيها كنت اتتبع حركة مناوئي القصر واشياعهم ، ولذلك عرفت ان العاصفة على وشك الاندلاع حينما رأيت زعيم الحركة قد استدعي لحضور تتويج الملكة (اليزابيث الثانية (بلندن) . كأنما هو وحده الذي يمثل (المغرب) وعرفت ان ذلك من ارهاصات العاصفة ، كما توقعت وشك الانفجار حينما قرأت ان قافلته ابتدأت سيرها من (اكادير) الى (وجدة) ووراءه اربعمائة سيارة للقواد والباشوات ، وكذلك كان .

صارت وفود المناوئين تتجمع في (مراكش) وقد تبين لي الى اين المصير ، فبينما انا في الدار عند العشاء يوم الخميس 20 غشت 1953 م ، اذا بكاتب من كتاب مكتب المركز يسمى (عاشور) قد دخل علي لان العون ترك الباب غير مقفل ، فجعل المسكين يقول وهو سكران يكاد يفقد شعوره : ان السلطان نفي اليوم عن عرشه ، وبويع ابن عرفة ، فماذا نصنع ؟ قال ذلك كأنه يخبرني بما لم اكن اتوقعه ، ثم صار يهذر ويقول : ما نصنع الآن ؟ فقلت له بهدوء : ان الاولى لك ان ترجع الى محلك وان تملك اعصابك ، وان تعرف المركز الذي تشغله ، فدع الامور لمجريها القادر الحكيم ، أقول له ذلك تبريدا له ومحاولة ان يخرج عني بسرعة ، لانني لا احب ان يبلغ الرئيس ان له بي صلة لان ذلك يضر به وبي ايضا ، وكثيرا ما يلج علي هكذا حين يغلب عليه السكر ، اذا وجد الباب مفتوحا ، حتى انني كنت اتقي ذلك باغلاق الباب في الاوقات التي اعلم انه سيمر فيها من حولي الى مسكنه القريب من مسكني ، ولا اغفل عنا ان انوه بالايادي التي له علي ـ جزاه الله خيرا ـ فقد كان لا يطبخ طبيخا شهيا الا بعث الي منه ، بل ذبح في عيد الاضحى الذي مر بنا ذبيحة ثانية ذكر انه نواها لي ولطخ بقرثها باب مسكني،

وتلك عادتهم في الاضاحي ان يلطخ بفرثها باب من ذبحت عنه ، وكم فاكهة وشواء وكباب دس الي على يد اولاده جزاه الله خيراً ، وقد كانت لزوجته يد صناع في اجادة الطهو ، كما انـه اعـارنـي كتبا منها (شمس المعارف) الذي اشتغلت به هناك أزمانا ، ونقلت منه اذكارا ، ذلك هو السيد عاشور الذي جاء يبلغني الآن ما وقع لمولانا المحبوب جلالة الملك محمد بن يوسف،ولم يدر انذلك كان متوقعا من قبل،وان ابن عرفة كان مرشحا لمكانه منذ ابتداء الازمة،أما الآن وقد وقع ما وقع بما كاده الكائدون فلم يبق من ملجأ الا الله وحده الذي لا يغلبه قوي ، وان كان مـلا الجواء والبحار والبراري بالطائرات والبوارج والدبابات والجنود المحشودة ، وان (فرنسـة) العاتية المتجبرة المدلة بقوتها على هـذا القطر الضعيف ، قـد كسرت فقار ظهره بالتعدي عـلى العرش الذي له في قلب كل مغربي محراب ، فمن يستطيع ان يقف اليوم من بني الشعب أمام سطوتها، فقد سلطت اذنابها من الخونة المأجورين على الناس ، حتى لا يستطيع أحد ان يقول كلمة الحق ، ولكن الله موجود ، وفيه وحده الرجاء ان يتداركنـا بلطفه ، والا فقد ضاق النطاق ، واستحكمت الحلقات ، وتم الدست للمستعمر الغشوم ، على اننا لا نيأس من رحمة الله ، (انه لا ييأس من روح الله الاالقوم الكافرون) .

وقد حاولت أن أقول قافية في الموضوع ، ولكن هول الصدمة ، وجلال الموقف ، لم يفسحا لي أن أجد ولو مطلعا جيدا ، ارضاه لابني عليه ، فرأيت المثل الذي ارسله عبيد بن الابرص في قوله (حال الجريض دون القريض) حقيقة واقعة ومعلوم انه (اذا عظم المطلوب قل المساعد) .

كل ذلك زيادة على انني اسمع حولي اننا نحن المعتقلين سيجمعوننا فـي بناية احدثوها فـي (اغبالو نكردوس) وقـد تقدم اليها اخوان منذ أيـام سمعت انهم مروا صبيحة يوم قرب (كلميمة) فشغل كل ذلك فكري . حتى لم اعد أملك فكرتي الشاعرية ، وأعجب ما يعرفه عني القارىء ـ بعد اليوم ـ انني لا انشط لمفارقة مـا أنا فيه الآن من هذه الحيـاة الانفرادية ، الى مجتمع

(اعبالو نكردوس) لما اجده من متع شتى لا تتوفر لي الا بالانفراد ، ولكني مع ذلك افوض امري الى الله ليختار لي ما فيه الخير ، (أليس الله بكاف عبده) .

20 ذي الحجة 1372 هـ .

الجود والبخل

في زوال يوم الثلاثاء 26 من ربيع الثاني 1372 هـ ، كنت اخرجت من عندي تمرات فمددتها لعامل مسكين ، اتي به ليعمل في دور كتاب المراقبة القريبة من مسكني ، وكأنني استقللت في نفسي ما اعطيته ، فقلت في نفسي انني هنا احد هؤلاء الناس ، فكما انهم لا يأتون الي الا بقدر ما يحتاج اليه من المئونة ولو كان قليلا في اعينهم لا في عيني ، كذلك انا يجب علي أن أتمشى مثلهم ، فذلك هو السبب حتى قلت بديهة :

اجود هنا وابخل وفق ما قد ... اراه في الذين هم جواري

فاحيانا اسير الى يمين ... واحيانا أسير الى يسار

وليس البخل من شيمي ولكن ... (يحمر كل من دخلوا ظفار)

ومن أمثال العرب : (من دخل ظفار حمر)،أي من دخل مدينة ظفار (1)،التي هي عاصمة (حمير) يجب عليه ان يتكلم لغة (حمير) وسبب المثل ان بعض العدنانيين دخل تلك المدينة فجلس ليلا مع احد الحميريين على شفير سطح ، ثم قام فقال له الحميري : (شب) وهي بالحميرية اجلس ، ولكن العدناني فهم منها معنى الوثوب ، فسقط من شفير السطح ، فعاتب الحميري على تغريره به ، فقال له الحميري: (من دخل ظفار حمر) ، يشبهه الى أنه هو الذي يجب عليه ان يتعلم الحميرية لنزوله بين اهلها ، فسار قوله مثلا في وجوب التخلق باخلاق كل من اوى اليهم الانسان .

---

(1) ظفار كحذام : في البناء على الكسر .

في يوم 29 ربيع الثاني عام 1372 هـ ، خطرت فكرة التامل في كون غالب أصحاب الانسان اللذين يدورون حوله ، فيصانونه ما صافاه الدهر ويباعدونه ـ على الاقل ـ ان آنسوا من الزمان ازورارا عنه ، فتبين لي ان تلك حال هؤلاء البشر المساكين الذين لما تخرج بهم الانسانية بعد عن طورها الحيواني الاول ، فهم ما يزالون مرتبطين بالمنافع العاجلة ، اذا حضرت حضروا معها حيثما كانت ، واذا فقدت فقدوا معها ، وان الادب العربي ملىء بوصف امثال هؤلاء ، وما دامت القضية انسانية فلا شك ان في غيره من الآداب العالمية مثل ذلك .

وقد تكلم شعراؤنا العرب في ذلك وعقدوا في اقوالهم عنه نتيجة طول تفكيرهم ، واستخلاصهم عمومه في احوال البشر ، فقال احدهم :

الناس أعوان من واتته دولته وهم عليه اذا خانته اعوان

وقال ابن الخطيب السلماني في ذلك من قصيدة :

تلون اخواني علي وقد جنت علي خطوب جمة ذات الوان

وما كنت ادري قبل ان يتنكروا بان خوانيكان مجمع خواني(1)

بل ان بعض الادباء تخطى في هذه الفكرة موقف التأسف ووصف الحالة العامة في ذلك للناس ، فاعتبر المعرضين عنه كالطيور تسقط اذا سقط الحب وتطير اذا نفد ، فقال:

---

(1) اتى ابن الخطيب رحمه الله في الشطر الاخير من بيتيه بالجناس التام في كلمة الخوان بضم الخاء ، فهو في الاولى لغة في الخوان الذي يوضع عليه الطعام فيجتمع عليه الاصحاب ، وفي الثانية جمع خائن .

يـــا أيها المعرضـــون عنـــي عودوا ، فقد عاد لي الزمـــان

فكانما يقول لهم عودوا أيها الكلاب فقد عادت الجيفة .

وبعد ما استعرضت ما اعرفه في ذلك من أقوال الادباء وتفننهم استحضرت المثل الآتي فقلت :

بعـــض الاســـى نتولـــى مثـــالـــه كالقـــرلـــى (1)
اذا رأى منـــك خيـــرا يرجـــى ، دنـــا ، فتدلـــى
وان يشـــم بـــرق شـــر أبـصـرتـــه يتعـلـــى
لا خيـــر فـــي كـــل خـــل يكـــون للبخـــت ظـــلا (2)
يدنـــو اذا مـــا تدانـــي وان تـــولـــى تـــولـــى

بقـدر كبـر النفـس تعلـو الهمـة

كنت صبيحة يـوم الاثنين 28 رجـب 1372 هـ ، اتامل فـي حالتنا نحن المعتقلين من أجل هذا الوطن العزيز ، وما نعانيه من محن في حين أن كثيرين سوانـا ينعمون برغد العـيش والسلامة والطمأنينية ، فرأيت ان الفرق بيننا وبينهم هـو أن نفوسنـا تعلقت بمطمـح صعب المنـال خارت نفوسهـم دون الطموح اليـه ، وشرفنا الله تعالى بالاهتداء للسعـي الى تحصيله ، فجعلت استعـرض أصحابنا أمام فكرتي وما خلفـه كل واحد منهم من المال والاهـل والولد ، راضين بهذا المعتقل الذي لا يعلم الا الله مصيرهم فيه ، فلم أشعر أن جرى على لساني بيت المتنبي :

---

(1) القرلى بكسر القاف والراء ، وفتح اللام مشددة : طائر مائي شديد الحـذر ان رأى ما يلتقطه غاص بسرعة ، وان رأى ما يحذره طار بسرعة .
(2) البخت كلمة فارسية عربيتها الحظ ، وقد شاع استعمالها على أصلها فـي العربية .

واذا كانت النفـــوس كبارا تعبت في مرادها الاجســـام

وكما ان الحديث ذو شجون فان التفكير ايضا مثله ، فقد جرني تذكر بيت المتنبي الى تذكر بيتين مثله وهما :

وقائلـة لـــم عرتـك الهمـوم وامرك ممتثل في الامـــم
فقلت ذريني عـــلى حالتـي فان الهموم بقـــدر الهمـــم

ثـم انساح بـي الفكر فـي هذه النظرية يقلبها عـلى كل وجوهها ، فاذا بشاعريتي انا ايضا تحاول اقتحام الموضوع وولوج باب الشعر على ارباب العفلقين فاجدني الوك هذه الابيات :

عاطفة النفس اذا لم تصـــن صاحبهـا تجرفـه جارفـة
بقدر ما تكبر نفس الفتـــى تكبـــر فيـه الهمـة العازفـة
والنفـــس لا تكبـــر الا اذا ما أفرغت في كبـــر العاطفـة
يا سعد من يعيش في مثلهـــا ينعـم فـي ظـلالهـا الوارفـة

الناس في نظر ابن عباس

كنت يوم 30 ربيع الثاني 1372 هـ ، اطالع كتابا فاذا فيه ما نصه :

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : الناس في الحنيا ثلاثة :

(مومن يتزود ، ومنافق يتزين ، وكافر يتمتع)

وبعدما امعنت النظر في كلام ابن عباس هذا لاعجابي به غاية الاعجاب ، عقدته في هذين البيتين :

الناس في نظر ابن عباس لهم ما بين اصناف الانام تنـــوع
هم مومن متزود ، ومنافـــق متزين ، او كافر متمتـــع

وقد ذكرني هذا العقد ما كنت صنعته قديما في قول علي بني ابي طالب كرم الله وجهه :(لاتصاحب من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه) فقلت :

لا تصحبن الا المعين بنفسه او قلسه
لا خير فيمن لا يرى لك ما يراه لنفسه

وما كنت صنعته قبل ذلك في قول ابن عطاء الله (اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون) .

ارحك من كل هم فالهم أمر شديد
فراحة القلب اولى من كل ما تستفيد
فما يكون اراده ان لم يكن ما تريد

عقد حديث

في الحديث (ليس الغنى من كثرة العرض (1) ، ولكن الغنى غنى النفس) فعقدته بقولي على لسان الحضرة الالهية :

ليس الغنى عن كثرة العرض لكن غنى بما به أقضي
أقضي على عبدي ومن لم يكن يرضى القضا فلينأ عن ارضي

التوبة الحق (2)

للامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كلام في التوبة عقدته في هذه الارجوزة :

---

(1) العرض بفتح العين : كل متاع سوى النقود .
(2) لفظة الحق مصدر، ومن المعلوم ان المصدر ينعت به ويلتزم فيه التذكير والافراد ، واما قولهم مثلا ، التوبة الحقة ، فلحن .

قال علي وعلي ان يقـــــل ... فقوله مَذى الفقار ان يصل (1)
ان متـاب الكـــاذب الفجـار ... سرعـــة توبـــه بالاستغفـــار
وانما التوبة حقـــا ما حـوى ... ستة اوصاف وغيرهـــا هـــوا
ندامة المرء على ما قد مضى ، ... وان يكن ضيع فرضا فالقضا ،
رد المظالم ، بكـاء المقلـــــة ... بقـدر ما ضحك حيـن الغفلة ،
وأن يذيب النفس في الطاعـات ... والاجتهاد سائـر الاوقـــات
حتى تذوق من مرارة الخضوع ... بقدر ذوقها حـــلاوة النـزوع ،
ومن يتب وهو على استهتـار ... توبتـه تحتـــاج لاستغفـار
يارب جـلل عبـدك (المختار) ... توبـة حـــق ليرى مختـــارا
فانمـا التوبـــة بالاخـلاص ... ونفـره القلب مـــن المعاصـي

يوم الاثنين 29 رمضان 1372 هـ .

---

(1) ذو الفقار اسم لسيف الامام علي بن ابي طالب .

الحمد لله وحـــــده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

حمدا وشكـرا لك يا رب ، فقـد انعمت على عبـدك المختار نعمة اخـرى حين نقلته من تنجداد الى ما بين اخوانه في (اغبالو نكردوس) ، فافتتحت بذلك أمامه صفحة اخرى ، وكنت قبل هذا النقل اثر ما سمعت باننا سنجتمع هنا اتلو كثيرا هذه الآية : (وأفوض امري الى الله) ، خصوصا بعد الصلوات ليختار الله لي ،لانني استأنست بوحدتي هناك ، ووجدت روحا وريحانا فيها، وكنت أتخوف ان أصادف في هذا المجتمع من لا يوافقون ، لان الناس طباع واجناس واذواق ، ولكن الله تعالى لما اختار لي فانتقلت وجدت كل الاماني بين هؤلاء الاخوان ، وكل ما أمكن لي أن اسطره من جديد هنا من بنات القوافي فسأودعه في صوان ، كما انني سانظم ان شاء الله ما كنت قلته قبـل ذلـــك في تنجداد ، وقد كان آخر ما صدر مني في تنجداد هذه الارجوزة التي قلتها هناك عند العاشرة من صبيحة يوم الانتقال ، وهو الاثنين 27 ذي الحجة عام 1372 هـ وقد قلتها تحت خاطرة من الخواطر التي لا تكاد تفارق من هم تحت جونا المكفهـــر ، وهـي :

تلـــك البدايـة متى النهايـــة ان النهايـــة تـلي البدايـــة
اليك ربي وحـــدك الشكايـــة ففيـك يا مولاي لـي الكفايـة
مولاي أنت ، يا لها ولايـــة عنايـــة ما مثلهـا عنايـــة
أونس منهـا كـل حين آيـــة تنشر بالرحمى علي رايـــة
كيف أخـاف بعـدهـا اذاية ؟

تنفست هذه التنفسة عند العاشرة ، ثم لم تمض الا ساعة اذا بي اعلمت بان اجمع متاعي للانتقال الى (اغبالو نكردوس) ، فعددتها من الدعوات المستجابة وشيكا ، وعند العصر ركبت ومتاعي ، فوصلنا قبل المغرب ، فانفتح باب جديد سيستتبع دروسا واعمالا متشابهة ، كما اتراءاه منذ هذا اليوم الاول ، ولكنني لا اعتني منها بالتقييد الا بما يتعلق ببنات القوافي من الاخوانيات وان كانت لا تمثل الادب العالي ، على انه قد تشغلني الدراسات وجمع الدروس وتنظيمها لمن أراهم يتعطشون للاخذ من موالاة المذكرات كما ينبغي ، فاقنع بما سنح ايها القارىء الكريم .

الكومنـــدار يبـــوء بالفشـــل
من طرف المعتقلين

كنا ذات يوم متفرقين في البستان على عادتنا ، فمنا من يغسل ثيابه ، ومنا من يطالـــع ، فاذا بعون يجري الينا يامرنـــا ان نلبي في الحين داعينا الى المعتقل فرجعنا توا الى محلنا ، فاذا بالرئيس على هذه الناحية ، الكومندار في (كلميمة) هـــو الذي طلب استدعاءنا اليه ، فسالنا الرسول عـــن السبب ، فقال ان الكومندار دخل بغتة الى المعتقل ، فمر بالاستاذ ادريس المحمدي وبين يده كتاب ينظر فيه ، فاستمر على النظر في كتابه ولم يعر الكومندار اهتماما ، بل ولا التفت اليه حتى التفاتة ،فلما مر الكومندار التفت ضابط كان معه الى الاستاذ المحمدي وجعل يعظم له عاقبة الجريمة الكبرى التي ارتكبها بعدم اهتمامه بمرور الكومندار أمامه ، فمـــا زاد الاستاذ عـــلى أن قال له : انننـــي لست هنا لأحيي الرؤساء او غيرهم ، فاسرع هذا بابلاغ هذا الجواب الجاف الى سيده الكومندار فقامـــت قيامته ، وأمر في الحين باستدعـــاء المعتقلين كلهم اليه ليلقـــى عليهم درسا من دروسه المعتادة على الضعفة والجهال وأصحاب العزائم الخائرة ، فيزداد شفوفا الى شفوف الرئاسة ، ويزدادون ذلة الى ذلة الاعتقال .

ولما وصلنا الى هذه الساحة الفسيحة اهوى الينا الكومندار من ناحية ، فأمرنا ان نسير كلنا اليه ،ونحن في شبه نصف دائرة،فلما قاربناه، اشار بيده يستوقفنـــا لئلا نصل اليه ، فوقفنا ورؤوسنـــا الى أعلى ، ولم نؤد له التحيـــة على عكس ما كان ينتظر . أجال فينا طرفه فرأى العيون محدقة فيه ، وشاهد الوجـــوه يعلوها غير مـــا يعتاده مـــن الخنـــوع والاستخذاء والاهطـــاع ، فصار يتأخر خطوات قليلة تأخرا تصاحبه غبرة تعلو سحنته ، في الوقت الذي يشير الينا فيه ان نقف عـــن السير اليه ، ثـــم بدأ يتكلم ، فلم تلبـــث الاجوبة ان تهالت عليه على مقتضى كلامه ، وكان الذي تولى محاورته بالفرنسية هـــو

الاستاذالفاسي الشهم (1) ، فطالت المراجعة واحتدت ، وبعد حين رأيت الاشارات تدور حول صورة لجلالة الملك المحبوب سيدي محمد بن يوسف المنفي مثلنا ، وقد كان الاستاذ الفاسي علقها على صدره منذ امس حين أقمنا عيد العرش هناك بالرايات والخطب والمشروبات والمطاعم الفاخرة ، ولم أكن أعرف ما يتحاورون فيه بالفرنسية ، ثم لما سألت عرفت ان الكومندار نـدد بالمعتقلين الذين لا يعرفون ان يتأدبوا فيؤدون الى رؤسائهم التحية ، وكان من أوائل ما أجابه به الاستاذ الفاسي : اننا امرنا ان لا نكلم احدا أيا كان ، كما أمر كل من عسى ان يتصلوا بنا ان لا يكلمونا ، فأنت الـذى خرقت القوانين بما طلبت من المكالمة غير الرسمية ، فبأي قانون جديد تريد ان تخرق القانون القديم ؟ ثم تجوذبت بينهما احاديث على هذا النمط ، ثم لما لمح صورة الملك على صدرة الاستاذ ، سأله عنها ، فقال له انها صورة ملكي وملك شعبي والذي أفديه أنا وكل افراد هذا الشعب بانفسنا ، فقال الكومندار : ان الملك الشرعي هو الموجود الآن على العرش ، يعني ابن عرفة ، فلا بد ان تزيل هذه الصورة الآن ، فقال الفاسي كيف أزيلها وهي تمثل من هو عندي الملك الشرعي الحق ؟ ولكن في امكانك أنت ان تزيلها بيدك ، وهاك صدري فازلها منه ـ وأعلى الاستاذ صدره اليه ـ فمد اليها يدك ان استطعت فبهت الذى كفر ، وصار يود ان يجد طريقة للتملص من هؤلاء الصناديد الذين تجاسروا على اهانته بهذه المراجعة امام اعوانه واتباعه من الضباط الواقفين وراءه ، فانسحب على خزي يجر ذيول الخيبة والفشل ، بعد ان كان يأمل ان ينقلب بالفوز والانتصار ، فلما ولى عنا اجتمعنا في حلقة مستديرة نستمتع بانتصارنا عليه ، ولا نبالي بما عسى ان يكون بعد ، فمنتهى ما يخاف في مثل موقفنا هو السجن ، وها نحن اولاء فيه ، وصرنا كما قال المتنبى : (أنا الغريق فما خوفي من البلل) .

---

(1) هو الاستاذ الالمعي سيدى محمد الفاسي مدير جامعة القرويين سابقا ؟

ذلك هو الموقف الذي صدرت عنه القصيدة الآتية ، اثنى فيها على الاستاذ ادريس المحمدي الذي ابتدأ المعركة بكل اقدام وصمود ، ثم على الاستاذ محمد الفاسي الذي استتمها بكل اقدام وشجاعة واخلاص وصراحة ، ونظرا لما بين الاستاذين الآن من التنافس على رئاسة المعتقل ، لم يمكن لي أن اظهر القصيدة هنا رغم كوني ابتدأتها يوم الحادث ، فقررت اخفاءها الى يوم آخر تظهر فيه الاسرار ، واذ ذاك اخرجها الى الوجود ، كما اخرج ان شاء الله كثيرا من المقطعات اضطررت الى اخفائها اليوم لذاك او لغيره من الدواعي الاخرى ، وها هي ذي القصيدة :

بالحق صاولت لا بالبيض والاسل ... الله درك يا فاسي من بطل
ادريس انهل بدءا بالابتداء وقد ... ثنيت انت بما صاولت بالعلل (1)
جاء الكمندار مختالا كعادته ... يظن ان ليس في (كردوس) من رجل
فجئتما انتما بالحق يخذله ... ومن تخطى سبيل الحق ينخذل
معودا امتثالا في أوامره ... فمن يشر نحوه بالامر يمتثل
يرى الجميع بعين ليس يفتحها ، ... فيما تراءى له ، الا على هبل
يسطو على كل اهلي يراه كما ... يسطو خلال الغضا ذئب على حمل (2)
لذاته هي تحايا من له حشروا ، ... وان يباغت يحيوه على عجل
فكلما مر فالايدي تبادر أن ... تعلو ، ويا ويل من عن ذاك في شغل
أليس يعجب في (كردوس) حين يرى ... (ادريس) عنه تولى غير مهتبل ؟
فهل يمر الكمندار الرئيس ، وما ... أبدى التفاتا ولم يقم ولم يبل ؟

---

(1) النهل محركا : الشرب الاول ، والعلل كذلك : الشرب الثاني .
(2) الغضا : من أشجار الغابات .

عيناه في دفتر ، والرجل منه على ... أخرى ، سكون جماد غير منفعل
كأنه ما أحس الناس في وهل ... فهو بطالع بالاكباب في مهل
أليس يغلي الكمندار الرئيس على ... من يلتقيه وما حيا ولم يهل ؟
مجيئه باغت الاعوان فانجفلوا ... وما لادريس منه غير منجفل ؟
فهل تهز بني (كردوس) بغتته ... وطرف ادريس لم يطرف ولم يمل ؟
اني يطيق الكمندار الاهانة من ... أسرى يعدهم من جملة السفل ؟
كأنهم لم يكونوا شاعرين بأن ... قد جاء من ينجز الايعاد ان يقل
فهل يكون رئيسا ثم يحقره ... من ليس يرضاهم من جملة الخول ؟
الا تفور براكين الرئيس على ... أعوانه وسط هذا الحادث الجلل ؟
(هيا اجمعوهم أمامي) صرخة حفزت ... الى الكمندار توا كل معتقل
فاستوقفوا حوله في صف دائرة ... كما استدار هلال الشك في الطفل (1)
يريد من جمعهم ان يصبحوا ذللا ... والله يعلم من يغدو من الذلل
من يستمت لا تضره ذلة عرضت ... (فهو الغريق فهل يخشى من البلل)

* * * * * *

ها هم أولاء أباة الضيم هل وقعت ... عيناه فيهم على هيابة وكل ؟
هل قابلوه بغير الشم ، او نظرت ... اليه منهم سوى محمرة المقل ؟
فهل رأى من بني (كردوس) أجمعهم ... الا ابـاء رءاه مضرب المثل ؟
فهمة الوطني الحر تعزف ان ... تنماع بالعقل ، او تنصاع بالجدل (2)

---

(1) الطفل : ما بعد العصر قرب غروب الشمس .
(2) انماع الملح ونحوه : ذاب . وانصاع لكذا : انقاد ، والعقل جمع عقال ، وهو رباط البعير ، ويقرا هنا باسكان القاف ، والجدل بضمتين : جمع جديل وهو ما يقاد به .

أين التحيات بل أين الذي ألفت ... عينا الكمندار يعلو كل مقتبل ؟
وانما هي انظار محملقة ... اليه حملقة الابواز للحجل
تصطف قدامه في اليوم طائفة ... ما مثلها شام من أيامه الاول
تقدمت ، فاجال الطرف ثم بدا ... منه التأخر خطوات على عجل
يخطو وراء ، وايديه تشير : قفوا ... مني هناك . أهذا منه عن وجل ؟
ماذا عراه سوى ان شامهم شمما ... فسمه منهم ضرب من الخبل
قد كان يحسبهم ظربى ذوي خور ... اذا به يبصر الآساد في الدغل (1)
فخامرت حمرة عجلى ملامحه ... من فورة الدم ، لا من حمرة الخجل
وقد تخاذلت الاطراف منه كما ... يبدو جليا فيا للناس للرجل !!
ظل يرغو رغاء الفحل ان هدرت ... يوما شقاشقه في شول الابل (2)
ثم اندلقت سريعا كي تصاوله ... يا فاسي الشهم عن اصحابك الصؤل(3)
هل أنت الا قتول الحق من قؤل ... لكل حق ، على رغم العدا ، فعل
دعا : نزال ، لسان الحال منه فهل ... الفاك بين يديه خير مقتتل ؟
قد كان شر مثال المبطلين ، اما ... بين المحقين لاقى خيرة المثل
وقفت منه وقوف الند تنظره ... وجها لوجه بطرف في السماء علي
يرمي ، وترمي ، ومن تضعف نكايته ... في خصمه في الوغى يغلب فينجدل
قولا بقول وبرهانا ببرهنة ... ففيل الرأي منه مقول الجدل
حتى الاشارات من كفيك مصمية ... أهداف كل الذي قد حاك من خطل
وفي الاشارات أسرار تدل على ... ما لا تدل عليه اللسن ان تقل
كذاك أمطرته الأحجار هابطة ... عليه ، يا أيها الاستاذ ، من جبل

. . . . . .

---

(1) الدغل : الشجر الكثير الملتف .
(2) الشول كالركع ، جمع شائل وهي الناقة ترفع ذنبها تعرضا للفحل .
(3) الصؤل بضمتين جمع صئول كالقئول ، والفعل في البيت بعده جمع قئول وفعول .

ما أنس لا أنس عمري صورة رسمت ... لصاحب العرش حازت غالب الجدل
لاحت على صدرة الأستاذ مشرقة ... اشراق بدر من الخضراء مكتمل
عني العزاء لنا فيما نكابده ... يستلهم الصبر منها كل معتقل
درى الكومندار مغزاها فاضرمه ... غيظا على أننا بالسجن لم نحل
فصاح صيحة مبهوظ وقال : **ازل** ... **ما فوق صدرك حتى لا ارى ، ازل (1)**
فقلت حاشا معاذ الله انزعها ... فهناك انت اذا ما اسطعت فلتزل
وملت تعلى اليه الصدر معتدلا ... محدقا غير مياب ولا وجل
فها له ما رأى ، فما استطاع لها ... مسا ، فهل يا تراه مس بالشلل
قد ود ان لو ازيلت غير أن يدا ... تطيق ذلك لم تخلق من الازل
تحديات توالت ثم انكشفت ... عن صورة الملك المحبوب لم تزل

. . . . . .

كانت محاورة هوجاء فورتها ... اجت بمشتعل في اثر مشتعل
مقالة تتراءاها مصدقة ... اذا بتكذيبة ممدودة الطيل (2)
أخذا وردا وءاراء مبهرجة ... ومن يكن رايه وفق الهوى يفل (3)
كل يقول ولكن الحقيقة هل ... يخفى ضحاها ؟ فليس الكحل كالكحل

. . . . . .

لم أدر ما ارتطموا وان أكن معهم ... وجاهل النطق يضحى شبه منعزل
لكن أمارات ما قد قيل بينة ... وكل ما تستشف العين منه جلي
فكل احساساتي طابت لذاذتها ... بما استشفت كما تمتص من عسل
فكلما أومئوا وسط الحوار سرت ... سراء تنقع ما بالقلب من غلل
فهل يغادر ان نلت المنى قبلا ... ممن يعاديك من حزن ومن علل

. . . . . .

---

(1) المبهوظ : من كلف مالا يطيقه ، والمغلوب .
(2) الطيل بكسر ففتح : الحبل .
(3) فال الراي : اخطأ .

فيالهـا ساعـة تمت أمانينـا فيها فمسنا بها في غاية الجذل (1)
عذ الكومندار ولى بعد أن خسرت يداه يسحب اذيالا من الفشل
ولي وقد غمر الاخفاق سحنته من بعد ان غمرته موجة الامل
أتى يشايعه ذاك الغرور وقد شيع بالخسف خسف الخزي في القفل(2)

. . . . . .

كذاك شاهد (كردوس) محاورة ما ان لها شبه في أي معتقل
ادريس أوقد ، والفاسي سجر من اتونها بافتحام المقدم البسل
كلا مما بطل مر النضال وما يحمى الحقيقة غير البهمة البطل (3)
من لا يفرق مابين الرجال فما أضحى يفرق بين الصفو والزغل (4)

عرشنا من القلوب لا من الاعواد

كنا نوعد من أواسط ربيع الاول 1373 هـ بأننا سننقل الى البناية الجديدة التي بنوها لحشر المعتقلين السياسيين فيها كي ينقطعوا عن العالم في حالة ما اذا تم لهم ما بيتوه من استكانة الشعب واستخذائه للامر الواقع الذي جعلوه أمامه ، وصرفوا عليها ستة عشر مليونا من الفرنكات فيما قيل ، ولكن الايام تمر دون أن نرى لذلك الوعد انجازا ، وكانت أمانينا ان ندخل البناية لنتوسع في المضاجع والمثاوي ، ولنتصل باخواننا الذين قيل لنا انهم سيلتحقون بنا يوم الانتقال ، ثم ذاع بعد اواسط الشهر ان الدخول اليها محقق وان الاخوان سيردون اما غدا واما بعد غد ، فصرنا نتهيأ للترحيب بهم ، وجعلنا نعد لهم كل ما نعبر عن عواطفنا الفياضة أشواقا ، فقلت أنا القصيدة التالية أصف

---

(1) الجذل : الفرح .
(2) القفل : الرجوع .
(3) البهمة بالفتح : الشجاع .
(4) الزغل : الغش .

فيها كيف نتلاقى بهم ، وكيف نتعانق معهم ، ثم وصفت من الافكار التي تتوالى علينا من تتابع المواعيد التي لا نرى لها تحققا ، ولا لفجرها طلوعا ، وتلك عادة فرنسية معلومة لدى الذين احتكوا بمكر الفرنسيين واحتيالهم ، كما ذكرت فيها قضيتنا من طلب الحرية والاستقلال ، والتفاف الشعب حول العرش وما يرد علينا فيثلج صدورنا من اعمال الفدائيين التي نقرأ عنها في الجرائد التي تسرب الينا ، والتي تلتقط في الاذاعات فتنظم وتصلنا في الحين سرا ، فنتلقى منها اعمال المجاهدين بكل اعجاب واكبار ، وبينما انا منهمك في القصيدة عشية 25 من الشهر ، اذ اعلن الينا ان زيارة العائلات قد قطعت عنا ما دام (الارهابيون) يرعبون المدن باعمالهم المظفرة ، وقد يتوهم المستعمرون ان من عند امثالنا تصدر الاوامر الى الفدائيين ، فلذلك قطعوا عنا المواصلات ، وقد يرمون من وراء ذلك الى ايهام اهالينا عنا ما يريدون من أراجيف ، كي يؤثروا على زعمهم في المجتمع ليخف (الارهاب) ولكن هيهات هيهات .

نطلب الله ان ييسر عن قريب ملاقاة اخواننا الذين نحن اليهم في اشواق متزايدة ، خصوصا الاخوان الاستاذ محمد الحمداوي ، والنابغة المهدي بن بركة ، والعلامة ابا المزايا ابراهيم الكتاني ، اكتب هذا ونحن لا نزال في الانتظار ، ثم انتقلنا من معتقلنا القديم الى البناية الجديدة ، ثم كثر تردد مجيء الاخوان يوما اثر يوم ، ثم وردت الجماعة ، وهم تسعة ، في 2 ربيع الثاني ، فتلقيناهم بأيدي الفرح والابتهاج ، فاقيمت لهم حفلة ألقيت فيها هذه القصيدة ، وقصيدة للاخ فضول الصائغ ، وخطبة طنانة لعبد الهادي الحلو الرباطي ، واخريان للاستاذ محمد الفاسي والاستاذ المهدي بن بركة ، فمضت حفلة لا نظير لها في أي معتقل صراحة وتصفيقا بكل حرية وانطلاق ، والى القارىء القصيدة :

أليس يوم اجتماع الشمل بالعيد

بشرى قد انتظم الياقوت في الجيد ... أليس يوم اجتماع الشمل بالعيد (1)
اليوم نرقص بالافراح أغنية ... نشوى فترسل من شتى الاناشيد (2)
نشوى براح ملاقاة مصفقة ... هناءة ، لابراح من عناقيد (3)
يميل بعض الى بعض معانقة ... كميلة الهيم شامت ماء مورود (4)
معانقات قلوب طالما لهفت ... بالشوق بين صدور الاخوة الصيد (5)
قلب لقلب بمغناطيس عاطفة ... قد وحدتها المبادى اي توحيد
تعانقوا وهم الانداد تضحية ... وعزمة كاشتباكات الاماليد (6)
ما فيهم غير من جلت بطولته ... ليث لليث وصنديد لصنديد (7)
حدتهم المثل العليا ونجذهم ... من الطواغيت بطش غير محدود (8)
جند الفداء العزوف المستعد بما ... فيه اعتزاما ، يلبى كلما نودى
أهواؤهم أفرعت في الذود عن وطن ... يحجى بنوه نقادا في يدي سيد (9)

---

(1) الجيد : العنق .
(2) نشوى : سكرى .
(3) مصفقة : مصفاة ، هناءة : بالتاء لاهناء بدونها وان ورد مولدا ، ومعناها التيسير بلا عناء ولا مشقة .
(4) الميلة بالكسر هيأة الميلان ، والهيم جمع اهيم : الجمال العطاش ، وشام الشيء : ابصره .
(5) لهف : حزن وتحسر ، والصيد جمع اصيد : الاسد والرجل الذي يرفع رأسه تكبرا .
(6) الاماليد جمع املود : الغصن الناعم .
(7) جلى :سبق في الحلبة والصنديد : السيد الشجاع .
(8) حد السكين : سنه وامضاه وشحذه . نجذه : حنكه . الطاغوت : المعتدى غير محدود : لا حد له .
(9) حجا يحجو : ظن . النقاذ بكسر النون : جمع نقد بالتحريك : صغار الغنم. السيد بالكسر : الذئب .

مناهم ان يرى استقـــلال شعبـــهم موحـــدا لا شظيـــات العباديـــد (1)

انى يطيب لشعـب ان يعيش ولـــم يكـن بمنتظـم الاطـراف منضود (2)

يـــرون كـــل عنـــاء دون منيتهـم حلوا كرشف الثنايا الفلج من غيد (3)

فهل يرى الحر ليل السجن معتكـــرا الا كاشـراق صحـو بكرة العيـد (4)

او هل يرى النفي الا فرصة سنحـــت تزيـد متنيـــه تهنيـدا لتهنيـد (5)

ها هم اولاء بنو الطغيان قد لمسـوا الا التصلـب لا اهطـاع رعديـد (6)

يا طالما نكلـوا تنكيـل محتـــدم كيمـا يهدوا فلم يحظـوا بمهدود (7)

وامعنوا علهـــم ان يونســـوا خـورا بين الصفوف ، أشاموا اي تعريد؟(8)

نفوا وزجوا بأعماق السجـون فهـل زادوا سوى الزيت في نيران موقود ؟

كم فتنت خـــدع التهديد بطشتهـــم لكن ابالت رواسينـــا بتهديد ؟ (9)

---

(1) العباديد : الفرق من الناس ، ولا واحد له .

(2) المنضود : المرتب المنتظم .

(3) الفلج جمع افلج أو فلجاء وهو من به فلج بفتح اللام : وهو انفراج بيـن الاسنان . والغيد جمع غيداء من الغيد بالتحريك : وهو ميلان في العنق ، أو لين في الاعطاف .

(4) اعتكر الليـــل : اظلـــم .

(5) هند السيف : شحذه وسنه وامضاه .

(6) اهطع في السير : أقبل خائفا حاني الرأس ذلا ، الرعديد : الجبان .

(7) هده الشيء ضعضع قوته ، ولم يحظوا : لم يفوزا ، والمحتدم : الغضبان.

(8) الخور : ضعـف العزيمة ، وشام الشيء : نظـره ، وعرد : زاغ عن الصف في الحرب .

(9) بالى بالشيء يبالي : اهتم ، والرواسي : الجبال الرواسخ .

في كل يوم كياد كي تلين لهم ... قناة شعب من الفولاذ مقدود (1)

بالامس قد بددوا واليوم قد جمعوا ... كادوا ، أبالجمع كادوا ام بتبديد ؟(2)

ابعدما وصلوا الاسلاك بان لهم ... ان يقطعوا ، بالخبط من عرابيد (3)

اكلما ابرموا امرا تعقبه ... بالنقض منهم تدابير الرعاديد (4)

ترددات غدت مرداس غورهم ... امنكم اي منبوز بتبليد (5)

اخلتهم جهلوا ما بعد نظرتنا ... انحن نصطاد يوما بالمكاييد ؟ (6)

امثلنا يا بني التاريخ يخنع ان ... سيم الهوان بتنكيل وتشريد ؟ (7)

هل المغاربة الاقحاح يمكن ان ... يحنوا الرؤوس احتيارا للمقاويد (8)

فقد نمزق لكن لن نرى ابدا ... نرضى بتقديم عرنين لاقليد (9)

---

(1) القناة معروفة ، ولانت قناة فلان : كناية عن ضعفه ، والفولاذ معدن اقسى من الحديد ، وقد السير من الجلد : قطع منه .

(2) المراد بالبيت ما فعل بنا من التفريق اثر الاعتقال ثم جمعنا اليوم هنا في (أغبالو نكردوس) .

(3) العرييد السكران المتخبط ، المراد بالبيت ما أعلن لنا في 25 من هذا الشهر بانقطاع زيارات عائلاتنا ريثما ينقضي الارهاب .

(4) اخذ ابرام الامر ونقضه من ابرام الحبل ضد نقضه ، وتعقبه جاء بعده ، والمناكيد جمع نكد بفتح الكاف وكسرها واسكانها : قليل الخير .

(5) المرداس حجر يرمى في البئر ليعرف مقدار غور الماء فيها .

(6) جمع مكيدة زيدت فيه الياء للضرورة وذلك جائز .

(7) خنع : ذل وخضع .

(8) المقاويد جمع مقود : ما تقود به الدابة .

(9) الاقليد البرة التي تجعل في أنف البعير ليقاد منها ، والعرنين ما فوق الأرنبة من الانف وقد يطلق على الانف كله .

فليعصفوا مثل ما تملى نذالتهم ، هل اثمرت تط دفلى حلو فانيد ؟ (1)
ان العواصف منهم لا توخرنا بل طالما حفزتنا للمقاصيد
يزداد ايماننا في كل عاصفة كانما جددته خير تجديد
انى نخور وانا من صوالجة ايديهم كل عصر للمقاليد (2)
ام كيف ننقاد للمستعمرين وهم يشوونا فوق اطراف السفافيد
كم خامرونا بجور ليس محترما سنا لشيخ ، ولا ضعفا لمولود (3)
ابعدما حاولوا استئصال اثلتنا نلقى السلاح لبرق من مواعيد (4)
ابعدما طاف حول العرش طائفهم نغضى،أيغضى عن العدوانمنعودي(5)
فهل يمسون فوق العرش مهجتنا ونستكين ؟ اكنا من جلاميد ؟ (6)
ام يحسبون بان العرش ما غصبوا فعرشنا من قلوب لا من العود
العرش ما مس ام زر لكهربة شعبية فاستفزت كل تحريد (7)
لا ، لا عوادة ، ان الحرب قد نشبت ما بيننا ، فليصل وليود من يودي (8)
هم استثاروا عوان الحرب فليودوا اتونها ، وليروا عدوان من بودي(9)

---

(1) الدفلى : شجر معروف . والفانيد يوخذ من السكر وهو معروف ايضا ، والكلمة قديمه الاستعمال وان كانت معربة .
(2) الصولجان عصا يمسكها الملوك تعاظما ، والمراد الملوك الممسكون لها ، ومقاليد الامور سياستها .
(3) خامره الفزع خالطه .
(4) الاثلة شجرة ويكنى باستئصال اثلة الانسان عن قطع اصوله وكل ما اليه .
(5) اغضى عن الشيء تسامح فيه .
(6) المهجة : الروح ، والجلاميد جمع جلمود : هو الصخر .
(7) كهربه كهربة بمعنى استفزه واستثاره ، والتحريد : المبالغة في الحردى الغضب .
(8) الهوادة التريث والتاني ، ونشبت الحرب : ابتدات ، وفليصل مبني للمجهول من الصولة اي فلتقع الصولة ، واودى هلك وهو لازم .
(9) الاتون الفرن وكل ما توقد فيه النار ، وتخفف تاؤه وتشدد .

وليتقدوا من يـــد الشعب المقاوم مـا ... يعطون ، نقـدا عطـاء غير مجدود (1)

ذوقوا الجزاء وذوقوا الفتك تنتبهـوا ... مـن نومة لـم تنمها عيـن عبود (2)

اليـــوم تدرون حقا ما تجاهلـــه ... منكم طغاة زهـاهـم زور تسويد (3)

هل في بنى السين الا المكر مأثـــرة ... فهل تـــوورت مـن خيـر التقاليد (4)

فاين مكر فرنسـا حينما دهمـــت ... (دانكرك) ام زارت أسد على السيد(5)

كل الطواغيت قـد لانت شراستهـــا ... من ذا الذي خص باريزا بتجميد (6)

يا هل ترى اليوم ياتي من يزعزهـا ... عن الجمود بايـدي الغيلة السود (7)

ايـــدي مطاعين لاشلـــت معاصمهم ... يطهـرون من ارجـــاس مناكيـد (8)

من عم ؟ وكيف ؟ وانى يعرفون ؟ ومن ... يدري السعالى او الغيلان في البيد؟(9)

---

(1) النقد التمكين من الثمن حينا ، وغير مجدود : غير مقطوع ، وقرىء فـــي التنزيل باعجام الذال وبعدمه .

(2) عبود كتنور شخص ذهب ليحتطب فنام فطال نومه أياما فصار يضرب به المثل في النوم .

(3) زهاه الشيء : ادخل فيه الزهو ، وسوده : جعله سيدا ، والتسويد المزور : ما لا يحوم من الرئاسة كرئاسة الجمهورية مثلا .

(4) السين : نهـر كبير يشق مدينـة باريـس ، وبنوه كناية عن الفرنسيين ، والمأثرة الفعل الحميد يذكر به الانسان .

(5) (دانكيرك) مدينة فرنسية على بحر المانش مما يلي بلجيكة ، وقد اشتهرت بهزيمة جيوش الحلفاء فيها أمام المانيين في الحرب العالمية الثانية ، ففـر منها الانجليز الى جزيرتهم واستسلم الفرنسيون الى اعدائهم .

(6) الشراسة : ســـوء الخلق .

(7) الغيلة : القتل غدرا ، والايـدي السود : جمع يد سوداء وهي من الحركات الفدائيـة .

(8) المطاعين جمع مطعان : كثير الطعن ، والمعصم زند اليد ، والشلل : تقبض اليد عن الحركة لعلة والرجس الخبيث ، والمنكود : من لا خير فيه .

(9) السعالى بفتح اللام جمع سعلاة : انثى الغيلان .

لم ندر عنهم سوى ان فجروا نغـــلا ... اعيا الاساة بتكميد وتضميد (1)
ام خيـــل انا حفزناهم امنتظـــر ... حريضـــا الى حفـــز وتهنيـد (2)
الـم توكـد لهـم اعمالنـا خطـــط ... سرنا عليها ان احتاجوا لتاكيـــد
الم يروا كيف كنـــا رغـم ما بسطوا ... مـــن كل انواع تغليل وتصفيـــد
لكننـــا عصبة باعـت لخالقهـــا ... ارواحهـــا لا تبالـــى أي تهديـــد
قامت تذود عـــن العرش المجيد وعن ... شعـــب يسام بتقتيـل وتشريـــد
ومنـذ سارت تولى السعد سيرتهـا ... بكـــل حفـــظ وتوفيـــق وتاييـــد
قد ضم ما بينهم حلف الشعور فمـــا ... فيهم سوى مرهف الاحساس محـدود
فمن تراه تراه مفـــردا شممـــــا ... فمـا هـم غيـر افريـــد لافريـد (3)
تمازجوا فاذا مـــا حيل بينهـــم ... فهـــل يبيتون الا ليـل مـــزؤد (4)
كـل يغـرد عـــن شـوق يكابـده ... لو تنقع الكبـد الحـرى بتغريد (5)
لو كان يفصح (كردوس) لاعلن مـا ... فينـا للقيانكـم خير الصناديـد (6)

---

(1) الجرح النغل : الفاسد .
(2) هنـده : حفزه وحرضـه .
(3) الافريد كلمة تروج كثيرا ، ولم نجدها الآن في القاموس ولا في المنجد ولا في أقـرب الموارد ، وهنـاك كتاب (مختصـر الافاردة) فسر فيه الا فريـد بأنه كابليس وزنا ومعنى ، ويعني بهذا التفسير الذكاء والنشاط وخفة الروح والتفنـن في أنواع المعـارف مع صنعة يكتسـب منها العيش عند الحاجة ، واكتساب العيش من أقرب وسائله مع الترفع عما يثقل كواهل الناس عادة من كلف النفس والاهل ، وعن كل ما يكدر صفاء الحياة .
(4) المزؤد : المـــروع .
(5) غرد الطائر صوت بصوت عذب ، ونقع العطش أبرده .
(6) اللقيان من مصادر لقى .

في كل يوم نرى اللقيان مرتقبا ... عن المواعيد في اثر المواعيد
كاننا قد نسيناها مفرنسة ... هل وعدهم غير لمح الآل في البيد (1)
وعود يومهم تاتي موكدة ... لكنما غدهم ياتي بتنفيد (2)
لا يستحون اذا ما حددوا زمنا ... ان يستطال بتمطيط وتمديد (3)
حتى اذا دارت الايام دورتها ... وكاد ينهد منا كل مجلود (4)
وتم كل اعتذار من بني كذب ... فيه تكسر معقود لمعقود (5)
زف البياض بياض اليوم مجتمعا ... اسعد به خير يوم - دام - مشهود
كاننا في اجتماع مثله فرحا ... بالفلك اذ يستوي وشكا على الجودى (6)

---

(1) الآل : السراب ، والبيد جمع بيداء : الخلاء المنفسح الخالي من العمران .
(2) التفنيذ التكذيب .
(3) التمطيط والتمديد : شيء واحد في المعنى .
(4) ماله مجلود اي جلد وهو القوة ، ومثله في استعمال المفعول بمعنى المصدر: دعه من معسوره الى ميسوره ، وما له معقول اي عقل ، وبايكم المفتون اي الفتنة .
(5) العهد المعقود : ما تعوهد به وفيه تلميح لقول المتنبي :

رماني الدهر بالارزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

(6) الجودى الجبل الذي ارست عليه سفينة نوح وهي الفلك ، والمقصود يوم تنصر قضيتنا ونفوز ان شاء الله بكل امانينا .

الاجهـاز عـلى خائـن مجـروح

حكى لنا ذات مرة ان الناس في احدى المدن المغربية سمعوا في الشارع صراخا يدعو الى الاغاثة ، فتبادروا اليه مسرعين ، وفي يد كل واحد ما وجده في متناوله من حجر او عصا او نحو ذلك ، فلما وصلوا الصارخ وجدوه جريحا مضرجا بدمائـه ، فتأسفوا له وجعلوا يبحثـون عما يسعفونه به قبل ان يلفظ نفسه الاخير ، ولكنهم لم يلبثوا ان تبينوا انه من الخونة ، ومثل هذا النوع من الناس لا يصاب الا من قبل الفدائيين الابطال ، فانقلبوا عليه من الاشفاق ومحاولة الاسعاف الى التوبيخ والتأنيب فجعلوا أولا يبصقون عليه ويندون بخيانته ، ثم اجهزوا عليه قبل ان يتداركه اعوان الاستعمار المتنقلون فـي الشوارع فيحملونه الى احد المستشفيات ليعالج .

واذا دلـت هذه الحكاية عـلى شيء فأول ما تـدل عليه اجماع الامة عـلى الذود عن كرامتهـا ، وانها صـارت يدا واحـدة على أعدائهـا ، واعجابا بهذه الفكرة وتقديرا لها سجلتها فيما يلي :

نـودوا فلبـوا صـارخ الليـل متموجيـن كطافـح السيـل
ثاروا على صـوت الصريخ كمـا يطغى الحريق بعاصـف الليـل
يتـدافعـون تـدافعـا ركـمـا طاروا على حـدا الفـلا القبل (1)

---

(1) الحدا بكسر الحاء : جمع حداة بكسرها ايضا ، طائر من الجوارح معروف بالحدية ، والقبل بضم القاف واسكان الباء جمع اقبال وهو من في عينيه قبل اي اقبال نظر كل منهما على نظر الاخرى ، وكذلك يكون بصر الجوارح عندما تنقض على فرائسها .

وعيونهم حمر حماليقها ... ترمي شرارات من الويل (1)
هذا له حجر وذاك عصا ... والكل يجرى جامح الذيل
ماذا رأوا ؟ هذا اخو رمق ... فيه جروح بالدما تغلي (2)
قد انفذته قذيفة خرقت ... فخذيه من دبر الى القبل (3)
والروح ما زالت مغرغرة ... متخبطا رجلا الى رجل
يتساءلون من الجريح ؟ الا ... ثوب ؟ لنحمله على مهل
من مسه ؟ عل الجنود به ... مروا فاصموه بذا الليل (4)
هيا احملوه واسعفوه عسى ... ان يستطيع الوصل للامل
ثم انحنوا كي يحملوه اذا ... بالبعض منهم صار يستجلي
لا ، لا ، اتركوه ، الم تروه ؟ فذا ... عين ، اريحوا منه بالقتل
اهووا باعينهم اليه ، وما ... عرفوه حتى سيم بالركل
رجل الى رجل تعاوره ... فلوجه ، والافواه بالتفل
وتصايحوا ويل له سقطا ... هذا الخئون المجتوى المقلى (5)
هذا قلان من له لهج ... بتتبع الاحرار في السبل
لا تفلتوها فرصة سنحت ... وامروه مثل الكلب في الزبل
فاذا بهم والغيظ يحفزهم ... فيجيش ما فيهم من الصول (6)
مالوا لتدفيف عليه ومن ... يرثى لما قد حل بالنذل
فاذا العصى مع الحجارة قد ... حكمت عليه بقولها الفصل

---

(1) الحماليق جمع حملاق بضم الحاء وكسرها وحملوق بضمها : باطن الاجفان.
(2) الرمق بقيه من حياة .
(3) القبل بضم الباء واسكانها نقيض الدبر بهما .
(4) كان الجنود الفرنسيون قد بلغوا من الخنق والنذالة ايام الازمة المغربية الى ان يرموا المغاربة المنفردين في الشوارع ظلما وبغيا وارضاء لغريزة الانتقام .
(5) المجتوى : المكروه ، والمقلى : المبغوض .
(6) الصول : مصدر صال عليه اذا سطا به وقهره

أفيرانا تركت أم البنين ؟

كنا في المسكن الجديد الذي انتقلنا اليه ثلاثة انا وشريفان من ادزر هما مولاي الحسن وابن عمه السيد الحسن (1) ، وكان التشوق الى الاهل كثيرا ما يثور بمولاي الحسن الاول ثورانا انفرد به بين المعتقلين ، حتى عرف بانه لا يطيق ان يسمع الصبر على ما وقع ، ولا ان يستسيغ كل ما يقال في سبيل النعمة التي كنا نتمتع بها ، وكان كثيرا ما يتعجب من تحملي واستهانتي بالحوادث ، لما يراني عليه من الهدوء والاشتغال بالمطالعة أو الكتابة ، فيقول لي : هل من تركتهم بدارك فيران او اولاد ؟ فاننا نراك دائما هادئا مستكينا لا يزعزعك ادكار لهم ، ولا يهيجك تفكير فيهم ، فقلت في ذلك يوم 20 ربيع الثاني 1373 هـ :

أفيرانا تركت أم البنينا ... فانا لا نحس لك الحنينا
فكل مجاوريك يثور فيهم ... حنين للاقارب والبنينا
ألست تراهم يلظون شجوا ... كما سجرت بالنار الاتونا ؟ (2)
فيذرون الدموع مدفقات ... الى ان قرحت منهم جفونا
وتبدي بينهم وجها بشوشا ... وهم من حول بشرك يطرقونا
افولاذ فؤادك انت حتى ... نراك الدهر ممن يضحكونا
فقلت وقد وضعت الكف سرا ... على قلب يهم بان يبينا
وقد امعنت في ايكاء ما بي ... لئلا ينضح السر الدفينا
انا ذاكم كما ابصرتموني ... اكون لدى الاسى جلدا رزينا
حلبت الدهر اشطره ، وادري ... بان لكل عاصفة سكونا

---

(1) بسكون الحاء والسين .

(2) الاتون الفرن وكل ما توقد فيه النار ، وتخفف تاؤه وتشدد .

سأصبر ريثما تمضي ، وماذا عسى تجدي محالفتي الشجونا؟
واعلم انني تحت المجاري من ادوار القضا علما يقينا
فما هو كائن سيكون حتما وما هو لا يكون فلن يكونا
على اني وان ابديت عذري وكان جوابي الحق المبينا
لانسان له كبد وقلب ولكن عقله يهديه حينا
وذو شجن استره وشوق اجن به ـ على سر ـ جنونا
فهل أنسى بني وهم صغار سوى ان كنت في لحد كفينا
فان اك مبعدا عنهم فاني بقدر البعد ممتلىء حنينا

واوحدتاه

في عشية الخميس 21 جمادى الثانية 1373 ه . خرجت من بيتي الى ساحة المعتقل اتريض كعادتي ، وكنت تعب الفكر اتمنى لو كان ازائي من يجاذبني أطراف الحديث ، ولكن لما لم اصادف أحدا ممن ارتاح اليهم والى محادثتهم ، استندت الى نافذة المسكن الذي فيه الاخوان سيدي المكي والاستاذ ادريس المحمدي وانشأت اقول :

واوحدتاه ادور منفردا اتظر حولي ولا ارى احدا
لا راحم مفضل يرافقني ولا شفيق الي مد يدا
أمثل شاعركم يجانب عن عمد ويلقى وراء منفردا
عار عظيم وحادث جلل ان لا تمس مساءتي خلدا
أليس عارا وانتم عدد ان لا اسوء بوحدتي العددا
ادريس امنيتي وصاحبه المكي نبع الصفاء لو وجدا

المنـع مـن الاذان وصـلاة الجماعـة

منذ انتقلنا الـى (اغبالـو تكـردوس) ونحن نؤذن لكل صـلاة ونصليها جماعـة ، فجاء الكولونيل ذات يوم من كـلميمة فراى الصلاة جماعة في المحـل الذي اتخذنـاه لذلك ، فامر باغلاقـه ، فانتقلنا الى القاعـة الكبرى بجماعتنا وحزبنا ، ثم جاء الامر بان لا نصلي فيها ، فصممنا على الصلاة فيها ما دامت مفتوحة ، فاغلقوها بعد حين معلنين انها للالعاب لا للصلاة ،ثم لم يفتحوهـا الا بعد يومين ، فصرنا نصلي كل الاوقات في الساحة العامة ، الا في البـرد الشديد فاننا نصلي في بعض البيوت ، ثم جاء المنع الكلي للاذان والصـلاة جماعة ، وقيل صلوا في بيوتكم فـرادى ، ولكننا صممنا جماعات في البيوت على الصلاة والحزب ، واتخذنا عوض الاذان ناقوسا يأخذه سيدي عبد العزيـز في يده ويدور به على البيوت ، وفي ساحة المعتقل في كل اوقات الصلاة وذلك هو موضوع هذه القصيدة :

اهكـذا صارت النعمى الى بوسـى ... لما استحال اذان الدين ناقوسـا
ماذا يراد بنـا يا قوم فانتبهـوا ... ماذا يريـد بنا من الهوا عيسـى
ام يحسدونـا على التوحيد ام طمعوا ... ان يجعلوا الدين في الاجيال مطموسا
أم يحسبونـا بانـا نستكيـن اذا ... ما ديننا بنعال الهـون قد ديسـا
اليـس ان شعـار الديـن مظهـره ... كآية تجعـل المكنـون محسوسا
والحق ـ نوقن ـ في الاديان متحـد ... فالله يعبـد لا موسى ولا عيسـى
ما للطغاة فهـل ضاقت صدورهـم ... عن ان نؤذن ايناسـا وتانيسـا
ام يوهمـون بـان الدين محتقـر ... في النشء فليخسأن اخـوان ابليسا
هـم ملحدون قـودوا لو يسير علـى ... اعقابهم نشؤنا المملوء تحميسـا
فالنـشء اسـحاره شاهـدن همتـه ... نساغة كل مـا قد قيل تدليسـا
فلو رايـت خشوعـا في تهجـده ... رايت نشئا بعين الله محروسـا
مغرورق العين ان يتلـو الكتاب كمـن ... يخال كـون وعيد الله ملموسـا
لا النـوم يغلبه ، لا البرد يمنعـه ... مـن أن يبلـى دينـا فيـه مغروسـا

* * * * * *

ما انس لا انس ليلات بكردوس قد ... طمت غيوثا واعصارا وادموسا (1)

وما يكن سوى عش يقعقع في ... آذاننا كلما قد مس او جيسا

سكنى مسطحة القصدير واهية ... فمن يشم ظهرها يخله ناووسا (2)

والواكفات خيوط في مضاجعنا ... قد بجست من ثقوب السقف تبجيسا

لكن ذلك لم يمنع شبيبتنا ... من ادلاج الى المفروض تقديسا

فتستطيب اداء للفريضة ما ... تلقاه من شدة الوعثاء والبوسى

صلاة صف لدى الاوقات جامعة ... والحزب من بعدها نتلوه تحميسا

ام ساءهم ان يرى الجيران ذلك من ... نشء أذيع المروق عنه تلبيسا (3)

لئن اذيع كيادا ما اذيع فقد ... نادى بتكذيبه (اغبال كردوسا)

حقا يرون صفوف الدين عامرة ... مزاحمات بكل النشء تكديسا

وايقنوا ان من في الدين ممته ... يكون عند جميع الناس قديسا

فلم يطيقوا سوى ان نفسوا حنقا ... مما يخامرهم بالمنع تنفيسا

وما لهم حرموا عنا الاذان وقد ... جاءت شريعتنا تكسوه تقديسا

وذى كنائسهم تعلو صوامعها ... ديارنا وهي لا تنفك تنقيسا (4)

اين المساواة في الاديان عندكم ؟ ... ام ذى مساواة من يدعى الفرنسيسا ؟

قد طالما واربوا وطالما افتضحوا ... والبسوا بين اهل الارض تلبيسا

---

(1) الادموس : الظلام .

(2) الناووس : قبر النصارى .

(3) اشارة الى ما كان انصار الاستعمار يذيعونه في الناس من أن أصحاب حزب الاستقلال ما رقون عن الدين .

(4) نقس الناس بناقوسه : دعاهم به .

ونحن نوقن ان لو كـــان يمكنهـــم ... لا ستبدلوا من امام الدين قسيســـا
لشـد مـــا حـز فيهم أننـا صبـــر ... وقت الفرائض تهجيـرا وتغليسا (1)
أنحن ويحهم نرضى التهاون فـــي ... دين غدا في ثنايانا الاحاسيســـا
تبالها مـن عقـول بيسمـا حدسـت ... وبيسمـا فكـرت فـي امرنـا بيسـا
لكننـــا عن قريـــب ـ من تذبذبهـم ... ـ نرجوه اذنا بضد المنع معكوســـا
فـذاك ما قـد خبرنا مـن سياستهم ... سـدا وفتحا وتقليعـــا وتغريســـا
ضلـوا السبيل فما يدرون متجهـــا ... الى ابتكار ولا قيـــاس ما قيســـا
ومـا رأيهـم مـن التارجـح كالـــــسفن الهوامـل قـــد لججـن قاموســـا
تشتتـــوا شيعا لا رأى يجمعهـــم ... كمـا تشتت قبـلا قوم بلقيســـا (2)
أيصلـح الغير معـــي عن مصالحـــه ... كفى الذي رام منه ذاك تطميســـا
أم صادف الثعلب الآســـاد غافلـــة ... فاحتل تحت جناح الظلمة الخيسا (3)

رفـع الحظـر عـن الصـلاة جماعـة

بعد ان منع علينا الاذان والصلاة جماعة مضى ما مضى حتى صارت العقد السياسية تنحل ، فاذن لنـا في الصلاة جماعة فـي المكان الذي مجيء لزيارة الاسر ، ولكن لم يأذنوا في الأذان ، وذلك عند مفتتح رمضان فقلت في ذلك :

---

(1) التهجير : السير وقت الهاجرة وهـو منتصف النهار ، وذلك وقت اشتداد الحرارة ، والتغليس : السير في الغلس وهو ظلام آخر الليل .

(2) قوم بلقيس هم سبأ الذين يضرب بهم المثل في التشتت .

(3) الخيس والعرين : مأوى الاسـد .

امس صدوا عـن الصلاة جماعـة اعتـزاز تراجعـوا أم ضراعـة ؟
بـل اذاعـوا فيمـا اذاعـوا وما أخـ ـرق مـن قـد اذاع تلـك الاذاعـة :
انمـا القاعـة الفسيحـة للاذ ـعاب والقصف لاصـلاة الجماعـة
هكـذا يحسبـون انـا غريـرو ن وانـا عـلى الهـوى والخلاعـة
غيـر انـا ، والحمد لله ، فينـا للـذي يبتغـون منـا مناعـة
ثـم راغـوا مذبذبيـن الـى ان اغلقـوا ازمنـا رتـاج القاعـة
فكظمنـا تجلـدا مـا وجدنـا ه ، وان كـان مد بالغيـظ باعـه
مـا لهـم أصبحـوا يبيحونـه اليو م وقـد الحفـوا شنار الشناعـة ؟
بل اتاحـوا لنـا محـلا جديـدا هـو اعـلى انـاقـة وصناعـة
فمقـام الصبـر الجميـل مقـام الـ ـفوز حقـا الـى قيـام الساعـة

لا نـاقـوس ولا اذان

انصتنا أثناء ليلة من رمضان الى جرس الساعة الذي ينبهنا الى الصلاة فلم نسمعه ، ثم عرفت من الامام الاخ سيدي عبد العزيز بن ادريس ان بعض الناس يرصد كذلك جرس منبهه ، فيقع في ذلك خلط على الناس قال «فصممت ان لا أجرس منذ الآن» ، ولكنه لم يلبث ان عاودته عادته في الحين ، ونسي غضبته كالمومنين ، فقلت في ذلك ابباسط الاخ سيدي عبد العزيز :

اجريـالا نحـرم والدنانـا ؟ فلا الناقوس نسمع لا الاذانا(1)
اهـذى امـة زعمت خداعـا اجابـة كـل أمـر قد عنانـا
أتشفـع فعلة منهم بأخـرى فتجعـل فـوق رمحهم سنانـا

(1) اجريـال بالكسر : الخمـر .

بـــاي معاذر ايضا ترينـــا مغالطة بزخرفهـــا عيانـــا
أتلزمنا الجريرة والمعاطـــى لها (غلطا) كما نحجو سوانـــا
بـــأي شريعـــة وبـــأي حـــق نطوقهـــا ولـــم تجرم يدانـــا

. . . . . .

أيا عبد العزيز ويا امامـــــا هـــواه في امانيه هوانـــا
أعـــد نظـــرا وانصفنـــا والا فبين ما هنـــاك لنا بيانـــــا
فلم تـــك خيرنا الا لصـــدق كفانـــا مـــن مخارقهم كفانـــا
فان تجرس فـــذاك القصد اولا نسوف تعض مـــن ندم بنانـــا
لانا قد نثيـــر ، وأنت تـــدري مقامك عندنا ، حربـــا عوانـــا
فنـــدرك كـــل مـــا نبغـــى لانـــا عرفنا كل قصدك يا أخانـــــا

مـــع الاستـــاذ العلامـــة سيـــدي محمـــد الفاسـي

كان الاستاذ محمد الفاسي من خير من يضمهم هذا المعتقل ، لان مجالـــه في سعة الصدر فسيح ، وباعه طويل في مذاكرات العلم الصحيح،وهو وانعلت همته الى الثريا ، لم يعقه ذلك عن ان ينيل غيره من أوصافه العليا ، فلا تراه العين الا مكبا على بحث علمي عميق ، أو مواسيا بفكاهاته وأحاديثه العذبة لصديق ، او هابا فيشجاعة واخلاص للدفاع عن حق ضاع ، او لجبر النفـوس المنكسرة خير ساع ، وقد كانت لي معه مواقف اخائية أدبية ومجالس انسية ، ضمنتهـــا فيما يـــلي :

عـــقـــد مـــثـــل

كان لهذا الاخ ولوع كبير بجمع الامثال المغربية سواء باللهجة العربيـــة الدارجة ، او بغيرها من اللهجات البربرية والشلحية التي يتكلمها بعض سكان المغرب ، وكنت أنا أساعده فيما يتعلـق بذلك من الامثال السوسية ، اذ كنت

اعرف جملة وافرة ، وربما عقدت له بعضها في أبيات عربية فمن ذلك انني عقدت له مثلا كروانيا ـ نسبة لقبيلة كروان البربرية بناحية مكناس ـ فقلت في ذلك :

رويدا فقد بالغت حتى تجاوزت دعاويك ما يربو على الطول والعرض
فلو افلتت رجلاك من حيث تدعى مقامك لم تبلغ بروحك للارض

الغ فاس الجنوب او فاس الغ الشمال

مررت حوالي مفتتح رمضان بالاستاذ الفاسي والسيد الحاج احمد بناني وآخر ، فجرى حديث قيل فيه : الغ فاس الجنوب ـ يعنون عما ـ فرد عليه بل فاس الغ الشمال ، فقلت :

حمدا وشكرا فالعيش عيش والدهر دهر والناس ناس
في اخوة خلقهم كريم فلا نلو ولا التباس
صفو لصفو على التساوي كانما جده قياس
تمازجوا حاضرا لباد كالشرب قد شعشعته كاس
فلست تدري متى تراعم افاس الغ ام الغ فاس ؟

وعد مخلف

وكتبت اليه في 21ـ5ـ1373 هـ ، وقد واعدته على درس في كتاب القاموس اقترح ان نتتبعه من اوله ، ثم تخلف عن الموعد وهاك ما كتبت به اليه :

يا أيها الاستاذ يا من له في كل علم قدم راسخة
اشمخ انفا كلما جئتني يا عالما في القمم الشامخة
نسيت وعد الدرس ام نفخت حتى اطارت ريشه نافخة
او حدثت في وقت موعده حوادث لآيه ناسخة

احتجاج سوس على الاطلس

وقلت يوما مداعبا له ، احتج على اعراضه عن البحث في ـ سوس وما اليه ـ واقباله على البحث في الاطلس مع الاخ المعتقل معنا (با موح) من جهة آيت اسحاق :

الا حاكمون على من يسي ... فتحتج سوس على الاطلس
اليس يساء لمن لم يجد ... بصيصا ولو قل من مشمس
ايحتكر الكنز عن راحة ... تمد من المعوز المفلس
ام الكز يحظى به منفسا ... فضن عن الغير بالمنفس
ايحتكر الاطلس البحث عن ... قرى سوس عن صنوه الاشوس
امستمنع أهله وحدهم ... بذيالك المجلس الاقعس
ايلقى (المزاغى) منيته ... ويغضى (الشلوحي) كالمبلس
فقد جاء يوما فيوما فلم ... يجد أي باب الى المجلس
الا أيها الناس هل ناطق ... فيحتج عن عاجز اخرس
لعل البرامين تنصف من ... يساء اليه وليس يسى

مجلس الاستاذ الفاسي

وخاطبته في 10 رجب بهذه القطعة التي اثارها مني ما اراه منه من ايناس كل من يعوزه مؤنس ، ومن المباحثة العلمية لكل من جاشت نفسه الى ان يملأ فراغه ببحث من البحوث .

خير ما زرت مجلس الاستاذ ... انه للمهموم خير ملاذ
من يزعزعه همه فليطر تو ... ا الى أنس حضرة الاستاذ
انه للمعاذ حقا لمن يط ... لب بين الهموم خير معاذ

مجلس حافل بسحر حديث رائع يخلب النهى أخاذ
يستطيب الجهود ما دام يقظا ن كما يستطاب رشف المذى(1)
فأرونى نظير سيدنا الاستاذ في حد عزمه النفاذ

سوس تطالب بحقها

في عشية الاربعاء 25 رجب خطر في بالي مثل جديد من الامثال السوسية ، فاردت ان أزفه الى الاستاذ الفاسي ، ورأيت ان ابأسطه بقطعة ادبية لكونه ممن يرتاحون لبنات القريض ، وذلك بعد ما كان الاستاذ قطع بحثه في سوس لاشتغاله ببحوث جهة الاطلس فارتجلت له هذه الابيات :

متى ننثنى ايضا الى ذلك البحث فان لساني الآن يشتاق للنث (2)
ام الاطلس الجبار صالت بحوثه وليس لبحث حول سوسك من لبث
كذلك زعم الناس في الطل ان تجد عليهم ملثات السحائب بالغيث

أبو المحاسن

في ليلة الثاني من شعبان 1373 هـ ، خاطبت الاستاذ الفاسي بهذه الابيات الاتية وقد بهرني ما رأيته منه من الاكباب على التحصيل ومن الحرص على جمعه لكل ما أمكن من خصال الخير وصفات اهل الفضل ، وهي :

---

(1) الماذي : العسل .
(2) النث : افشاء الحديث .

يـــا كارعـــا مـــن زاخـــر بين المعارف غيـــر ءاســـن
ومنخـــل الابحـــاث مـــا ان ينتقـــى الا الاحاســـن
فيـــك المحاســـن كلهـــا أخلقـت مـــن كل المحاسـن ؟
الـــذاك جـــدك يوســـف بـــك يكتنى بأبـــي المحاسن ؟

قـــد بـــكـــر الـــفـــاســـي

كان من عـادة الاستاذ الفاسي حفظـه الله ان يجعل ليله نهارا ونهـاره ليلا ، فلا يكاد ينام حتى يطل الفجر ، ثم لا يستيقظ الا قرب الزوال ، ويقول انـه متى خالف هذه العادة يمرض ، ولكنه وهو صاحب الهمة التي لا يعجزهـا منال ، استطاع ان يغير من هذه العادة بعد ان انقضى رمضان ، فصار ينام مبكرا ، ثم يستيقظ حوالي الساعة السابعة او الثامنة صباحا ، وهذا بحسب عادته تبكير على كل حال ، ولما رأيت باب بيته ذات يوم مفتوحا في ذلـك الوقت عجبت ثم علمت انه استبدل عادته القديمة وبما انه فكه ممراح ، وبيني وبينه مداعبـات ، جعلت أقول له :

يـــا عجبا قد بكر الفاســـي من بعد ان قد نـــام كالنـــاس
أنسي الاستاذ أم ذاك عـــن عمد ؟ وما العامد كالناســـي

يـــرى الـــذي لـــم يـــره الـــنـــاس

كان الاستاذ الفاسي حفظه الله من الذين تمرسوا بالسياسة وخصوصا الفرنسية منها ، حتـى صار لا يكاد يوليها شيئا مـن تفكيره حتى يوحى اليه بمقدماتها وبالنتائج التي تتبعها ، وكثيرا ما كان يحدثنا بئارائه في ذلـك فكانت تأتـي بارزة كفلق الصبح ، وذلـك ما جعلني اخاطبه صبيحة الثلاثـاء 20 بالقطعة الاتية :

لله من انجبت يا فاس فهكذا ادراك من ساسوا
انجبت خريت الغيوب وهل للغيب خريت وجساس (1)
ذو المعيات يجوس بها ما لا يرى بالعين من جاسوا(2)
حدس عجيب يهتدى في الدجى قصدا وان لم يهد نبراس
حدس يجيىء قلقا مثلما قد دار بالمقياس مقياس
وطالما ليم على انه يرجم منه الغيب حداس
وانما ليم على انه يرى الذي لم يره الناس

مع الاستاذ الحاج احمد بناني

الا تلبي الكأس

في 20 ربيع الاول 1373 هـ ، كنا ، اهل بيتنا في المنتقل القديم الاستاذ الفاسي والاستاذ السيد الحاج أحمد بناني والاستاذ البقالي وسيدي محمد العلمي المكناسي ، في منتزه ازاء العين في سفح الجبل ، فلما أكلنا تسلل من بيننا الى آخرين الاستاذ الحاج احمد بناني ، فكتبت اليه بديهة وقد هيىء الأتاي :

كأسك تشتاق لرؤياكا تريد ان تشذى برياكا
كان تناسيت ابتسامتها ان تنبسط للشرب كفاكا
الا تلبي الكأس مستعجلا وجاعل الجواب رؤياكا

---

(1) الخريت الدليل الحاذق الذي يهتدى الى (اخرات) المفاوز وهي مضايقها وطرقها الخفية .
(2) جساس مثال للمبالغة من جس الشيء اذا مسه بيده ليتعرفه او احد النظر اليه بعينه ليتبينه .
والالمعيات جمع المعية وهي صفة الالمعي الذي فسره الشاعر في قوله : الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمع .

الثلج على الجبال

في صبيحة الاحد 28 ربيع الاول ، اصبح الجو ضاحيا ، والصحو يتلالأ غضارة بعدما توالى المطر نحو اسبوع ، ثم هطل الثلج فتوجت به قمم الجبال، فخرجت عند الاسفار قبل ان تشرق الشمس ، فاذا بي بمنظر الصحو الصافي من زرقة السماء ، وقمم الجبال يكسوها برد (1) الثلج الصافي ، فلم املك ان خاطبت الاستاذ سيدي الحاج احمد بناني وهو في البيت بهذه القطعة :

أخرج تر الاجبل الشماء توجها ... بياض ثلج بنور منه براق
والجو تقطر من صحو غضارته ... والشمس ترسل اشعاعا لاشراق
من لم ير اليوم منه منظرا عجبا ... فهل أتى سهمه بغير اخفاق ؟

كرم الفاسيين

كنت أغادر مضجعي في بيتي كل يوم متسللا ، لان هناك من لا يستيقظ بعد ، وذلك لاصلي مع المستيقظين ، ثم يلح علي اخواننا الفاسيون لافطر معهم قبل الاسفار فربما اجبت وربما اعتذرت ، وربما يسبق لي ما يحملني على الافطار مع غيرهم ، وفي صبيحة الثلاثاء 23 صفر 1373 هـ غادرت بيتهم بعد الصلاة فيه ، فذهبت وتلهنت بما تيسر ، فاذا باحدهم جاء ورائي مستدعيا ، وهم الاخوان العلامة سيدي عبد العزيز بن ادريس والسيد الحاج بناني والسيد محمد الشرايبي ، فكتبت اليهم :

حييتم فانتم انتم ... وهكذا فليكن الكرم
يا ليت اني لم أكن مفطرا ... لتنظروا ما يفعل النهم

---

(1) البرد بضم الباء : نوع من الثياب .

لو قيل من اهل الندى ما هنا لكنتم الجواب وحدكم
حييتم بييتم يا بني فاس فانتم في الندى أنتم

مع الاستاذ ادريس المحمدي

اعتذار

في صبيحة الجمعة 15 جمادى الثانية 1373 م ، كنت مع رفيقي في بيت المعتقل مولاي الحسن الادزري نقرأ الحزب بعد صلاة الصبح مغلسين ، وتلك عادتنا اذ ذاك بعد ما منعنا رسميا من الاجتماع للصلاة والحزب ، وقد كان الباب دائما يسد دوننا الا انه اليوم مفتوح من غير شعور منا ، فأدى ارتفاع صوتنا بالحزب الى ازعاج من كانوا في بيت يقابلنا ، وفيهم اخوان اعزاء كعريف المعتقل الاستاذ ادريس المحمدي والسيد المكي بادو المكناسيين ، وقد كان من عادتهم ان يفتحوا نافذة بيتهم ، فتأثرت من هذا الازعاج الذي كنت أحد المتسببين فيه فكتبت حينا الى الاستاذ المحمدي :

سمعت واعظم بالذي سمعت اذني أأجني وهل مثلي على غيره يجني ؟
أأجني على عمد واني لعاجم أشتى السجايا من ذكاء ومن أفن ؟(1)
أمثلي - وقد مارست - يرفع صوته ليزعج عمدا من هم قرة العين
فان كنت حقا سؤت عن خطأ فهل ارى منكم عتبى تميط الاسى عني (2)
فلا كان لي صوت يلم به اذى لمن ان رضوا عني فذ لكم قد ني (3)
وبعد فيا استاذ اعتب فلن ترى سوى ما ترى فاسمع عهود الفو مني

---

(1) الافن بفتح الهمز وسكون الفاء : ضعف الرأي .
(2) العتبي بالضم والقصر : الرضى .
(3) قد اسم فعل بمعنى كفى ، وقدني كفاني .

مـالـك لا تجلـس متكئـا

مررت في أصيل الجمعة 9 شوال بالعريف الاستاذ ادريس المحمدي الطيب الذي اعتدت مباسطته ، فرأيته مستلقيا عن قفاه يناغي بخياله الافق الصاحي ويتتبع قزعا من السحب تتكون ثم سرعان ما تنماع ، كانما يرى فيها مثالا لما نحن فيه من سحب الاكدار ويأمل ان يتعجل انمياعها ان شاء الله ، فخاطبته ارتجـالا بنفس واحـد :

يا ايهـا الممتد في فرشـه كانما امتـد على نعشـه
مالـك لا تجلـس متكئـا كالملك المرهوب في عرشـه

وطلبت منه ان يسامح القافية فيما اتت به في الشطر الثاني من البيت الاول من اساءة الادب ، فتلـك من آفات الارتجال التي لا يد فيها للمرتجـل المسكين .

اعمـل لـدنيـاك . . . ولآخرتك كـأنـك . . .

خاطبت في يوم الاثنين 12 شوال بعض الاخوان الذين يحرصون على ان يكونوا أول الحاضرين في وقت الرياضة ولا يحرصون مثل ذلك الحرص على التبكير لصلاة الصبح فقلت :

يـا مـن يبكـر للريـا ضـة هـل تبكـر للصـلاة ؟
هـذى الحيـاة ، ومـا تعـد الى الـذي بعـد الممات ؟
او عاقـل مـن ليـس ينـظر للـذي بعـد الحيـاة ؟
اقبـول عـادات الاجـا نـب كلهـا ؟ فتقول هـات
مـن غيـر بحـث عـن مقـا صـد ما قبلت ولا التفـات
جـري وقفـز تحـت نفـخ منظمـات تنفسـات
وتلويـات كـالافـا عـي فـي رمـال الهاجرات
هـذا جميعـا كيـف كـا ن يعـد مـن متقبـلات
مـا دام عنـد القـدم مـن ذيـاك الغربـي يأتـي

لكـــن ركـــوع الديـــن والـــــسجدات مـا تلكـم وماتـى ؟
مـــاذا سيجدى الفعـــل ذا ك ومـــا حوى من فائـــدات
هـــذا يناقـــش كـــل مـــا فيه من انـــواع الصفـــات
وجميـــع امـــر الغـــرب مقـــبول بغيـــر مناقشـــات
انـــا لنعـــرف للريـــا ضـــة مـــا لهـــا في كـــل ذات
ونقـــر بالحـــق المبيـــن وآيـــه المتبينـــات
لكـــن أفيكـــم مـــن يقـــر نظيرنـــا بالواضحـــات
فيـــرى مـــن الديـــن الحنيـــف السعد من كل الجهـات
فيـرى بـــه للجسـم والـــــارواح كـــم متمنيـــات
ويميـــز منـــه مـــا لـــه نحو السعـــادة من صـــلات
هاتـــو الرياضـــة والصـــلا ة معـــا تكونوا مـــن مـــداة
فـاذن تكونـوا خيـر نـــش ء يقتفـــى فـي المعضـلات

مـع الاستـاذ عـلي بركـاش

رجـــاء شـــفـــاء

كان الأستاذ الاديب العاقل الرزين السيد علي بركاش قد أصيب بمغص في 13 ربيع الاول 1373 هـ ، فكتبت اليه بما يلي :

شفاء شقيق الروح من كل ما عـــرى فانـــت لنا عين بمقلتهـــا نـــرى
فهل تستطاب الكاس في يد شـارب وقد غبت بالمغص الذي جر ما جـــرى
فذا قلمي قد نـــاب عن قدمي وعـــن قليـل ترى المختار عندك محضـــرا

احـــتـــكـــام

في يوم الثلاثاء 9 شعبان استدعاني للغداء في بيته ولدى سيدي علي ابن الحاج محمد ـ بالفتح ـ بركاش الرباطي الذي افتخر به واطلب الله ان يكون كل أولاد صلبي على غراره أدبا وحياء وديناً وخفة روح،فاذا به يضع امامي ـ فيما وضع ـ صحنين مطهيين معا باللحم والجلبان ، وقال انك اليوم ستكون حكما

بيني وبين الاستاذ المهدي ابن بركة لان كل واحد منا يدعى انه اعرف بهـذا النوع من الطبخ ، فطبخه كل واحد منا على كيفيته فاحتيج الى التحكيم ، وبما لنا فيك من الثقة الكبرى دراية ونزاهـة وخبرة ، فقد اتينا بك لتحكم بيننا ، وهكذا أصبحت ـ ولا فخر ـ ذلك (الحكم الاصيل الذي ترضى حكومته) وشعرت بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقي ، ورجوت من الله تبارك وتعالى ان يوفقني لادائها على أحسن الوجوه كما اداها من قبل القاضي احمد بن ابي دؤاد حينما حكمـه المعتصم وجلساؤه في قـدور ، طبخ كل واحد منهم واحدة منها عـلى ذوقه ، فجعل يتناول من كل قدر ويصدر حكمه عليها مع تعليل كل حكم بابداء مزايا القدر ووصف ما زاد وما نقص فيهـا عن غيرها ، بكيفية لم تمس حـذق كل طابخ في قدره ، وكذلك فعلت فاصدرت هذه القطعة التي سجلت فيها مـا سجلت ولعل الطاهيين سيعملان على ازالة ما ألـم بالقاضي في ذلك من حيرة او تراهـم فاعليـن ؟

امهـدي أطهـى للجلبـان أم عـلي ... فاصدر على الطهيين حكمك واعـدل
تذوق قاضي البحـث من ذا وذا كما ... يذوق عروس مـن رضاب معسـل
تنـاول مـن هـذا ومـن ذاك لقمـة ... فاخرى بلقم الآكـل المتمهـل
ولكـن عراني ما عراني فكيف لـي ... بحكم لاشتات البراهيـن مفتل (1)
تحيرت يا للناس فـي الحكم والذي ... يحار فأنى عينه الحـق تجتلـى
فهـذا له طعـم شهـي وذا لـه ... وسامة خـود في المطارف والحلي
ارى كـل طهـي منهمـا متفـردا ... بحسنى ومـا يدلـي به بين جلي
فانى يقول الحـق حكما مسمطـا ... لسـان قضـاء حائـر متململ
ولكن عسى ان كررا الطهي ينظـرا ... قضاء مبيـن الحق من خير مفصل

---

(1) مفتل من افتلى يفتلي : اذا فتش .

فما عن صبـــوح كان قولي مرققـــا وهيهات لولا الحق ما فاه مقولي (1)
أممضوغة قصـــدي ثكلـت لذاتـي اذا مـــا حدت يوما الى أي منـــزل
الا سجلـــوا بين القضاة نزاهتـــي وهيا لقاضي الحق ان يقض يعـــدل

آل بـــركـــاش

في عشية الخميس 17 رمضان يوم ذكرى نزول القرآن وذكرى غزوة بدر ، اهدى الي ولدي هذا سيدي علي بركاش افضل شاب اعرفه بين شباب المغرب اليوم دينا وخلقـا ودماثة وتضحية وحلمـا واغضاء وتألها وخشوعـا ، شيئا من الحلـواء فكتبت اليه هـــذه القصيدة ، وقـــد تعرضت فيها لانقباضه عن الدراسة ، وما ذلك الا من ضعف بنيته فيما يقول :

اخلقـك ام حلواء اهديـــت يا عـــلي فالذذ باكـــل من يديـــك معسـل
فلـــو ذقت مما تحتـــوي من دماثـــة وحللـــت منه ذقـت خير محلـــل
امـــن ماذي ام عسجـد صغت خلقـة وخلقا ؟ اشهد قل لنا انت ام حلى؟(2)
تتبعت دورا ثـــم دورا اذا بنـــا نرى بك لطفـــا خيـــر دور ممثـــل
فما شئت من رشد،وما شئت من هدى وما شئت من حلم الصبور المذلـــل
اكـــل بني بركـــاش ينجل منهـــم نظيـــرك في اخلاقهـم خير منجـــل

(1) الصبوح كل ما اكل او شرب صباحا ، ورقق من الشيء حسن الكلام عنه للتكتيـة ، واصل المثـل ان انسانـا بات عنـد آخر ، فقـال الضيف لرب البيـت : اي الطريقيـن آخذ اذا اصطبحنـا غدا فقـال له رب البيت اعـن الصبوح ترقق بمعنى اله تحتال وتهيء ؟
(2) الماذى : العسل ، والعسجد : الذهب ، وصغت بكسر الصاد مبنى للمجهول

كذا فليكن من كان يحظى من أهله ... بخير معم بل بأفضل مخول (1)
فلله منهم أسرة قد تكشفت ... عن أفضل مودود وأعلى مبجل
يحوم به ود القلوب كأنما ... ترى النحل من حولي اريض مبلل
كأن كان من كل القلوب مخلقا ... يلاقى ملاقاة الوليد المدلل
يلقن من اخلاقه الود صحبه ... اذا وده في الصحب خير مرتل
وللقلب مني نحوه ماله وان ... اخل عنه احيانا اروغ فاختلى
فلو كان منه رغبة في مواردي ... وطاب له رشف من اوشال منهلي
لما فارقت عيني محياه لحظة ... ولو في دجى ليل تطاول أليل
ولكن له حرية العصر فليبت ... كما شاء منه الذوق في اي منزل
فاني انا من يرسخ الدهر وده ... كما ترسخ الاطواد غير مزلزل
فان لا أكن استاذه فمشرف ... به كابيه ان يشك اتململ
الاعاش من ابناء بركاش أسيف ... مواض ، وما ان فيهم من مفلل
شباب وشيب يسبقون شهامة ... فما من سكيت فيهم او مومل (2)
لهم وقفات سجلت فاذا بها ... لدى الازمة الهوجاء خير مسجل
فمن كابى زيد ، سقى رمسه الحيا ، ... ومن كابنه ان جاء قوم بامثل
تسلسل فيهم أي مجد مؤثل ... فاعظم بمجد في الجدود مسلسل
هم بيئتي وسط الرباط وعيبتي ... فانزل في مثواهم خير منزل
فمالي سواهم في الرباط معول ... (وهل عند رسم دارس من معول)
متى يا ترى ايضا ازور قصورهم ... ببشر كوجه العارض المتهلل
اذن اجتنى ما يجتني كل زائر ... مقاماتهم مما يرى كل مجتل

---

(1) المعم من كان جيد الاعمام ، وكذلك المخول من كان جيد الاخوال .

(2) المراد بالسكيت هنا آخر خيل الحلبة ، والمومل هو الثامن منها .

مع الاستاذ محمد الحلو

مريض يتماثل للشفاء

بعد عشاء ليلة الخميس 25 شعبان المبولدي وغذة كبدي سيدي محمد الحلو النابغة سقم ، فدخلت عليه مخاطبا بما يلي :

شفاء وشيكا يا بني محققا ... فاعزز على ان ترى بالضنى لقى
فاني يرى العيش الرغيد وانت في ... ضناك اب يمسي ويصبح مشفقا
فلا طاب لي شرب ولا شمت من سنى ... الى أن ترى مما احب مطوقا
كاني ـ وقد عوفيت ـ ارفع هامتي ... بقدر الذي استبسر الآن مطرقا

ـ ودخلت عليه صبيحة يوم آخر فوجدته كما اشتهي يكاد وجهه يقطر بشاشة فقلت :

الحمد لله قد عوفيت عن كثب ... فالآن تنزاح عني غمة الكرب
هذا بنيي امامي في بشاشته ... اليس ذلك عندي منتهى الارب ؟

مع الاستاذ السيد عبد الهادي الحلو

خطبة مبكية

كان أخونا السيد عبد الهادي الحلو القى خطبة مبكية يوم عيد العرش الموافق لـ 10 ربيع الاول 1373 هـ ، فحملني التاثر بها على ان قلت :

من مصقع يهتز منه النادي ... ويفيض منه شعور كل فؤاد ؟
هل انت سحبان الغوادي ام يرى ... سحبان دون مداك (عبد الهادي) ؟
ما قمت حتى قام منك مفوه ... ثر كسيل جاش أعلى الوادي
متدفق يطمو بدر لا بما ... يطمو به التيار من ازباد
مسترسل كالطرف في اطلاقه ... ان حل صهوته حليف جلاد

أني ارتضعت لباقة الخطباء ان ... جالت فصاحتهم ببنت الضاد
أكذاك أنت ومن يخالك مفلقا ... خطبا اذا اكتظت صدور نواد
كنا نخالك تاجرا فاذا بنا ... في جنب أبلغ من خطيب اياد
لم يصلد الوجدان ان أوريته ... منا ، أيصلد ويك خير زناد ؟
هل تستفز من العواطف غير ما ... اثاره بين الجفون بواد
أرأيت كيف أثرت من زفراتنا ... وتركت كل محاجر كغواد
من لا يجيش بما استجشت فانه ... لا شك صخر من صخور الوادي

حاجيتكم

في عشية الجمعة 25 رمضان كنت اتمشى مع الاخ سيدي عبد الهادي المذكور وكان قد اشتهر بالخطابة ، واصبح حريصا على الاستفادة من العلوم العربية خصوصا منها الادب ، فاذا بالاستاذ سيدي عبد العزيز ابن ادريس يقابلنا فقلت له عن الاخ عبد الهادي الحلو المذكور :

حاجيتكم من كلامه خطب ... وعزمه في دروسه عجب
وهمه ان تلين في يده ... كل العلوم وخيرها الأدب
وانه نخبة اللدات اذا ... ما عد بين لداته النخب
فليهن أهل الرباط ان نبغت ... من الرباط امثاله النجب
فلنعترف بالذين قد نبغوا ... امثاله ان ذاك ما يجب

مع الاخ سيدي احمد بن قاسم

الى ندع ربنا

في يوم الاربعاء 26 صفر 1373 هـ ، قلت أخاطب الاخ احمد بن قاسم الفكيكي معارضا قول بعض امراء الموحدين :

اليوم يوم الاربعا ... يوم صلاة ودعا
الى ندع ربنا ... لعله ان يسمعا

أما بيتا الموحدي المعارضان فهما :

اليـــوم يـــوم الجمعـــة يـــوم سكـــون ودعـــــة
وشمـــلنـــا مـفـــتـــرق فهـــل تـــرى ان نجمعـــه

مـا هـكـذا احـجـوك

وكنت أقرأ معه التفسير بعد صلاة الصبح فكان ربما يغلب عليه النوم صباحا ، فقلت له في مفتتح 1373 هـ :

في كـــل مصطبـح صبيحة نائـــم ما هكذا احجوك يا ابـــن القاسم
مـا هكـذا يغدو الطمـوح الى العـلا ويريـــد ان يحيـــا حياة اعاظـم
انى يسود ـ ولن يسود ـ اخو كـرى ومتى ارتقى العليـــاء اخمص نائم ؟
لو كـان بالنـــوم العـلاء لما غـدا عبود عبد قفـــا وعبد لهـــازم (1)

لـطـف لا مـشـبـه لـه

وقلت له في مفتتح ربيع الاول 1373 هـ ، ارتجالا وانا أتوضأ وهو يصب عـــلي :

يا أحمد يـا مـن حمدت خلالـــــه حمدا يقر به جميع ذوي النهـــى
ما ان أرى لـــك في اللطافة مشبهـا بين اللدات . ومـن يرى لك مشبها ؟

وطلب مني مرة ان ادشـن له كناشة جديـدة اتخذها لتقييد مذكراته ، فكتبت عليها في الحين : وذلك يوم 26 ربيع الاول 1373 هـ :

---

(1) عبـود بفتح العيـن وتشديد الباء مضمومـة اسم لعبد يضرب به المثـل في طول النوم فقد قيل أنه نام سنة ، والقفا معروف ، واللهازم جمـع لهزمة : عظم ناتيء في اللحى تحت الاذن ، ويقال عبد القفا واللهازم كناية عن الغباوة ، لان ذلك ما يغلظ من العبد غالبا ومن غلظ منه كان غبيا .

كنـاش أحمـد مـن خيـر الكنانيـش يعطـى فؤاده مـن غير تفتيـش
يفـوح كالروض قـد رشته غاديـة أطيـب بنفخـة روض رف مرشـوش

عطلـة الاديـب في المطالعـة

ودخل علي صبيحة يوم الخميس 26 رجب 1373 هـ ، بعد الثامنة صباحا فوجدني مكبا عـلى المطالعة منفـردا ، ومـن عادة الطلبة ان يستريحوا يـوم الخميس ، فقال لي أحتى يوم الخميس تشتغل ولا تتخذه عطلة تستريح فيها ؟ فكتبت له على بديهة :

ان يوم الخميـس يوم سرور وانشراح القلـوب بين الصدور
أجتـلى فيه للكتاب من الأبـــــحادث ما في رياضه من زهـور
أتملـى كمـا اشـــاء وحيـدا وفق ما اشتهى بكـــل حبـــور
كل ما يشتهى الأديب ففي الوحـــــدة ، فاسمع من الأديب الخبيـر

ا د لا ل

ومررت به صبيحة الاربعاء 7 شوال فسلمت عليه على العادة معه مباسطا ، فاذا به يجيب رمـزا وينظر شزرا ، فمررت مـر الكرام ثم جالسته ايضا في جماعة من اهل بيته الأزروئيين ، فتجاذبنا محادثة شارك فيها الكل سواه فلما جلس الي هو ورفقاؤه في الدراسة كتبت اليه ارتجالا هذه القطعة :

بعادا عـــن أذنى وملحظ عينـــي فما كنت منك ولا كنت منـــي
فـــأي وداد واي اخـــــا ء يرى بين من يجتويني وبيني
نبـــذت فبـــادات فلتنبـــذن كذلـك منـــي بلا قـــرع سن
فلـــو ان عينـــي بايفتـــا هـــواي لفقـــأت عيني تيـن
فانـــي عزوف صليب فـــلا تأثر منـــي لأيـة ســـن (1)

(1) من سن السيف : اذا شحذه .

مع الاستاذ النجيب احمد بن علال

خط مخربش

خاطبت النجيب سيدي احمد الشريف السجلماسي هذا وقد كتب بالعربية كتابة لو رآها ابن مقله الخطاط العربي المشهور لتمنى ان لا تكون له مقلة ، مع من أن خطه بالفرنسية مستجاد ، في كل ناد ، وقد أرخ هو ذلك هكذا :

11ـ11ـ1953 م فقلت :

خط يجاد اذا تفرنس لفظه ... ويرى كظل السدر اما عربا
حتى الخطوط استعمرت واحسرتا ... ـ أواه ـ قد عادت مئاثرنا هبا
اين العزائم يالقومي أين ما ... صرتم به مثلا شرودا من ابا
ابسرعة نحنى الرؤوس لكل ما ... يأتي الفرنج به وننسى يعربا
في مثلها يقضى الغيور أسى ومن ... لا يستطير بها لظى وتلهبا ؟
أيعود مغربنا العزيز كانه ... ما كان في التاريخ ذاك المغربا ؟

يشغل من اليه

وكنت في 18 ربيع الاول 1373 هـ ، في انتظار بعض من اريد ان يقضي لي حاجة فشغله عني ابن علال فقلت له مداعبا :

أراك ابن علال شغولا لكل من ... اليك فيا للقاعدين ازاءكا
فياليت من كانوا أمامك أصبحوا ... وراءك ان ينج الذين وراءكا

مع الاحمدين ابن قاسم الفكيكي وابن علال السجلماسي وابن الحسين

يوم الخميس يوم ابتهاج

وفي صبيحة الخميس 18 شعبان كنت اتجول في الساحة مع اولادي البررة الاحمدين المذكورين ، فتجاذبنا كثيرا في مسائل ترجع الى مادرسته معهم ،

صمدت والاشفـــاق يحفزني تحننـــا ، والله لي يشهـــد
أخـــال أني ســاراك لقـــى ممـــددا حوليـــك ما يسنـــد
تجـول فـي العود عـن مقلـة حيرى بها يستحســـر العود
لكن رأيت ما رايـــت فـــلا مصدر مما خيـــل لا مـــورد
أصح مما كنـــت تقفـز مـن حـول الكرين او لها تنهـد (1)
تقوم بالشغـــل وهـل ينتحى لاي شغـل غيـــر مـن يجلـد
لا أثـــر لا عيـــن من مرضـــة مست أمـــا تصدق يا أحمـد
امـــا تقر انهـــا نعســـة قد جرهـــا دد بـــه تسهد (2)
اليس هـــذا هو ما شهـــدت عيناي منـك والورى شهـــد
قـد جئت مرتاعـا وقلبي مـن شفقـــة من الحشا يشـــرد
فعـــدت لا أدري أ أعتـــب ام اللـــه عـــن سلامـة أحمـــد

نتيجة امتحان

ان من أفضل ما أنعم الله به علينا في معتقل (اغبالو نكردوس) هـــو استغلال الفراغ بمـا نصبنا اليه النفـس من أول يوم مـن نشر العلم وتنوير واستفاد منها اولئك الذين كانت لهم خير فرصة لاستدراك ما فاتهم ممـــا شغلتهم عنه المهـام التي تفرغوا لها فيمـا قبل ، وكنا نجري لذلك امتحانات دورية تنشيطا للهمم وشحذا للافكار ، فمـــن ذلك اننا في يوم السبت 13 شعبان أجرينا امتحانا لطبقة النحو والصرف ، فكانت الاجوبة مرضيـــة ، ولكن لـم يكن بـد من وقوع تفـاوت بين الناس خصوصـا ومنهم من كان في ماضيه متفرغا لغير هذه العلوم ، فلم يكن بد من الترتيب ، فكتبت على جواب

---

(1) لكلمة الكرة عدة جموع أحدها الالحـاق بجمع المذكر السالم على قاعدة باب سنيـــن .
(2) الـــدد : اللـعـــب .

كل واحد منهم ما سنح في اللحظة ، فلنتخذ ذلك كتذكار ، ولنجره على ترتيبهم في التحصيل .

1) ـ وكان المجلي (1) منهم مولاي الحسن (2) الادزري الذي كان مني بمنزلة الولد الخاص والخادم الملازم .

لله در الحسن اللبق ... بالجد يبغى العلم لا الملق
خاض الوغى وكيف لا يعتلي ... في الحرب ذو سيف وذو درق
جلى نحاز الخصل منفردا ... والمجد كل المجد في السبق(3)
فهل يجلى غير مجتهد ... مصطبح بالدرس مغتبق
ان البعيد ليس يدركه ... الا اخو جد وذو عنق
هنئت يا نجيب هنئت ما ... احرزت من در على العنق (4)
أحرزت في التمرين مكرمة ... احراز أهل الجراة الصدق

2) المسلي سيدي احمد بن علال السجلماسي النجيب المقدام :

كدت تطير يا ابن علال ... لو لم يكن مس باخلال
قاربت ان يكون تاج على ... رأسك مصحوبا باجلال
لكن وان لم تستحل أولا ... في اليوم صرت التابع التالي
ان التفوق ـ وابشر ـ لمن ... يرنو نظيرك الى العالي
فمن قريب تكتسي حلة ... منسوجة من خير منوال
وتسمع الآذان جمعاء عن ... أي دوي بابن علال

---

(1) 1) المجلي ، 2) والمسلي ، 3) والمصلي ، 4) والتالي ، 5) والمرتاح ، 6) والعاطف ، 7) والحظي ، 8) المؤمل ، 9) واللطيم ، 10) والسكيت ،اسماء خيل الحلبة في السباق على هذا الترتيب .
(2) بسكون الحاء والسين .
(3) السبق محركا : ما يحوزه السابق في الميدان .
(4) العنق محركا : السير السريع .

3) المصلى : ولد قلبي احمد بن بلقاسم الفكيكي ، وقد داعبته قليلا في القطعة :

أحمد قد كبا به جواده ... هوى به في هوة اخلاده
أزهاره هاتيك أم أعواده ؟ ... أم انقضى في الامتحان زاده ؟
أم انما في غده ميعاده ؟ ... فان من يعتاد ما يعتاده
سميره طول المدى اجتهاده ... لابد من بعد تري أزناده
اصداره ينسى به ايراده ... حتى يرى من بحره ازباده
كما قضى بذلك استعداده

4) ـ التالي صاحب الهمة القعساء عمور المكناسي المجتهد المكب :

لله در أبيك يا عمور ... قد أغمتنا من رباك زهور
هذا الجواب وان ذوى من زهره ... بعض ، خليق بالقبول جدير
اني لأعجب من ذكائك كلما ... أبصرته حول العويص ينير
أنى ظفرت بهمة قعساء لم ... تنفك تنجد في العلا وتغير ؟
فإلى الامام الى الامام فانه ... من جد ييسر في يديه عسير
لا كان من ان امكنته فرصة ... لم يلف منه للانتهاز صبور
هذا الفراغ،وهل يدوم نعميمه؟، ... فيه انتهاز لا يقاس كثير
عمور درسا لا يغب فانه ... بالدرس ينبوع العلوم يفور

5) ـ المرتاح : الخطيب المصقع عبد الهادي الحلو المكب على التحصيل أكبابا هو فيه فذ :

كاد الخطيب بما أجاب يفوق ... ويلوح بالاسفار منه شروق
من كان أعطى للدراسة بعضه ... فالكل منك الصادق المصدوق
فكأن زهر العلم بين رياضة ... بنسيم فكرتك اللطيف فتيق
هل كان أورثك العزيمة في العلا ... أصل أصيل في العلوم عريق ؟
ها أنتذا قد كدت تحرز ما تشا ... وعلى سواك من اللدات تفوق

فلقد تطعت الى مرامك شاطئا ... فيه سواك من الضعاف غريق
فكأنني بك في الرباط ورايـة ... من شهرة دوت عليك خفـوق
فتروج للعرفـان منك وللعدى ... والرشد والنصح المروق سوق

6) العاطف : الجندي الباسل أحمد اليزيدي ، الشهم في ميادين العرفان والمـران معـا :

لقـد ذقت ما ذقت بيـن المهارق ... أيوشك ان تنسى رصاص البنادق
ا ان نلت بين الجند ما نلت شئت ان ... تنـال كذاك الفـوز بين المهـارق
ا فـي كل مضمار تبذ تسابقـا ... فتحـرز ما يحظى به كل سابـق
فاعظـم به عزمـا يصول كأنـه ... مهند ذمـر في المعارك صادق (1)
الى شاوشهـم لا يشق غبـاره ... تطاولت ، أبشر بالشفوف المعانـق

7) الحظي : الدؤوب احمد بن الحسين القصيبي ، صاحب العزيمة التي لا تفتـر :

تسـام الى العـلا يا ابـن الحسيـن ... معـن كثب تكـون قرير عيـن
فقـد القيـت دلـوك فـي دلاء ... عظـام باسطـا كلتـا اليديـن
فمـن يطلـب بهمتـه شفوفـا ... فأنـت طلبـت ذاك بهمتيـن
مدارسـة لعلوم الـى انكبـاب ... مطالعـة ، ففـزت بخصلتيـن
وتسعـى لا تمـل ، تريد تبقـى ... لداتـك مـن وراء بـدون ميـن
عرفنـا الآن أن الـدلـو تغـدو ... طفوحـا من عراقي الجانبيـن (2)
لقـد اكرمـت فارتبطـن اذا مـا ... تشـا ادراك غايـة كل فـن (3)

---

(1) الذمـر بالكسر الشجاع .
(2) العراقي : جمع عرقـاة بفتح العين واسكان الراء ، او عرقـوة كذلك العود الرقيق يمد مستديرا على فم الدلو .
(3) (اكرمت فارتبط) مثل عربي يعني انك ظفرت بفرس كريم أي جيد فاربطه عندك ولا تضيعه ، فسار مثلا في التوصية بالاحتفاظ بكل جيد .

مع محمد بارو

الدر هو الدر

وخاطبت التلميذ الضحوك اللطيف السيد محمد بارو في صبيحة 13 ربيع الاخير 1373 هـ ، تنشيطا له وتشجيعا على المحافظة على الصلاة :

ان الفتى محمدا برو ... مهذب مطاوع بر
يطيع في الخير ومن ذا الذي ... يطيع الا الرجل الحر
لا يسألن أحد عن مدى ... ودي له فانه سر
فمن يرد شفوف رتبته ... فليصف مثل ما صفا برو
هل يستوى در ومخشلب ... في العين فالدر هو الدر (1)

ملاحظة السعد

وكان هذا التلميذ ربما غلب عليه النعاس بكرة ، فداورته حتى اهتدى للاقلاع عن ذلك بعد تكرار الوعود ، فلما توفق للوفاء بوعده قلت له مباسطا في ربيع الاول 1373 هـ :

ان برو قد لاحظته السعود ... هكذا هكذا تكون الوعود
ابكور يرقى لأوج المعالي ... أم شخير تحت الغطاء مديد
فمتى كان في اصطباح بنوم ... شرف او متى يحيب الهجود (2)
صبحة المرء كل يوم دليل ... انه لن يكون ممن يسود

---

(1) المخشلب : يشبه الدر في لونه ويقال فيه ايضا مشخلب .
(2) الهجود : الذي يقوم الليل للتهجد .

مع سعيد بن الحسين بن الحبيب

القصيبي

فتى طوق در السعد

كان هذا السيد من أفاضل الاخوان ومن المكبين على تحصيل المبتدئين ، فقلت على البديهة في أوائل ربيع الاول 1373 هـ ، تنشيطا له :

ان سعيدا خير من فاقا ... سرعان ما يحتل افاقا
(اعرج) لكن ان جرت حلبة ... نحو العلا تلقاه سباقا
ربيب مجد مصطفى من بني ... جلدته أزكن حذاقا
ما كان الا الشمس ساطعة ... ان شيم اهل المجد افلاقا
كأنه والمجد صب أتى ... صبا بفيض التوق اعناقا
يهتاج كل نحو صاحبه ... تلهفا يذكو واشواقا
فهل رأيت قط مشتاقة ... اذا ارتمت تضم مشتاقا
يرشف كل ثغر صاحبه ... فيا لذاك الرشف أذواقا
عشق الى عشق ومن ذا الذي ... يلوم في التهيام عشاقا
فليهنا المجد أن فلقت في ... عليائه للناس افلاقا
ما أنت سعيد الا فتى ... طوق در السعد اطواقا
رضعت رسل المجد من صغر ... رضاع اهل السعد أفواقا
قالوا بنو الاطلس شوس وقد ... جئت على ما قيل مصداقا
طبت وهل يطيب الا فتى ... قد طاب بين الناس أعراقا

يد صناع في الأتاي

وقلت له ايضا صباح الاحد 21 ربيع الاول ارتجالا وقد هجمت عليه في فراشه عند الشروق ، وكان ممن يحسنون اقامة الاتاي :

يا سعيد القداح هل انت صاح ... فتمد الجلاس بالأقداح (1)
فسعيد من كان جنب سعيد ... يتملى في حنبه بانشراح
يده في الأتاي خير صناع ... في اغتباق الجلاس أو في اصطباح
فكأن الأخلاق منه شراب ... روقته يداه بالأفراح
وكأن الحديث منه على الشر ... ب نسيم الرياض وقت الصباح
يا بشارات جار مثل سعيد ... انه فائز بكل رباح
احمد الله اذ تجتمع فيما ... بيننا في (كردوس) ايدي الفلاح

عيادة مريض

وفي 11 رجب عدته من زكام ألم به ، وكانت بيني وبينه مؤانسات ومباسطات ، فخاطبته ارتجالا أقول :

نعود سعيدا والعيادة واجبة ... ومن لا يؤدي في العيادة واجبه
أيضنى سعيد ثم يبقى سرورنا ؟ ... فأية نفس لا ترى منه ذائبة ؟
أيضنى ابن قلبي والممازج مهجتي ... وأصبح للشرب المروق شاربه
فأين عزوفي أين مني كرامتي ... اذا نسى القلب المولّه صاحبه ؟
فهاك يدى ان لا أرى من تبسم ... الى أن يميط السقم عنك سحائبه
متى ذلك اليوم السعيد متى ارى ... به أنسنا ايضا يجر ذوائبه
فدم يا سعيد الحلو ذا صحبة بها ... تنال هناءات السعادات قاطبة

---

(1) المراد بسعيد القداح الذي تكون قداحه في الميسر رابحة ، وذلك ان من قداح الميسر الرابح والغفل ، فمن كان سهمه رابحا اخذ من المقامر عليه ومن كان قدحه غفلا غرم الثمن الذي اشترى به المقامر عليه ، وهو جمع قدح بكسر فسكون ، والاقداح الاخرى جمع قدح بفتحتين وهو الاناء الذي يشرب فيه .

مع الاخ سيدي ميمون التكزرتي

كنز ثمين من الاخوة

في اوائل ربيع الاول 1373 هـ ، قلت في الاخ سيدي ميمون التكزرتي الاطفسي ما يلي :

شاوروه فانه ميمون — كل خير في نصحه مخزون
أم ترون الاسماء تلقى جزافا — كل معنى مع اسمه موزون
أولا تلمسون من يمن ميمو — ن وقد شاهدت سناه العيون
أو ملكتم ، وما عرفتم ، ثمينا — لم يكن مثله نفيس ثمين
لوذغي شهم وليث هصور — غير أن لم يكن لديه عرين
يا سعادات مجمع كان فيه — انه مجمع الهنا الميمون
ان ايمانكم لتحرز منه — خير كنز ما احرزته يمن

مع أبي عنان

كريم

قلت في 23 صفر 1373 هـ ، في ابي عنان الكريم الأريحي ، وهي القطعة الاولى التي صدرت عني هنا في الاخوان وفر الله عددهم وكثر مددهم وأطلق سراحهم وهي :

من اين موزجت بالايثار والكرم — يا من له همة تعلو على الهمم
أما ترى فرحة للنفس تقطفها — الا من أفنان ما توليه من كرم
أخال انك لو لم تلق مكرمة — بين الوجود اشتهيت الرجع للعدم

وقد غادرنا هذا الأخ مسرحا في يوم السبت اخر يوم من جمادى الثانية عام 1373 هـ الى الطاووس .

مع السيد المعطي الازرويي

استنهاض

افتتحنا دروس التاريخ المغربي بين العشاءين في 28-3-1373 هـ ، ثم توالى فيه درسان لم يحضرهما سيدي المعطي الازرويي مع انه من النجباء المهتمين ، فاوصى احدهم ان يبلغني عذره ، ولكن لم يبلغني شيء حتى كتبت هذه الابيات وهي :

لو فات درس لقلنا قد عرا شغل ... لكن دروس توالت كلها عطل
ليس البطولة في الاقران صرعهم ... لكن منافسهم درسا هو البطل
ايذهب الدرس ثم الدرس ثمت لا ... تحسر ان ذا حقا هو الملل
ام تبتغيها حياة دون مشغلة ... كل حياة الفتى حل ومرتحل (1)
اعيذ منك نجيبا ان يقهقره ... بعد التقدم في اقرانه الكسل
في اليوم خمر ويأتي الامر يتبعه ... وكل عيب سوى جهل الفتى جلل (2)
لم تكن معطيا فلتعطها هممًا ... حتى ترى كاملا بين الاولى كملوا

مع مولاي الحسن الادزري

شراب يستحسن

في يوم من اواخر جمادى الثانية خاطبت الشريف مولاي الحسن الادزري وهو معنا في غرفتنا - بالبيتين الآتيين ، وكانت له يد صناع في الاتاي وهما :

---

(1) لاننا كنا في هذه الاثناء مشتغلون بالانتقال الى البناية الجديدة .
(2) اليوم خمر وغدا امر : مثل قاله امرؤ القيس لما نعى له ابوه المقتول وهو على الشراب وهو ينوي ان ياخذ بثاره .

عـزاء وان الظـنى المصاب وان وقـذ (فلله ما اعطى ولله ما أخـذ) (1)
فتلك حبال الدهر جمعـا وفرقـــة فلا تغترر ان كان أرخى أو ان جبذ
مريش المنايا كـل حين مفـــوق بأي دروع تتقـى منـــه أو خوذ (2)
يظـن الجهول انـــه متنـــرس اذا بمريش بين جنبيه قد نفـــذ
ذر القـدر المحتوم ينفـذ قضـاؤه فيرجى، ما يرجى ، ويفلذ ما فلذ (3)
فقد يصرع الافعـى الصؤول بصرفه ويفلت من حدثانه ولـــد الجـــرذ
بربك لذ فهـو القديـر وانـــه ، يفلل ما يبغى ويشحـذ ما شحـذ
اليه تشـم منـه العجـاب فلن ترى كرحمتـه ان كان حزنـك قد وقـذ
فهل نافع منـك التأسف بعـد أن قد انتشبت بالخطب في قلبك القذذ (4)
فصبـر جميل خير آس ومن تـرى من أهل الاسى واساه ما فيه او نقذ(5)
اذا ما جـزوع كان منتبذا اســى فبالصبر لذ ، فالصبر افضل منتبذ
وثق فى الفراخ الزغب بالله انـه اذب بفضل منه عن كل ذى حذذ (6)

مـع سيـدى محمـد بن عـزو

الاضالـــع

توالـت علينا في الغداء بيـن المرق الذي يفـوق عظام الاضالع ، وقـد كان المذبوح الذى يوكل منه في تلك الايام واحدا ، فلاحـظ صاحبـاي الشريفـان ذلك ، وكأنهما يتهمان الموزع بتعمـد احتقارنا بدس العظـام

---

(1) ـ من حديث شريـف .
(2) ـ ج خـوذة : المغفـر .
(3) ـ يضـح .
(4) ـ ج قـذة وهـي ريش السهـم .
(5) ـ نقذ وانقذ ونقذ بمعنـى .
(6) ـ الحـذذ انبثـار الذنـب .

ببختك ما تعطاه بين الاصاحب ... فلا بابن عزو ذاك لا بالشرائبي
الا يستحي من كان يلمز من كفوا ... مهماتنا من بين تلك المتاعب
عما كفيانا ان نوزع بيننا ... مخاطفة مثل اختطاف الثعالب
فشكرهما الفرض المحتم لا الذى ... يرى البعض من لمز بكل المثالب
أيمكن ان يرضى الموزع كل من ... اتاه خصوصا بين تلك المجاذب
فما كان من نقص يحس انتقاصه ... فما منهما بل من اكف الاجانب
على اننا يا قوم نسبح كلنا ... على نعم تطمو على كل جانب
فان الذى يحظى به الكل حافل ... بانواع ما يرضي جميع المطالب
الم يرض في ماكوله كل آكل ... الم يرض في مشروبه كل شارب
الم نتقلب فى النعيم كما نشا ... على كل ما نشهاه بين الرغائب
وبعد فما ظني وظن كباركم ... تطاحن بعض حول تلك المآرب
فانا كفينا كل هم الا فتى ... يفكر فينا فكر صنو التجارب
فينتهز اليوم الفراغ ليبتنى ... له في غد مجدا باعلى المراتب
فيدرس علما او تفيد تحولا ... ضرائبه ان كان رخو الضرائب
ففي اليوم خمر ثم فى الغد أمره ... فيا ويح من يحيا هنا في الألاعب
فشعبك يا منفى منتظر وقد ... اجاك كاليعسوب لا كالملاعب
فلا بأس فى لهو برىء فمن درى ... يرى السول في التثقيف لا في الملاعب
فعما قليل تدركون نصيحتى ... فيندم من يلقونها عن جوانب
الا انني اديت فى النصح ما على ... نظيرى وقمت اليوم فيكم بواجبي

مع جماعة فارقت مجلسا

ما المرء الا اصحابه

غادرني اخوتي ، بل ابنائي : احمد بن بلقاسم وابن عمار وابن الحسين زوال 29-3-1373 هـ في مكان كنا جلسنا فيه عشية طيبة تجري بيننا فيها الاحاديث الحلوة عن أحوال شتى ، فقلت فى

الحيـــــن :

يا لهـف نفسي على اخـــوة أحجوهم كروحـــى الثانيـــة
تفرقـــوا كـأنهـــم نجـــم ممطـــورة فـــي ليلـــة شاتيـــة
فخلفونـــى بعدهـــم مفـــردا اضجـر من نفسـى ومن ذاتيـــة
مـا المـرء الا صحبـه ما بقـــوا فان مضوا فنفسـه الماضيـــة

طهمـاز ومهمـاه القيمـــان على المعتقل

القيمـــان السارقـــان

كان الذين تداولونا كقيمين ملاحظين ثلاثة ، اولهم : الشاوى الـــذى تـرك لنا صفحة بيضـــاء بمساهلتـه ، والثاني مهماه احمـق ارعن ، تقلب تقلـب الحرباء ، فاول ما جاءنا ، فتح علينا لسانا حلـوا ، وغمزا في السياسة ومخاريـق كشفت عنه في الجلسـة الاولى ، ثم صـار يظهر مكنونه شيئـا فشيئـا ، ومـداره الاستـزادة فى الثمن فى كل ما يشتـرى لنا ، ثـم لا يكتفـى الا بالخمسين فى المائة ، وهو مع ذلك يسر الينا بعض اخبـــار في الوقت الـذي سدت دوننا الابواب ظاهرا ، ثم لما تكشفت سرقاته اعفـي من منصبه ، فاستبـدل ببهيمة تتكلم ، الا انـه لا ينفع ولا يضر ، سميناه نحن طهمازا ، ففـي هذين قيلت عاتـان القطعتان : قيلت الاولى لما استبدل الاول بالثانى ، فجاءنا الاول مستعبرا يحاول منا المراسلة الى الاهالـــي ، ليبتز من اهالينا ايضا ، فالأولـــى :

غـــاب مهمـاه ذلك الجمـــاز فـاتانـا بديلـــه طهمـــاز (1)
قد مضى السارق الضحوك فهذا من أتى بعده بمـا يمتـــاز ؟
ان مهماه ما اشترى قـط ، الا والتغالي فيما اشترى ممتـــاز

(1) ـ الجمـاز : الحمـــار .

ليس يدري الا الزيادة اذ عا ... فا الى قعر جيبه تنحـــاز
شغله كله احتجان بكفيـــه جميعا والخطف والانتهاز
قانع بالسنتيم ان كان مصرو ... را عليه ونالـــه احـــراز
وسجاياه انه موسة التمـــوين ان كان بالسجايا امتياز
بل يدل الـــذي تجول يداه ... حوله انه الفتـــى الذهـــاز
غير ان المافون ليس لـه حـز ... م ولا كان في يديـه احتـراز
بل يجيل الكفين خبطا كعشوا ... ء قد أعمى عيونه الاعـــواز
لـم يسرها سـوى خطا فاذا مكـــر يديـــه مبيـــن ممتـــاز
سيجته شواهـد الصدق ما ان ... في يديـــه من بينهن اجتيـــاز
افتضـاح الى افتضـاح كان سـل عليـه بالبينـات جـراز (1)
فاتانا مستعبـرا يوم يجلـى ... ولأهـــداب عينـــه افـــراز
حيله مستجدة للاهالـــي ... أعلينا احتيالـــه مجتـــاز
يتالى على البـــلاغ اليهم ... فهـو حتى الى القـرى يجتـاز
وهو يحجو بأننا قد جهلنـــا ... ما الذي يبتغيه ذاك الطـراز
فتولـى عنا بخفـــى حنيـن ... زار عينيـــه بالردى ابـــواز

طهماز من المتنبئين بالغيب

والقصيدة الثانيـة سببها انني رأيت حول طهماز بعض الاخوان وهم يستديرون كعادتهم معه اذ يتخذونه سخرية ، وكثيرا ما ينسى تنظيـف وجهـه حتى ينبهه بعضهم ، وفيه رعونة في مشيته وفي محادثته ، وقـد زلـق مرة زلقة أول مجيئه امام درج مسكن الازروئيين ، فلم يكد يتماثل ، والغالـب انه اذ ذاك سكـران لولوعه بالخمـور ، هذا ، وبعـد ما انفض عنه من حواليه ، سألتهم عما كان يقول لهم ، فقالوا : انه رجع سياسيـــا

---

(1) الجراز بالضم : السيف .

يستنتج من الحوادث ما يكون فى المستقبل ، فزعم انه كان تنبأ قبل عشرين سنة الى ماذا تصير اليه الهند الصينية ، وهكذا يهرف الرجل ، فذلك هو السبب حتى قيل ما يلي ، ولتنتبه الى انه ايضا جرمانى ، وقد كان هتلر يخصى الحمقى لئلا يلدوا حمقى المانيين مثل هذا :

انتبآت الغيب من طهماز	انى اهتدى ؟ ابعقله الممتاز ؟
بينا العتل يضل عن كفيه ، اذ	يحجو غيوبا كن فى احراز (1)
قوموا انظروه اهكذا ذو نهية	فانما يحبو على عكاز
نظراته مختلة انى نجت	منه الاسائل من خصاء النازى
لم يدر كيف مخالطات الناس لم	يصلح لغير حظائر الامعاز
ارايتم فى وقته المعتاد ، اذ	يرتاد كالمتفقد المجتاز
يتجسم الهوج الصريح بعطفه	فكانما يمشى على أوفاز
فاذا أراد تكلما فكانما	يستخرج الكلمات بالمهماز
لا يستفز وان صفعت قذاله	او مثله يعنى بالاستفزاز
ما ان يبالي بالذي يجرى ، وان،	أهويت فوق جبينه بجراز
هماته جمعاء فى ممضوغه	ارايت كيف يهش للأخباز
ابمثله تبغى فرنسة عزها	يا ذل من يبغيه للاعزاز

تحية رمضان : 1373 هـ

وقد استقبلت هذا الشهر المبارك بقولي :

رمضان جاء هلم يا مختار	ان كان منك لذنبك استغفار
فقد انتفت فى اليوم عنك شواغل	شتى وزالت تلكم الاعذار
ان السجل مفتح فليجتهد	من شاء ان لا تكتب الأوزار

---

(1) العتل بضمتين ، وتشديد اللام : الاكول الخافي الغليظ .

ست وخمسون انقضت واحسرتا ان لم يسامح عبده الغفار
انى ارى المختار بين الناس ان لم اغد بين ذوي التقي اختار

فى خوان مستطيل

بعد العشاء ليلة 21 ربيع الاول 1373 هـ قلت اجابة لاقتراح الاخ العلامة الفاسى ، في خوان مستطيل صنع لنا بيد الاخ العلمي النجار :

وخوان قد استجد طويل من يشاهده يستجد سروره
ابدعته يد صناع لمن صنعته بالشكران منا جديرة
كل عين تجول فى رونق من مستطيل منه تكون قريرة
من يطب صنعة فما ذاك ، الا نفحة من عبير طيب السريرة
نعمة مستجدة أبدا للد هر فينا فسار أحسن سيرة
قد يكون الخوان فاتحة للخير وضاءة السنا مستنيرة
مستطيل الخوان في اليوم فال لغد حول ميدة مستديرة (1)

بناء وسموك ينهار

وفي صبيحة الخميس 2 ربيع الاخير : 1373 هـ دخل الاخوان الى البناية الجديدة التي بنيت لنا بملايين ذكر انها (16) مليونا من الفرنكات ، ولكنها سرعان ما تداعت سقوفها ، حتى اندك بعضها ، واما الوكف فان البيوت توشك ان تعد مسابح ، فلما اجلت فيها النظر وسمعت الاخوان يتعجبون من سرعة تداعى البناء ، لم أملك ان قلت :

---

(1) ـ الميدة لغة فى المائدة .

قالوا تداعى سريعا كل ما سمكوا كانه غير مرصوص ومسموك
فقلت شعب تداعت معنويته الا تداعى مبانيه لتدكيك
اما تداعت صياصى (ماجنو) عجلا فالحين اذ صرصر البازى على الديك(1)

لعب الكارطة

وخاطبت ليلة اليوم الثالث من رمضان بعضهم ، وقد عز علي ان اراه مسترسلا طوال الليل فى لعب الكارطا ، حتى انه ليحرم الانتفاع الكثير بنهاره من الدروس التى توالى كثيرا ، وقد ثار فى وجهي لما احس بحمة العذل ، فعذرته كما يعذر الاب ولده الوحيد الذى يسكن فى شغاف الفؤاد ولكونه اديبا جاء الخطاب كما ترى :

عذولك من يشتط حقا ومن اخطا الا اسهر كما يهوى شبابك في الكرطا
نثر ثم ثر ان الكرامة منك قد تناولها من كان في عذلك اشتطا
هل المجمد كل المجد الا الاعب ، توالى اريرا طول ليلك أو عيطا (2)
دع النوم للغاويين لم يتذوقوا من أنواع هاتيك الأعيب اسفنطى(3)
أنوم فاصباح الى الدرس منذ أن يروا يومهم حتى عشيته الشمطا
هل العيش الا فى تصاب وسهرة على بحرها لا يبلغ السابح الشطا
أمامك لا تعبأ بعذل فأنت ذو ، اصابة حق والعذول أخو اخطا
تمتع بريعان الشباب ، ولا تبل بنصح حوى الاخلاط جمعاء والاخطا
وطر بجناح النسر نحو الذي تشا ولا تقبلن فى اللهو قيدا ولا شرطا
فما أنت الا مستقيم ، فما ابتغى عذولك الانقص حقك والغمطا

---

(1) صرصر البازى على الديك : مثل قديم ، واعنى بذلك صرصرة المانية على فرنسة والفترسيون يرمزون لانفسهم بالديك .
(2) الاربر : صخب المقامرين .
(3) اسفنطى : اسم من أسماء الخمر .

الا فاستغل العيش ما دمت فرهدا ودع ذلك المهذار مختبطا خبطا
أمن كان في اللهو المباح يلام ان يهتك بلهو من تزمتكم مرطا
على أن هذا كله قد جرى لنا به قدر قد خط فينا الذي خطا
فما قولكم من بعد ام تحسبون ، ان جهلنا فما في الدين ندرى ولو نقطا
سكوتا سكوتا يابني الشيب واتركوا من النشىء من اعطاهم الله ما اعطى

تهكم بمدخن

وفي صبيحة الثلاثاء 23 شعبان ، خاطبت متهكما بعضهم ممن يكبون على التدخين ، مع كون غالب المعتقلين صاروا ينقطعون عنه ، : قلت ذاك بديهة :

يا من يدخن مرة دخن أمامي الف مرة
دخن ودخن لا تبا ل واعلن التدخين جهرة
دخن فربتما غاطت فخلت ذاك المسك بعرة
ان الدخان وان تطا ول لن يحطك قيد شعرة
انشق به ارج الريا ض وما ينسى كل زهرة
لا لا لجاج ان أرى التدخين بعضهم مضرة
من ذا ينازع رأى من يحجو دخينته مسرة
دخن وعش حرا فيا طيب الحياة تدوم حرة
ان الدخان لذاذة عظمى لمن قدروه قدره
ايلوم ذو عقل وذو ميز على التدخين غيره
حاشا وانى من عجمت الجهر منه وجست سره
دخن ودخن لا تخا لف من أخيك اليوم أمره
لا لا تكن كالغر يتـ ركه لطالب او لغيرة
فالحر لا يرتد عن أمر وان واراه قبره
هل في النصيحة من شفو ف في سواها الف حسرة

ضيـــــاع مذبـــــة

وضاعت منـي هذه الايام مذبة قديمـة ، فصرت أدور بيـن الاخوان في احـدى مجتمعاتهـم ، وانـادى فيهـم :

يـــا مـــن رأى مذبـــــة قديمـــــة ممزقـــــة
يردهـــــا بنفسهـــــا او غيرهـــا مرونقـــــة
الا تخـــاف صرخـــــة مرعـــــدة ومبرقـــــة
أم تجهلـــون شاعـــــرا منـــه القوافـــي مطلقـــة
محتوشـــــا بقولـــــة يتركهـــــا مصدقـــــة
الا احتياطـــا قبـــــل أن تثـــار منـــــه مصعقـــة
أعـــذر مـــن انـــذر قبـــــل ان تحـــــل الموبقـــــة

ثم اني وجدت المذبة تحت فراشي ، فاستغفرت الله من هذا الوعيد ومن اسـاءة الظـن ، وان بعض الظـن اثـــم ، فقلت فى (24) شوال :

يـــا رب غفـرانـــا فقـــــد جاشـــت ظنـــون مخفقـــه
حيـن جمعـت الكـــل مـــن مظنتـــــى فـى بوتقـــــة
هل فرصـة أجـــزى بهـــا اذ لـــم أصـــادف مطرقـــة
فاننـــــى جنيتهـــــا جنايـــــة محققـــــة
أقـــل مـــا تجـــزى بـــه مظنتـــــى الممخرقـــة
ان لا تـــرى لي قولـــــة مـــن بعدهـــــا مصدقـــــة
لا عـاش مـن مـــان علـى ظـن ولا مـــن صدقـــــه
الصـــدق ميـــزان الفتـــى ومـــا ســـــواه مخرقـــــة
دونـــك سيـــف الحـــق منـــى الـــرأس فاعـــل مفرقـــه
وتوبـــــة خالصـــــة لا فجـــــة منمقـــــة

هل يعود يوم الريخ الى عنفوانه

وقلت في 2 ربيع الثاني 1373 هـ : وقد جرى ذكر عهد الريخ ، وانه سيعود مجده عن قريب كما كان ، فقلت قد يعود ولكن على حالة أخرى :

كيف يرتد للحياة الريخ ... أو يحيا المذبح المسلوخ
ما مضى قد مضى وما سوف يأتى ... فهو روح مستحدث منفوخ
انما الناس بعضهم ملك بعض ... اعزل الناس للكمى سليخ
فحياة الانسان فى هذه الار ... ض صراع فالصرع فالتشحيخ
صولة الوحش ليس منها بناج ... لا وليد فى مهده لا شيوخ
من ميادين بطشه يوم يحتد فينفض بنبح التاريخ
سلسلات من التغطرس يقطر ... ن دماء يمجهن المصيخ
كل عظيم لكن ببطش عظيم ... كل رحمى بالناس منه تسيخ
كل من شيعته بالعار للاجيال أعمال بطشه ممسوخ
قد مضى الريخ ذاك لكن أيغدو ... عظة للطغاة ذاك الريخ

عقد كلام في أنواع الناس

وفي عصر الثلاثاء : 4 رجب 1373 هـ ، وقفت على كلام للفضل بن يحيا فعقدته :

أنواع من تعيش فيهم اربعة ... فزبذة بعلمها ملتمعة
وعلية بملكها مرتفعة ... وفئة لولا الغنى متضعة
وزمرة من زبد مجتمعة ... من الطغام لا حجى لا منفعة

ان لم تكن جندلا فكن هباءة

وقيل أيضا فى مقام :

كن كيفما كنت وشارك فما تفعله يجديك كيف يكون
ان لم تكن بجلمد شادخ فكن هباءة لتقذى العيون

العاقل والجاهل

وفي نحو 25 شعبان ، قلت لسبب خاص :

أي فضل لعاقل قابل الجا هل ان سامه انتقاصا بجهل
انما العقل ان يقابل ذو جهل بحلم وذو انتقاص بفضل
لاسمت بي نفسي الابية ان أسـ ـفت يوما الى تجاوب نذل

كيف الصداقة

في 11 رجب : 1373 هـ خطر لي بديهة ما نفثت به في هذه الابيات بعدما رأيت من صديق مخلص ما رأيت :

من يكن جاهلا مقام الصداقا ت فاني بها لخير عليم
فصديقي عماد عيشي ومرآ ة لنفسي وصيقل لهمومي
ان يكن حلمه تغيب حينا فأنا دائما لجد حليم
أو يكن ثائرا علي لضيق مسه ألقه بصدر سليم
أو مثلي معاشر كلما كا ن عشيري في مقعد مقيم
فصديقي روحي وروحي أولى بالمراعاة من شقيقي الحميم
فهنيئا لمن يصادق منـ ـي راسخ الود مخلصا من صميمي

المصاحبة ترجمة الانسان

وقلت في أحد الناس أجل آخر ممن لا يستحقون الاجلال ، فتعالى عليه بسبب ذلك : الوم المجل قبل صاحبه :

لا تلمه ـ وقد أجللت ـ ان شمخا ... يداك قد أوكتا وفوك قد نفخا (1)

الست تعلم ان النذل ان سمعت ... اذناه مدحا او اجلال الورى شمخا

انى لا عجب ممن مدحه نقط ... للمستحق وان يلق الزنيم سخا

يلقى الشريف باطراق العيون على ... صمت وان يلق من انذاله صرخا

ايكرم النذل غير النذل ترضية ... منه لطبع على اخلاقه رسخا

كل الى جنسه فى الناس منجذب ... فهل يرى بين باز والبغاث اخا

وفى مصاحبة الانسان ترجمة ... مقروءة لا ببخل لا ولا بسخا

عادة أوروبية

لكثير من ابناء اليوم عادات فرنجية تخلقوا بها ، فتراهم ـ مثلا ـ عندما يجيب أحدهم مستنكرا يقلب شفته ويهز كتفه ، فقلت في ذلك يوما : 18 رمضان بديهة :

بقلب الشفاه وهز الكتف ... تكون اجابة من يقترف

فأين حياء الاديب ، اذا ... باغلاط ما قد جنى يعترف

الا قبح الله غربهم ... وما كان من خلقه قد عرف

أمن يستحب التفرنج قد ... درى بيننا كيف أكل الكتف

من استعمرت منه أخلاقه ... فانى اذا لمته تنتصف

ومن عظم الغرب فى عينه ... فعن خلق أجداده قد صرف

ومثلي اذا ما نهى مثله ... أرى عنده جامدا قد خرف

نعم انني قد جمحت وقد ... خرفت ولاكن على دين من قد حنف

---

(1) ـ مثل معلوم ، معناه أنك الذى فعلت ما فعلت فتسبب عنه ما لا يعجبك فلا تلم الا نفسك .

لحية كثة

وفى عشية اليوم تخيلت ما لفقته في هذه الابيات في وجه بعض الاعوان معنا :

يا لك من ذى لحية لم يشب سوادها بالشيب من وخط
قد صففت صدغا لصدغ كان هندسها البناء بالخيط
سويتها ملتفة كثة كانما التثمت بالقط
فلتحفظنها لحية سلمت لك بلا قيد ولا شرط

((امعتقل ام جنة الخلد))

وقلت ايضا في صبيحة 7 من رمضان ، وقد اجلت عيني فيما نحن فيه من نعم على نعم ، حتى لناجم احيانا من كثرة ما يتوالى علينا من افانين العيش الرغيد ، وتنوع اخوان الصفاء ، وما اقل شكر الانسان ، فلا يكاد يستمتع بنعمة حتى يسرع اليه الملل ، فيعتاده الوجوم :

امعتقل يا قوم ام جنة الخلد متى كانت الاسماء تقلب للضد ؟
فاني تقلبنا نرى ما نرى وقد عرت تخم ثرت بها راحة السعد
دروس واخوان لطاف ونعمة نقلب منها في افانين من رغد
فما شئت من شتى الاحباء بله ما تناولنه خضما من اللحم والزبد
نظل ونمسى ثم نصبح الفة الى الفة ، لا ركز يصدر عن حقد
نراشف فى الآخلاق ما بين جمعنا الذ واشهى من مراشفة الشهد
اعن خطأ كان العدو مهيئا لنا كل هذا ام عن العمد للكيد
فايا عنوا انا لنرفع صوتنا الى ربنا عن غاية الشكر والحمد

في بعضهم هل يبطن ما يعلن

وقلت في انسان هناك أحاول أن أحسن فيه الظن كما هو الواجب ويحاول أحد اخواني فيه عكس ذلك ، فقلت في الموضوع يوم الاثنين 26 شوال 1373 هـ ، وهي آخر ما قيل في المعتقل .

اباطنه حقا يخالفه العلن ... الدين ما يبدى وللكيد ما بطن
أيمكن أن يغدو الخشوع الذى نرى ... لصارم ذاك الكيد للناس كالمسن
وكيف وانى والشواهد تقتضي ... بأن الذى في قصده حسن بسن
فانى وان لم ادر عيبا لمائل ... الى انه يمشى على لاحب السنن
فلست اسيء الظن ما دمت لا أرى ... بعيني براهينا على تلكم الظنن
وربك أدرى بالقلوب وما لنا ... نعارض فيه ما نشاهده بطن

نصيحة في السر

كانت الاخوة تسود المعتقل دائما ، وكان زعماؤه الذين تقدموا لتنظيم شؤون المعتقلين هم الاستاذ محمد الفاسى ، والاستاذ ادريس المحمدي ، والاستاذ المهدي بن بركة ، والضابط السيد أحمد اليزيدي والاستاذ عبد الكريم بن جلون ، وربما ينضاف اليهم آخرون ، فكانت قبلتهم واحدة ، وكان فكرهم متحدا طوال الشهور التى قضيتها معهم منذ جئت الى كردوس ، الا أنني أحسست في ذي الحجة 1374 هـ ، بأن صفاتهم قد انصدعت،وانهم على فرقتين،ثم صرت أسمع من تهجم بعضهم على بعض ما لا أحبه ولا يحبه كل من له غيرة على ذلك المجتمع ، فكنت ابتعد ما شاء الله عن ذلك ، فاكون كانني لا أرى ولا أسمع حتى اذا طفح السيل ، وامتلأت الكاس بما فيها حتى تدفق ، وجهر ما كان سرا مكنونا ، صرت أسر الى المتشاكسين كل على حدة ، نصحا في الاغضاء والاعراض عن القيل والقال ، حرصا على أن لا يتسرب اضطرابنا الى هذا المراقب الفرنسى الذى سيشمت بنا ان الم ذلك بسمعه ، ولو أدناه ، وفي هذا الجو

قلت الرائية التالية ارتجالا ، ولا قصد لي الا ان أسجل هذه الظاهرة الجديدة في المعتقل ، من بعد ان كان أصفى نطفة عرفت في المجتمعات ، ولولا حرصي على ذكر كل ما وقع لكان ينبغي أن لا اسجل ذلك ، فاليك القصيدة على علاتها :

بني كردوس يا اخوان فكري ... ومن اقدارهم من فوق قدري
امثلي يا رجال يقول نصحا ... لكم والنصح من مثلي سيزرى
ولكني ولست اخا لئيما ... أرود لا خوتي من كل خير
أ أعمى عن قذى فيهم واني ... لمجبول على ارشاد غيري
تعالوا كي نجيل الراي فيما ... يثقل بالتدابر كل ظهر
متى كنا بني حزب وحيد ... بني حرب على كر وفر
يهارش بعضنا بعضا كأنا ... على جيف كلاب ان تهر (1)
فلا أعراضنا بقيت ولا ما ... غدا سرا تبقى تحت ستر
فمن ينصح تصم الاذن منه ... كان صماخه يصغى لهجر (2)
مقاطعة اذا ما لم تدارك ... وشيكا سوف تلحقنا بخسر
فتفتضح السرائر عند خصم ... سيخلق مثل ما يبغى ويفرى (3)

---

(1) ـ يقرأ بكسر آخره على قاعدة الفعل المتعدد الاخير اذا جزم فانه يجوز فيه الفتح والكسر .

(2) ـ الصماخ هو آلة السمع في الاذن ، والهجر بضم الهاء القبيح من الكلام والافحاش في النطق .

(3) ـ من معاني خلق التقدير قبل القطع ومن معاني فرى القطع ويقال خلق ثم فرى ، أي قدر قبل أن يقطع ، وبذلك يكون فريه سويا ، والمراد ان شماتة المراقب الفرنسي بهؤلاء المتنافرين ستجعله يتقول عليهم في تقاريره كل ما شاء .

سيلفى من منافذنا ولوجا ... الى ما دائما قد كان يجرى
فيشمت والشماتة من عدو ... أمض نكاية فى كل حر
أأنصح اخوتى أم قد كفتنى ... قوافى ما الجلجه بصدرى
فلو ادرى اجتماعكم ببيتى ... سيجدى كنت جامعكم لو ادرى
فهل يبقى سوى نصح قريب ... على حدة يوجه بالتحرى
ومن اخواه يتخصمان يجرى ... الى اصلاح ذات البين يجرى
فيبذل جهده ما استطاع حتى ... يسيرا فى الاخوة خير سير

. . . . . .

بني كردوس هذا سعى صنو ... ليدرأ عنكم من كل شر
ولا يبغي من الارشاد الا ... قضاء الواجبات ونيل أجر
فان تنجح مساعيه والا ... فقد اثلجت من مسعاي صدرى

وقلت ايضا فى ذلك

مسامحة ان الاخاء التسامح ... فحتى متى يا قوم هذا التناطح ؟
أفي كل يوم حملقات كانها ... سكاكين تمضي فى الحلوق ذوابح ؟
وأي مقالات تقال كأنها ... قسى مريشات النبال سوافح ؟
يدابر هذا ذاك عن ضغن حاقد ... تاجج بالاحقاد منه الجوانح
متى قال هذا كان ذاك معاكسا ... يقاومه فيما يرى ويكاشح
فحتى مصون العرض حامت ازاءه ... لبعض على بعض بزور مفاضح
كأنكم من قبل لستم باخوة ... لهم من مصافاة طوايا طوامح
أمن بعد أن كانت سوانح وبينكم ... أتت من نزاعات الشقاق بوارح (1)

---

(1) ـ السانح الذي يأتى من جانب اليمين ، ويقابله البارح وهو الذى يأتى من جانب اليسار ، والجمع سوانح ، وبوارح ، والعرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح ، وذلك المقصود هنا .

أمن بعد ان كانت مصالح مجمعا لأعمالكم صارت لديكم مسالح (1)
فهلا أصختم ، وهو ظنى ، فترابوا أفى مثلكم صحبي يخيب ناصح ؟ (2)

الاتصال بالاخبار

ان امرنا فى المعتقل كان كله غريبا ، فان الجرائد كانت تاتينا اما من كلميمة فى كل يومين ، ببريد خاص من الوطنيين السريين ، ثم تسرب الينا ليلا ، وربما تلقى حزمة فى وسط المعتقل واما من مكتب المراقب نفسه ، فيذهب العون الذى فيه دور الحراسة بالسيد محمد العلمى النجار الذى سومح له فى الدخول والخروج لمزاولة ما يراد صنعه فى المركز ، يذهب به العون الى محل الجرائد على منضدة الرئيس فياخذ ما شاء ، ثم ترد الى محلها قبل طلوع النهار ، وقد تكفل الاخ المهدي بن بركة بجمع الاخبار ثم عرضها على الجميع فى النادى ، وهناك كاتب المركز يخبر بكل ما يذاع ، وربما سرب المذياع الى وسط المعتقل ليلا فتوخذ به الاخبار من كل الاذاعات ، وهكذا رحمنا ربنا فلا يكاد يقع شيء حتى نعرفه ، وقد كنا نتفاوض يوما حول النعم التى أفاضها الله علينا من جميع النواحى ، فجرى ذكر كوننا نتصل بالعالم ، واننا نعيش فى حرية ، واننا منسجمون فيما بيننا أتم انسجام ، ولذلك قلت ارتجالا بعد هذه المحادثة ما يلي :

اسقناها وهاجة فى الكاس اننا فى الحبور اعلى الناس
نتملى بكل نعماء مما يتملى به متوج راس
خير عيش افاض فينا عيونا كل حين تطمو بكل انبجاس
أي نعماء لم نكن نقطف الاز هار دوما من غصنها المياس

---

(1) ـ المسالح جمع مسلحة وهي موضع السلاح .
(2) ـ راب الصدع اصلحه وبين القوم : اصلح بينهم .

عيشة لذة وجمع كان نظمت عقدا من جوهر والماس
واتصال في كل وقت بأخبار تنير الالباب كالنبراس
واحتفال الى احتفال كانا نتعالى في الجو بالاينماس
كل من كان مثلنا ثم لا يشكر ما فيه فهو ذو افلاس
لنكن راعين السنتنا شكرا لشكر مدفق بجماس

محاولة الفتك بابن عرفة

كانت محاولة الفتك بابن عرفة من قبل البطل علال بن عبد الله قد أثلجت الصدور في المعتقل ، فلا يزال ذكر ذلك محور المسامرات في المنتديات ، وقد علمنا بعد ذلك ان الشعب قد تحرك ، وان مسدسات الفدائيين صارت تصرع المستعمرين واذنابهم من الخونة ، ثم لما سمعنا بسفر ابن عرفة الى مراكش بعد محاولة الفتك بالكلاوى في مسجد الكتبية ، وعرفنا ما يراد من تلك السفرة صرنا ندعو الله ان يشفع تلك الكلاوية بمثلها في ابن عرفة ، فطلبت ممن معي أن يرجعوا الى الله في كل ذلك رجوعا تاما ، واقبلت انا بنفسي بكل اهتمام أطلب الكريم تبارك وتعالى أن ينجز في ابن عرفة ما بدأه في الكلاوى والكريم اذا بدأ أتم ، وفي يوم الجمعة يوم وقعة مسجد (بريمة) نمت بعد الغداء ، فاذا برفيقي في البيت مولاي الحسن الكبير يوقظني ويقول بكل فرح أبشر أبشر فقد استجاب الله دعاءك في ابن عرفة ، فانه ضرب اليوم وقد أذاعت الاذاعة في الرباط تفاصيل ذلك الا أنه لم يمت .

هكذا جاءت البشرى التي ملأت الفؤاد حبورا ، وجو المعتقل سرورا ، فصار بعضنا يهنيء بعضا ، فلم أملك ان قلت ارتجالا ، وانا ومن معي نتحسر على افلاته من الفتكة ، ونتمنى كرة أخرى على النذل ليكون بين المفتوك بهم .

ليتها فيه فتكة (البراض) تستقى منه مرهفات المواضى (1)
انما ينقع الغليل من الانذال طعن بصارم نضناض
ان شعب ابن يوسف غير راض بسوى نسف خصمه غير راض
ايه يا موت سر بالفتكة البكر على النذل واقض ما انت قاض

محاولة اغتيال الجنرال دوتفيل حاكم مراكش العسكرى

فى ليلة الاثنين 19 شوال 1373 هـ ، سمعنا انه اعتدى على الجنرال دوتفيل من يد مراكشية فى طريقه الى الكنيسة يوم الاحد قبله ، فجرى على لساني في حين :

وافرحتا قرطس دتفيل اليوم زال القال والقيل (2)
اذا تكلم الرصاص فلا كلام من سواه مقبول
كذا تحطم بفضل القنا بالاغتيالات الاباطيل
هل ينقضي عن غيه مثله فى الناس او يغتاله غول (3)

وداع المعتقل

كانت التباشير تطل علينا من فجر الامانى بان وقت الرجوع الى الاهل قريب وكانت العقول ترجم الغيوب بمن سيطلقون أولا ، ولم يهجس قط بي انني ساكون ذلك الاول ، ففي صبيحة الثلاثاء 27 شوال عام 1373 هـ ، امتددت فى فراشي وانا اتلو سورة النمل سرا ، اذا بالسيد احمد بن قاسم الفكيكي يناديني ان قم اجمع متاعك فقد اخبر بك رسميا الآن انك مسرح والسيارة فى الطريق الى نقلك ، فقمت متثاقلا

---

(1) – هو البراض بن قيس الكنانى احد فتاك العرب المشاهير .
(2) – قرطس الغرض واصماه واقصده : اذا اصابه فى الصميم .
(3) – الغول بضم العين : الداهية والهلكة .

كاني سقيم ، ولكن ذلك انما هو اثر صدمة استماع ما لم أتوقعه ، مع شعوري باني سافارق حياة الفت هدوءها الى حياة اخرى ، ولكن الامر صار حقيقة ، ففارقت في ذلك اليوم (اغبالو نكردوس) على رأس الرابعة ادارية مساء ، فجرت على لساني هذه القصيدة التي أودعها عواطفي كلها نحو الاخوان حياهم الله وبياهم ، وقد فارقوني وفارقتهم بقلوب لا يعلم الا الله كيف تأثرها ، وهي :

عن فجأة هب عن تسريحه ريح ... أهكذا ينجا المسجون تسريح ؟
بينا السحائب ما زالت ملبدة ... اذا ببرق خطوف فيه ترويح
قرح العيون ولا ما كان منبعثا ... من كل من قلبه هناك مقروح
رضت قلوب بني كردوس فجأته ... رضا كانهم منها مجاريح (1)
غاض الوجوم وغاض البشر فانقلبت ... الى العبوس المفاكيه المماريح
حتى المسرح قد جاشت مشاعره ... فساد في وجهه المربد تكليح
يحادث الصحب عن بشر تكلفه ... تجلدا وهو بالاشجان مفدوح (2)
يا صدمة القلب لما قيل قم عجلا ... واحزم متاعك ان الباب مفتوح
أني أغادر من كردوس مجتمعا ... من كل نوع كفلك قاده نوح
فيه الحضارة بل فيه البداوة بل ... فيه امتزاج فلا ورد ولا شيح
فيه التلامذة الحذاق يأخذ هم ... من الاساتيذ تقويم وتلقيح
فيه اللغات تواخت في مباحثها ... حتى التنكلز قد واخاه تشليح
فيه اللباقة فيه اللطف فيه ذكا ... ان طاش في معضلات الرأي تشريح
فيه السياسة في روح الديانة لا ... روح يناغيه الحاد فتمسيح
واها لها من منى لعس مراشفها ... الحاننا في مغانيها تواشيح
عشنا بها رغدا رغم الأنوف وان ... سوج أديرت بنا شتى وتسليح (3)

(1) ـ رض الشيء : دقه وجرشه .
(2) ـ فدحه الامر او الحمل او الدين : اثقله وبهظه .
(3) ـ السوج جمع السياج وهو الحائل المانع يحاط به الشيء المراد تحريزه .

امالنا كلها وفـــق الطمـــوح وهل ... زجت هناك بنا الا المطاميـــــح
قالوا ارتحل،كيف ياقوم الرحيل؟ومن ... لي ان أعيش وصدري الدهر مشروح؟
لولا صغار تضاغوا ما ارتحلت وان ... جررت بالرجـل حتى ترحـل الروح
من ذا يرجى له عيشا يضارع مـن ... أفكارهـم كلها علـم وتنقيـــــح
ما ان أودعهم ، لكن يـــودع مـــن ... صـدرى فواد أمام الباب مطـــروح
هذا هو البـاب مفتوحا فكيف تـرى ... فى قبضتى للمنـى بعـد المفاتيـح ؟
حريـــة ما ارى أم مـا تهيئـــــه ... أيضا يد دابهـا نكء وتجريـــــح
ريب يجول ، وانـى يستنام الـــى ... مـن شربهـم دائمـا بالكيـد مجدوح
ابعـد عـام ونصف لان جلدهـــم ... فشيم منهم الـى الافـراج تلميـح
اخلتهـم ندمـــوا ام زعزعوا فـــرأوا ... كيف انتساف وتحريـق وتذبيـح
بالامس جـورا نفونـا يحسبون لهم ... بـذاك تدبيـر حـزم فيـه تمريـح
جثوا الجذور كما ظنـوا فما أحـــد ... فى الشعب الا مسوق السوط مسروح
يحجـون انا هم الاوداج أجمعهـا ... قد قطعت ، كيف يحيى بعد مذبوح ؟
حتى اذا دارت الايام دورتهـــا ... فاجأهم من يد (الارهاب) تقديـح
راموا بنا الـذل فيمـا ينعلـون اذا ... هم الألى لهـم بالـذل توشيـح
عشنا بمتقى حمدناه ، فهـل حمـدوا ... عيشا تساورهم فيه التباريـح ؟
من كل جنب يلاقـون القواصـف لا ... تهدا اذا هدأت عـن قصفهـا ريح
هزائم الخسف نحو الهاويات كمـا ... تقطعـت بالحبـالات الاراجيـح
مسترسلون على غـي به عرفـوا ... اليـه تقديسهم دابـاوتسبيـح
ما ان دروا في سياسات الشعوبسوى ... قمـع وان لهـم فى ذاك تبريـح
ان طولبوا بحقوق نكلوا ، ومتـــى ... ترقـوا فكما تبكـى التماسيـح
أهـوى بهـم غيهـم حتى لتنطحهم ... حم ، فاقرنهم فى الهنـد منطوح (1)

---

(1) ـ المقصود ما وقع للجيش الفرنسى فى الهند الصينية من الانحـــار فى تلـك الايـــام .

تخطو الشعوب وهم من خلف تمسية ... في سخف ما الفوه ثم تصبيح
شعب مريض بأفكار الجمود وان ... تمتد ـ لو شاء ـ من قدامه فيح
هل يرتجى منه اشفاق؟وكيف؟ومن ... يرجوه وهو من الاشفاق ممسوح ؟
ان لم يجد مجرما جالت مخائلـه ... كيما يرى لادعاء الجرم تصحيح
فينا وفي غيرنا الآلاف من عبر ... اذا تغامض طرف فيه تفقيح (1)
ما جرمنا غير انا طالبون لنا ... حقا وحق الحياة الدهر ممنوح
ماذا اجترحنا فهل ثارت بنا فتن ... أو كان منا لضد الامن تجديح (2)
الا حقوقا طلبناها ملاينة ... من كائد نبعه في الحق منزوح
فشتتنا في مناف وهو يجهل ان ... بين الرياح من المنفى تلاقيح
قد رام كيدا اذا بالكيد فيه وهل ... في العصر شعب سواه اليوم مفضوح؟
انا سلمنا الى الاهلين وهو على ... كل الميادين تعطيب وتجريح
لا أيد ، لا مال ، لا رأي فيجمعه ... أني وقد حث منه النور تصويح (3)
اليوم يا شعبنا المغوار نحسب ان ... قد حان للباب باب النجح تفتيح
انا نئوب وانا كلنا أمل ... ونحن رغم الذي نلقى مفاريح
قفوا بنا لحظة كي يستبين لنا ... على العيان من التسنيم تسطيح
ليدرك الكل من حق مذمته ... ومن على الحق محمود وممدوح
والخبط خبط يد العشواء ليس له ... في أي فعل من الافعال تنجيح
الى الأمام اندفاعا ، كلما وضحت ... مثلى استحثوا على التبكير أو روحوا
لا عاش من ان يوات الدهر قصر في ... عزم وحزم ، وفي ذين المفاتيح

---

(1) ـ فقح : فتح عينيه .
(2) ـ جدح السويق : لته والتجديح المبالغة في ذلك .
(3) صوح النبت : جف ويبس .

يا نشء رشحت فانهض بادرن الى غاي لها كان من حوليك ترشيح
فالظن فيك جميل ان تكون لنا كما تكون على افاقها يوح (1)

تحية الاولاد الصغار

ثم لما شممت أولادى ومتعت أعيني فى وجوههم ، وانا لا ازال بعد فى الحجز بالبيضاء قبل الاطلاق التام ، قلت :

الحمد لله هذا الامل والولد فاليوم انجزت الايام ما تعد
هذا سعيد وذا عبد العزيز هما والاخريان لصدرى القلب والكبد
أقر عين أب يشتاق اربعة رءاهم بعد ما طالت به المدد
عام ونصف هما الآجال فى نظري لا تنظر العين فيها لا تجس يد
ادنيهم وبودي لو فتحت لهم صدرى ليطفا ما بالشوق يتقد
زغب صغار تراموا فى يدي كما تنقض فى الماء هيم حينما ترد
نور البشاشة فياض من أوجههم فيضا يبرد منه بعض ما أجد
يلاحظون بالحاظ الطفولة هل ذاق الطفولة الا من لهم ولد ؟
يقول هذا : ابى ، وتلك : بابا ، فهل يجتث فى اليوم غم النفي والكمد ؟
ماذا احس به فى القلب يغمره ؟ أهكذا هكذا عيش الهنا الرغد ؟
أمواج بشر من أطراف الفؤاد طمت موجا لموج فيطفو فوقها الزبد
حقيقة ما أرى أم أنه حلم ايضا كما يعترينى اذ أنا بعد (2)
كم ليلة كنت في هذا فحين مضى ليلى اذا بالذى عاينته فند
الي يا ولدى حتى نجليها حقيقة ما تملى مثلها خلد
زيدوا الحقيقة تجسيما لاكرع من عين الحقيقة عل الشوق يبترد
وضاحكوني وقولوا اليوم منيتنا تمت ، فما ضل قد الفاه من نشدوا

---

(1) ـ يوح من اسماء الشمس .
(2) ـ بعد بكسر العين : بعيد .

قـوموا فراخي على عنقي ، على ركبي على يدى ، واقفزوا اني لكـم سنـد
لا تستحوا من أب قد شفه بجـوى شوق اليكـم شديـد اللفـح متقـد
لهوا أمام ابيكم يا بنـي فكـم يطيب للشيـخ ما بين البنين دد (1)
قد استجد شبـاب العيـش والدكـم اذ أنتم اليـوم أولاد لـه جـدد
كأنكـم قد ولدتم منـه ثانيـة في اليوم ، يا سعد ،اباء كذا سعدوا
شكرانك الله قد اسبغتها نعمـا فلتستتم بفضل منـك يا صمـد
انى وافراخي الزغب الصغار عـلى شكـر لما مد منـك اللطف يا احـد
فالشمـل مجتمع والبيـن مرتفـع والنحـس منقطـع والسعـد مقتعـد
لم يبق الا تمـام الوصـل أجمعـه والله في كل ما نرجـوه يعتمـد
ادم علينا اجتمـاع الشمـل خالقنـا فما لنـا بعـد في بينونـة جلـد

كتبت هـذا في البيضـاء وأنا لم أسـرح السراح التـام ، اذ صادفـت امام ذوى السلطـة فى الوقـت الـذى دخلـت فيه البيضـاء وهو يـوم الاربعـاء 28 شـوال 1373 هـ ، حادثا جديـدا وهو الفتك بالدكتور ايـرو مديـر جريـدة (لافيجـي ماروكان) بالدار البيضـاء ، وهو من أساطيـن الاستعمـار فى المغـرب فبقيت مثقفـا فى مركـز الشاوية الشمالية فـى نفس المدينـة ، ولكننـي كالمسـرح الآن ، فقد رأيت من أصحابي كثيرين ، ورأيت أبنائـي ، ولم يبـق الا النـزول فى المثوى ورؤية أمهم ، فالمرجو من الله أن يتـم ذلـك عن قريـب .

عند العشاء ليلة 6 ذي القعدة 1373 هـ .

---

(1) ـ الـدد : اللعـب .

السـراح التـام

في عشية الجمعة الثامن من ذي القعدة ، أعلمت بأنني سأسرح نهائيا في الصباح ، فجاء الاعلام مصدقا بالتنفيذ ، فوصلت داري عند الحادية عشرة صبيحة السبت والسلام .

انتهى الجزء الاول من

معتقل الصحراء

بسم الله الرحمن الرحيـــم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

((مذكرات عـــن المعتقـــل))

الحمد لله الذى بتأييده تتم الصالحات ، وبتوفيقه تصح النيـــات ، والصلاة والسلام على سيد المهاجرين وامام الصابرين ، وعلى آله وصحبـه ومن يتلوهم فى ميادين الجهاد من التابعين وتابعيهم الى يوم التناد .

وبعـد : فقـد أتم الله المرام ، وفتح الابواب ، وسرح من السجـــن فها أنذا الآن دخلـت البيضاء ، وانزلـت في مكتب الشاوية ، ريثما تتجلى السحب الدكناء التى أحدثها قتل الصحافى : ايـرو ، فقد فتـك به فـــى الدقيقـة التى أدخـل فيها الى البيضاء ، فاستغللت هذا الفراغ لانظـــم مذكـرات عما مضى ممـا رأيـت وشاهـدت فـي المعتقل ، فعليـك يـا رب الاعتمـــاد ، وعليك التكـلان ، وعلى اعانتـك المعـول .

((مـن تنجـداد الى أغبالو نكردوس))

قضيت فى ذلك المركز الممتـاز تسعة أشهر من : 22 ربيع الثانـــى الـى 27 ذى الحجـة : 1372 هـ وقد كنت كتبت المهم مما يتعلق بمـــا حولـى هنـاك فى مجمـوع وقد ضممت ما بين دفتيه كل ما رأيته يستحـق التخليـد من ذكريات عن الحياة ، ومن مذكرات عما هناك ، ومـن قـــواف ربمـا كان أهمهـا قصيدة فى زهاء (253) بيتا فى وصـف الحضـــارة الحاضـرة بما لها ومـا عليها ، وهي التـي لم تقيد عندي مـن بنات الفكر ، وقد بقيت ورائـي في (تنجـداد) في مجمـوع كبير ، فيه مؤلفـات هناك لعلنا نتصل به (1) واما ما سواها فمنتشر فى دفات كتبى ، وقد كنـــت أقيـده كما تيسـر .

---

(1) ـ بكـل أسف ادعـى من كان عنـده أنه مسـروق منه فلم آسف الا عـلى تلك القصيدة وحدهـا .

وفى المجموع ست مخطوطات من أشباه مؤلفات ، كنت قطعت بكتابتها اذ ذاك ، شطرا من الفراغ ، أملا بذلك عزلتي ، وأونس به وحدتى ، وما آسف ان آسف الا على مجموعة فيما حضرنى عن سجلماسة ، كنت كتبتها اذ ذاك لارسلها الى بعض مؤرخينا كتذكرة من غريب ، ولكن دهم على ما حملني على ان أعدمتها في الحين ، ولعل فيها بعض ما لا أريد ان يطلع عليه فى ذلك الوقت ، ولهذا الاحتراز نفسه خلفت عنى ذلك المجموع الآخر فى يد انسان أطلب الله ان يحافظ عليه حتى أتوصل به ، وهو فى غير الجهة التى انتقلت منها .

كنت أسمع من رمضان في الوقت الذي تتلبد فيه الغيوم في الجو ، وتتخذ الاجراءات والاحتياطات لما يراد حول العرش : ان الحكومة تبنى معتقلا عاما فى (أغبالو نكردوس) ثم بعد رمضان زار الجنرال مكال قائد مكناس فما وراءها الى سجلماسة تلك الناحية ، جاء في الطيارة فنزل فى تنجداد ، ثم أقلته السيارة فى الحين الى أغبالو ، وبينهما فيما سمعت نحو : 68 كلم ، فقيل انه استحث على اتمام البناية بعد 15 يوما ، ولذلك لم يكد ذو القعدة يدخل حتى أخبرت أن وطنيين مروا في طريق بجوار تنجداد ليلا ، فأدركهم الصبح ، فنزلوا ، وهم نحو ثلاثين ، فصلوا الصبح ، يتناقل الحديث كذلك ، لان الناس هناك ـ بل فى كل البادية ـ لا يفهمون الوطنية الا غيرة دينية ، ولا يستثار فيهم شعور وطنى الا اذا آنسوا العمل الدينى من وطنى ، والا فسيسقط فى أعينهم وشيكا ، وفى الناس هناك كافة من الشعور المؤسس على هذا ما يحوم حوله العجب ، فقد علمت ما أصابهم يوم عيد الاضحى اثر واقعة العرش ، فقد بقى السكان في حزن مكظوم يتناجون به وهم وان كانوا يتسترون من السلطة ، يتناجون بينهم نجاء عاما ، فلا تسمع الا لعنة الكلاوى من كل فم ، وكل من رأى منهم وطنيا على شرطهم

في الوطنية ، يكبرونه ، وطالما مررت في طرائق تنجداد على النساء أو على العملة فى الحقول فيترامى الى كلام أعلم منه ما يكنون ، وهذا عام شامل لا فى الذين يحومون حول المراقبات فحسب ، بل حتى فى البعداء عنها ، وانما تأتى السذاجة والجهل بالعصر الحاضر ، فيتعجب الناس كيف يقدم الوطنيون على مقاومة السلطة وهم عزل وهي مسلحة ، جاهلين كيف تكون مقاومة اليوم ، وفى نفي الوطنيين الى تلك الجهة من الحكمة الربانية أعاجيب ، فقد دخلت الوطنية فى القلوب من مجرد رؤية الوطنيين ، وهم علماء مشاهير عقلاء ثابتون على ما يقولون ، وفي السر من ذلك ما فيه ، ودع ذلك للغد ، ولكل اجل كتاب ، واذا اراد الله شيئا هيأ اسبابه .

كنت استنمت في تنجداد الى الوحدة ، فنظمت عليها حياتي ، ووضعت برنامجا يتسع لما شاء الله أن انشاه هناك ، فحين سمعت ان الاخوان يتجمعون فى أغبالو نكردوس ، تخوفت ان أصادف هناك بعض من اعرفهم ممن لا يوافق ولا يفارق ، فيكون لى كالغل القمل ، فكيف أعاشر ملحدا ، أم كيف أتحمل وقوحا مهاجما ، ومن بين صفوف حزبنا بكل أسف البعض من هؤلاء ، وان كانوا لا يزالون قليلين ، زاولوا من بعض ما عند الغربيين ، فبقيت فيهم رواسب من أفكارهم الفجة ، وأصاب عيونهم حول ، فيرون اثنين ، ما يراه كل ذوى العيون واحدا ، ثم لا يخطر لهم ببال أن يتهموا أنفسهم ، ولا ان يتوقفوا حتى يدركوا الحقائق، بل سرعان ما يرمون غيرهم بأنهم هم الذين فى أفكارهم رواسب من عقائد عملية نغلة من آثار القرون الوسطى ، وان أصحاب دين الاسلام الصحيح ، هم أصحاب العيون الحول وهكذا يتعاسرون وهم يحسبون أنهم يتيامنون ، ومن يضلل الله فما له من هاد . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

ذلك ما كان يقف أمامي ، ويكاد يكون غصة في حلقي ، الى أن اهتديت بفضل الله الى الحل ، فاقول : الله يختار للمختار (وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد) بل جعلت تلاوة هذه الآية من أورادي بعد الصلوات ، حتى اختار الله ما فيه كل خير .

عند الحادية عشرة 27 من ذي الحجة ، دخل علي رجل كان مكلفا من المراقبة لتموينى ، فأعلمنى بأننى سأنتقل العشية الى أغبالو ، فقمت في الحين أهيىء متاعي ، ثم أعلمت رسميا بذلك ، فيسرت من أموري ، وابعدت عنى ما أخاف عليه لو فتشت ، وقد كنت اتخذت لى سرا دواة وأقلاما ، فالقيت بالكل في بيير امام مسكنى ، وأودعت ما أودعت في أمان ، وما استودعت الا الله تعالى الذى ودائعه في أمان ، وعند العصر جاءت سيارة فرنسي ، هو القيوم على من كانوا في أغبالو ، ويسمى الشاوي ، لانه نشأ في الشاوية بزطاط ، وانطلق لسانه ، واستغرب الى غاية ما لوقها غاية ، وقد كان في مركز النيف ، فعين لدماثة أخلاقه ناظرا على من في أغبالو ، فودعت تنجداد ، ذلك البلد الطيب الذى لا أنسى جوه في الشتاء ، ويا طالما خلج في ذهنى ان أدركت الحرية ان اتخذ هناك مشتى ، فهناك المياه الجارية ، والنخيل الباسق ، والحقول والغابات الممتدة ، فلا ترى الا أشجارا متنوعة ، مع أسواق تتوالى ، وهناك مركز تجارى ، يبعد عن تنجداد قليلا ، فيه كل ما يتوقف عليه ، وسكان هذه النواحي نظيفون ، لا يلبسون الا البياض ، ولا يقبلون الاتساخ مع امتزاج ببعض حضارة العصر ، وعدم الكزازة في الانفاق ، بله الديانة وسمو الاخلاق ، والحياء الذى اسارته التربية الاسلامية فيما اسارت من الرواسب – تمشيا مع تعبير من يسمى آثار الاسلام الرواسب – أفلا يليق مكان هذه بعض صفاته أن يقضى فيه المختار مع أولاده مشتاهم تحت ذلك الصحو الصقيل ، وبين تلك الحدائق الغلب ، والمذياع ينقل اليك من أطراف العالم ما تشتهى ، فلئن تم كل هذا فهذه هي الحياة ، وعلى غيرها العفاء ، خصوصا مع الانفراد عن جماعات لم أخلق لها ولم

تخلـــق لـــى .

ايـــه ، ركبنا السيارة مع العصر ، فصرت اتلو القرآن ، لانفـــرادى وحـدى حيث لا محادث ، فقطعنا ما بيننا وبين الجبل ، ثم التهمنا الجبل ، حيث سرنا نحو ساعـة فى دورات لولبية ، وبين اودية وجبال ، حتـــى دفعنا الى اغبالـو فى حجر جبل حمـدون الشامـخ ، فدخلت ساحـــــة المعتقـل عند الاصيل ، فبغتت الاخوان جالسين مجتمعين حوالي حائـــط صغيـر امتدت تحته الـواح ، فكانت هذه الصورة المنطبعة فى ذهنـــى من اول وهلة راسخة فيه الى الآن فلم تكد السيـارة تقف حتى رآنى منهـم من عرفنى ، فتنادوا : فلان ، فلان ، فلان ، فتسابقوا ، ولكنى انا تكلفـت الوقـار ، ولا يزال يهمنى متاعـى ، وأظن انه سيفتش ، فاذا بكل ذلك لـم يقـع فهذا الشـاوى لا يبالى بأي شيء من هذه الرسميات ، فانـه كأحـد النـاس ، لا كأحـد الاجانب من النسناس ، فبادرنى الاخ الاستاذ سيـدى عبد العزيز بن ادريس ، والاستاذ الفاسى ، والاستاذ الحاج احمد بنانـى ، والاستاذ البقالى بالسـلام ، وهم من كانت لى بهم معرفـة قبل ، ثـــم الاخـوان الحاضـرون الذين تشرفت بهم تلك الساعـة ثم مازجتهـم بعـد تلـك الساعـة ، ثم بادر الاخ الفاسى ، فآوانـى اليه هو والحاج أحمـد بنانـى ، والاخ البقالى فى بيت خاص لرفقتهم ، فهكذا القيت فى هـــذا المنـزل الجديد عصاي ، فاذا بالله اختار لى احسن الاختيار ، افلا يعلـن شكـر ربـه المختـار .

موقـع اغبالـو نكردوس :

جبل حمـدون شامـخ القمـة ، يقع هذا الموقع من الجنوب الـــى الشمـال وان كان متمايلا قليلا عن هذا السمت ، وقد امتد شرقا الى جبـل آخـر صنـوه في الشموخ ، يسمـى جبل بـادو ، وهكذا ينحصر فـــى أنظـار مـن في الموقـع ما يمتد من جهة الجنوب الى الشمال الشرقـــى فى سلسلـة ثنايا هذا الجبل الاشـم ، مع صنوه جبـل بـــادو ، ثـــم

لا يستبان الأفق الا عاليا جدا في العيون ، واما ما يقابلنا من الشرق الى الجنوب ، فانه منكشف أمامنا لعلو مركز المعتقل ، ولبعده عن الجبال وعن الهضاب التي تسامته ، فنعاين الشروق توا على عكس الغروب ، وهكذا يستعيض من في المعتقل ما كان يفوته عن يساره من يمينه ، وعن غربيه من شرقيه ، زيادة على انفساح الوادى انفساحا مبهجا من الجنوب الى الشمال ، بل من الغرب الى الشرق ، فزيادة على التطلع الى رؤوس الهضاب المتدرجة عن يميننا في كل ما يجول فيه البصر،الى ان تقف على جبال عالية بعيدة،نرى تحت سفح جبلنا ـ جبل حمدون ـ حقولا تتطرد فيها المياه ، وحقولا مخضرة بما فيها تتخللها قرى وديار أقربها الينا دار القائد عثمان قائد تلك الناحية ، وهذه الابنية حمراء طبيعيا ، لا بصبغة ، لان تربتهم كذلك ، وان كانت حمرتها غير متفتحة اللون ، ولهذه القرى ولتلك الحقول ، ولواد يجرى وراءها دائم الجريان في كل الفصول ، ولرؤوس تلك الهضاب التي تتخللها الثنايا والقمم المتدرجة الى ان تنتهي وراءها الى سلسلة جبال عالية في بعد عن مجالات الابصار منا ، لكل ذلك الممتد من الشرق الى الغرب متياسرا منظر بديع حينما نطل من محلنا المبنى في سند الجبل ، ويا ما أحلى اصلا وبكرا نقضيها ونحن نستمتع بتلك المناظر الخلابة ، ولو كانت هذه الجبال والهضاب والشعاب مكتسية بالاشجار لازداد المنظر خلابة ، ولكنها كلها جرداء لمسامتتها لوجه الصحراء ، ولذلك قلما رأينا الثلج يسقط الا على قمم منها ، ثم لا يلبث ان يذوب ، وما أنس لا أنس صبيحة يوم كنت بعد صلاة الصبح وعند الاسفار اشاهد نصاعة بياض الثلج على كواهل جبل حمدون في الوقت الذي تكتسي فيه السماء حلة براقة من الصحو الصافي ، والشمس تكاد يذر قرنها ، ثم لما القت انوارها الاولى على تلك الالوان كدت أطير بخيال الشعراء ، فاتمنى اذ ذاك لو خلقت حقيقة شاعرا ، ولكنني لم أعد ابياتا خاطبت بها بعض الاخوة في لفت نظره الى هذه الحلل التي تضفيها القدرة على هذه الجمادات ، ليبتهج بها الانسان من بين الموجودات ،

ولكن الانسان ما اكفره .

ولجبل حمدون هـذا تاريخ حـي ، فان المرابطيـن فيه للدفاع في صدر الاستعمار آخر من غلبوا من آساد الاطلس الجبار سنة 1934 م وهناك المعركة الاخيرة ، ولا تزال عظام الشهداء توجد في بعض شعاب الجبل ، كما ان بقايا القنابر ـ ولا تقل القنابل ـ رأيناها هناك بكثرة ، زيادة عن الرصاص وحشو البنادق ، ولذكرى هذه المعارك ، ومن سقطوا فيها من الفرنسيين ، رأينـا انصابا معدودة لبعض مشاهيرهم ، وعلى باب المعتقل الغربي نصب منها ، كما ان لوحة اخرى على الباب الشرقي عليها تاريخ نصبها تاما ، فلهذه الذكريات ـ كما يظن ـ اختير المكان كمعتقل للوطنيين الذين كانهم في أعمالهم يحيون أعمال أولئك الشهداء زيادة عن كون الموقع يليق للاعتقال الذي يراد به الاقبار ، فانه مبتعد عن المناهج المطروقة وعن الذين يختلفون الى الحواضر ، وقـد بلغني ان الحكومة جمعت أهل تلك الناحية قبل ان تأتي بالرفقة الاولى الـى المعتقل ، فأنذرتهم بالعقاب الصارم ان اتصلوا بالوطنيين أي اتصال ، ثم بلغنا ونحن هنـاك مثل ذلك بزيادة نعت الوطنييـن بالكفرة الفجرة الملاحدة السفاكيـن ، ولكن هل كـل ذلك مجد في أولئـك الناس ، فالتاريخ سيعلم كل شـيء .

ذلك هو موقع المعتقل ، وهو قلعة مسورة في مستوى توجد في غربيـه قرية تعلو على المعتقل وهي متصلة به اتصالا ، وفي الجنوب الوادي الـذي فيه القرى والحقول التي نطل عليها ، وفي الشرق من المعتقل المسور ديـار منتثرة ، يسكنها المراقب ومـن اليه ، في مغروس جميل بانواع الاشجار المثمرة ، من خوخ ومشمش ورمان وتفاح ، وبرقوق ولوز وحب الملوك ، وغيرها وفي شرقي هذه الديار منحدر يتصل بالوادي الذي نطل عليه في الجنوب ، وفي الشمال بين المعتقل وبين جبل حمدون مضيق غير متسع الا بضعة امتـار فيه بستان مستطيل ، بسقت اشجاره ، يتخلله جدول متدفق من عين خاصـة نبعت من الجبل ، وفي البستان مستنبت انواع الخضر والبقول ، وهو متنزه

المعتقلين ومجر رماحهم ، ومجرى سوابقهم ، وهناك أولا مغتسل ثيابهم قبل أن يستحدث صهريج اتخذ امام الباب الشرقي للمعتقل ، يستولد فيه المراقب الاسماك ، ليترفه بها ، وخوف أن يضر الصابون بالسمك ، منع غسل الثياب من الجدول المار بالبستان ، لانه هو الذي يمر ماؤه بالصهريج ، فاذن بغسل الثياب وراء الصهريج في منحدر ينحدر فيه هذا الماء الى حقول الناس بالوادي، وقد أحدث لنا هذا المحل الجديد بهجة أخرى لانه منظر آخر جديد عندنا ، فنذهب يوم الاثنين والخميس ، ولا غرض لنا الا الاستمتاع بذلك الموقع الذي تنفسح فيه العين والوقت اذ ذاك فصل الربيع ، والشمس لا تزال من النعم ، وكم حررت هناك تحت صخرة قواعد أصولية ، من ارشاد الفحول ، في مؤلف لخصت فيه هناك الاصول .

ذلك هو مستدار المعتقل ، ومن غربيه حيث منبع العين منظر آخر طالما استمتعنا به ، وفيه مسبح جميل عصري عميق ، فيه درج الى اسفله ، ويحيط بموضعه سور خاص له مدخل ، وفي السور بويت لمن اراد أن يستبدل ملبوسه من السابحين بل على هذا البويت مقفز لن اراد ان يقفز منه الى وسط الصهريج ، فكان للمسبح بذلك كله وبنظافته ، وبتجصيصه ارضا وجوانب ـ حتى أنه ليغسل وينظف ـ منظر حضري تام فحببه ذلك لاهل المعتقل ، فيسبح فيه السابحون كثيرا اثر التحاقنا بالمعتقل في الصيف الماضي ، وقد امتد ما بين المسبح الى منبع العين بسيط لا بأس باتساعه ، يقطعه جعفر متحفق ، فنتناثر حواليه ثبات ووحدانا ، او نتسلق قليلا الى حيث المنبع من بين أحجار على غار متفتح كسرة من بطن جبل حمدون ، فحوالي هذا المنبع الثرار كنا نحلق أحيانا أو نتناول الاتاي ، وبين ملتف أشجار الدفلى تحت المنبع يستحم أمثال سيدي عبد العزيز بن ادريس غالبا كل يوم في ذلك الصيف ، كما ان غسل الثياب قد يكون هناك او في مجرى الماء من تحت المسبح غربيا ، فوق مغاسل من الاحجار ، حيث كان أهل القرية المجاورة يالفون غسل ثيابهم .

تلك جغرافية المعتقل في خارجه ، واما في داخله فله بابان : غربي وشرقي ، وفي الغربي المدخل العام من القادمين ، ان لم يتمشوا مع السور خارجا ففي هذا الباب دخل بي ، فكان عن يميني سلسلة من بيوت ، من بينها محل التلفون (المسرة) ثم مستوصف الطب ، وعن الشمال صهريج صغير ، ثم مستودع طالما اتخذته لي وحدي ، فلا يزاحمني أحد فيه ، فكم درس القيته فيه ، وكم خط فيه قلمي من مهيئات الدروس ، ثم بيت طويل مسدود على خنازير ، وأما في الشمال فمكشوف يمتد منه البصر امتدادا الى منتهى آفاق الجبال البعيدة ، والساحة الممتدة من الغرب هكذا : مستطيلة استطالة محمودة عندما نذهب فيه ونجيء متريضين ، واما في شرقي الساحة فهناك مواقع سكنانا أولا في مخابئ كانت متخذة كاهراء للحبوب التي تهيأ لسلف الايالة فكان بعضها متسعا ، وقد أعطينا من هذه الاهراء المغطاة بالزنك أربعة ، تزاحمنا فيها ، فراشا لفراش ، وقد نلاقي العنت يوم تطل صبارة الشتاء ، وتزعزع علينا الاعاصير ما غطيت به الاهراء من الزنك فنسمع له صريرا قلما تغمض معه عين ، وقد اتخذنا مصلانا من تلك الساحة في الزاوية من الجنوب الشرقي ، فيكنس وينظف ، حتى اننا لنصبر للصلاة فيه يوم أقبل زمهرير البرد ، ولا نلتجيء الى الصلاة في الداخل الا في أوقات الامطار ولله در الاخوان الصبر ، فانهم يصابرون في التغليس مصابرة المؤمنين المخبتين ، ولله درك أيتها المصائب فكم قومت من مذآد ، وثقفت من معوج ، وهديت من ضال ، وهذه الساحة قد غرست اليوم فيها بعض اشجار ، زادتها بهجة ، وذلك بعد ان فارقناها وعشنا فيها وفي جوها وفي متسعها ما عشنا ، والذي زادها الينا حبا كونها بابا لنا الى أن نطل على متفسح الوادي ، في كل حين لان المستراح العام يوجد في جنوب الساحة ، حيث نطل الى دار القائد عثمان ، حتى انني حين كنت ألقي دروسا في البيان ، وولصت الفرق بين الحقيقة والمجاز والكناية ، كان مما فسرت به الكناية : الاطلال على دار القائد عثمان ، فان المقصود بذلك معروف ، وطالما راقبنا طلوع الشمس في تلك الناحية ، ومجمل الكلام : ان هذا المكان الاول من المعتقل ، فيه لنا

انفساح كبير ، فلم نكن نبالي بالضيق الذي يعانى في البيوت ، لاننا نجد في كل النهار مذاهب ومتسربات ، زيادة على ان الاختلاف الى المسبح اذ ذاك كان لنا مباحا في أي وقت ، بل صار بعض الجريئين يتخطون ما حوالي المسبح ، فيتسلقون جبل حمدون ، أو يمشون مع الطريق المرصوفة قدما الى أن يتواروا عن مكان المسبح ، بل منهم من يتسرب الى القرى ، فلهذا كله ، حين لا سياج يمنعنا نحس بما نحس به من البهجات ، ولكن غالبنا لم يقدر قدر ذلك كله الا بعد ، اللهم ارنا النعم بدوامها لا بزوالها .

ذلك وصف مساكننا القديمة التي تلى الباب الغربي من المعتقل ، وأما مساكننا الجديدة التي كنا اليها في أشواق ، فهي البناية التي تهيأ باسمنا عند الباب الشرقي منه ، وبين المحلين مقاطن الاعوان وحظائر خيولهم،فقد طال أمد البناء مع ان البنائين في وقت وصلوا (22) لكن يظهر ان الاختلاس هو الذي قصر بالنفقة حتى أنه لما تم البناء وهيء بقي الحمام الاهلي بلا استتمام ، وكم مواعد سمعناها مقطوعا بها في الانتقال ، الا أن لمذهب عرقوب أتباعا غير قليلين فيمن كانوا يعدوننا الا أنهم بعد خمسة أشهر تمكنوا في فتح الباب لنا ، وذلك في ثاني ربيع الثاني ، فبكر الاخوان الى مساكنهم الجديدة التي كانوا وزعوها على قاعدة الاختيار بين الجماعات فينجذب كل الى من له اليه اطمئنان ، فاستحال كل من هناك عملة لانفسهم في مباشرة نقل الامتعة، فأما المخفون فقد فازوا ، وأما المثقلون فظلوا في النقل غالب النهار ، على أننا وجدنا بيوتا مبتلة من وكف السقوف ، مع ان السقوف في زعمهم متينة ، ويا طالما كان سبب تأخير انتقالنا تأثر البناية بالأمطار الملثة حتى ان من السقوف ما خر ، ومنها ما تداعى ، فاثر كل دفعة من دفعات الامطار يحاولون الاصلاح ، حتى ظنوا انهم بالغوا ما تمنوه ، فانتقلنا ، فاذا بالانتكاس في السقوف ، فما شئت من سيول من سماوات البيوت ، حتى أنهم تتبعوا ثانيا السطوح سطحا سطحا باصلاح جديد ، الا أن الذي أنقذ القوم انقلاب الشتاء فوادعهم الفعل الذي يليه ، ولولا ذلك ما فارقوا عملهم ما فوق السطوح .

مـا هـي البنايـة الجديـدة .

انها بناية مستطيلة من بابها الشمالي الذي قوس اخيرا تقويس ابواب المساجد ، ولا مصاريع عليه ، بعدما تكسر ما كان مجعولا عليه من مصاريع عود ، يدخل الداخل فيصادف ممرا بين مسكنين ، عن اليمين من البيـــوت ستة ، اولها هذا الذي تبتدئ به عن يمينك ، واما ما يقابلك مـــن الجنوب ، فتفتحت فيه اربعـــة ابواب : الاول لقاعـــة متسعة غاية ، فيهـــا نوافذ كبرى ثلاثة ، تطل على فناء دار القائد عثمان ومـــا اليها من حقول ورؤوس عضاب ، وهو المنظر الذي بقي لنا الاستمتاع به بعد ان دخلنا مسكننا الجديد ، وفي وسط القاعة منضدتان كبريان للعب (بينج بونج) ولها كذلك نافذتان حوالي المدخل ، تطلان الى داخل المعتقل الذي نحن فيه ، والباب الثاني لغسل الاواني والثياب ، تستدير بجوانبه انانيب الماء عالية ، بحيث يستمتع بها الواقف ، وتحت الانانيب مجرى يسيل الى الخارج ، والمكان غير متسع ، ولكن فيـــه الكفاية ، وفيه نافذة الى ساحة المعتقل وهذا الماء استورد في مصران رصاص من منبع العين المذكورة الى صهريج صغير في المعتقل القديم ، ثم من هناك الى هنا في الانانيب . والباب الثالث للمطبخ وهو بيت داخل آخر ، وفـــي الخارج منها نافذة الى الساحة ، منها توزع المؤن وفي الداخل آلات الطبـــخ العصريـــة توقد بالغاز وهنـــاك نافذتان الى خـــارج السور عاليتان ، وهنـــاك انبوب الماء ومنتضد ، وكل ما يحتاج اليه في المطبخ العصري ، والباب الرابع هو باب الحمام الأعلى الذي لم يتم ، فلم يزل بابه مغلقا .

واما في الشرق مما يلي الجنوب فمن هناك الى آخره في الشمال سبعـــة ابواب : الاول بـــاب الحمام بالمضخات (الدوش) فـــي داخله ثلاثة امكنة في مقابل ثلاثـــة اخرى ، ولكـــل باب خـــاص ومضخة عاليـــة ، والباب الثاني المستراح ، وفي داخله ايضا ثلاثة مقابلة لمثلها بابوابها ومزاليجها والمقاعد اهلية ، وفوقها منسرب المياه الدافقة بالكرة التي تجذب ، والكل نحافظ فيه

على النظافة التامة والباب الثالث هو المتوضأ الذي الصقت بجدرانه الثلاثة مغاسل بيضاء ، على كل واحدة انبوبها ومرآتها فوقها ملصقة ايضا بالحائط ، وهي مكان متسع اتساعا كافيا لما يراد منه ، وقد اتخذ ايضا محلقا عاما للرؤوس وممشطا للوفرات ، فضلا عن الاقفان التي هي مجراها ومرساها في كل صباح ، والباب الرابع مخزن عام لأثاث المعتقل من الاسرة والافرشة الفاضلة ، ويغلق دائما ، ومن أراد ان يخزن فيه فله ذلك ، وأما الابواب الثلاثة، فلمساكننا ايضا .

وأما في الشمال ، فقد انفتح منه ثلاثة ابواب ، اولها مهيأ للزيارات العائلية ، ولكن لم يتفق ذلك حين كانت الأسر لا تزال مسموحا لها ، لتأخر تمام بنائه ، ثم ترك لنا أخيرا منذ رمضان للصلاة جماعة ، وفي داخله بيوت يفتح بعضها في بعض ، ومن وراء باب الى خارج معتقلنا ، كما ان هناك نافذة كبرى كذلك الى الخارج ، والبابان الثاني والثالث ، فلمساكننا ، ولكل من مساكننا نوافذ الى الساحة كبيرة ، والصحة بكل ذلك في غاية الجودة الا من كان مريضا مرضا ملازما او من يتمارض تأثرا بالعصرية التي تعد من الرقي أن تتوهم دائما حتى ما لا يكون من المرض .

أما هذه الساحة التي هي كل ما بقي لنا اثر دخولنا للمعتقل الجديد فقد غرست فيها من الشمال الى الجنوب أشجار تين ، فمنها ما تمكنت فيه الحياة ومنها اليابس الذي ينتظر من يقتلعه ، ومن امام المطبخ الى الشمال نبتت في الارض أعواد وضعت فوقها اسلاك متينة لمد المغسولات ، او لتشميش المفارش والاغطية وما اليها ، ففي هذه الساحة شمالا فجنوبا نتريض بالمشي ، وقد كنا منعنا ونحن كما فارقنا المعتقل القديم من الخروج الى المسبح ، ولما كنا في الجديد لم يبق لنا الا ساحتنا هذه او البستان ، وذلك المنع من المسبح سببه أولئك الذين يسرحون كثيرا ، فقد كان (الشاوي) يغض الطرف ، ويأمر بعدم الانسياح كثيرا ولكن لتساهله لا يبالى به كثيرا ، ثم لما قاربنا الانتقال الى الجديد ، استبدل الشاوي بجرماني من نفاية قومه ،

ففي عهده جاءت قوانين اخرى من بينها المنع من المسبح، بل في ذلك الوقت، علمنا بانقطاع المراسلات واللقاء بيننا وبين أهالينا وكذلك الجرائد ، وكذلك استقبلنا المعتقل الجديد ، ولكن المؤانسة بعضنا لبعض كفيلة بان لا تدع اي انقباض في الصدور ، وقد جاء أيضا مراقب جديد على هذا المركز بعدما كان مندغما تحت مركز تنجداد ، لأن مركز اغبالو كان صغيرا ما كان فيه الا حرس قليل من الاعوان ، ويختلف اليه المراقب من تنجداد بعد اسبوعين او نحوها لفصل القضايا ، ولكنهم الآن أرادوا ونحن فيه ان يزيدوه شيئا ، فخصصوا له مراقبا ، وان كان لا يزال تحت مراقبة تنجداد .

حشدنا يتكاثر

كنت أنا لما جئت رقم (33) فبه كان يعرف شخصي في نظارة المعتقل ، ولم يسبقني بعد الثلاثين الاولين الا الاخوان عمور وفضول الصائغ المكناسيان ، فقد جاءا قبلي بقليل ، ثم جاء بعدي الاخ الشرايبي الفاسي ، وقد كنا نسمع أن آخرين سيضافون الينا في البناية الجديدة ، ولذلك لم نكد ندخل اليها حتى قيل لنا أن نحو عشرة سيأتون ، فنظمنا لهم استقبالا يليق بمكانتهم ، فهيئت قصائد وخطب ، وفي عشية اثر دخولنا للبناية ، جاءنا الاخوان عند المغرب ، فلا تسل كيف تلقيناهم : الاستاذ العلامة الحمداوي ، والمفكر الكبير ابو المزايا الكتاني ، والمحامي الجليل عبد الكريم بن جلون ، ونابغة الشباب ابن بركة ، والجندي المقدام احمد اليزيدي الذي اتى به من أكلميم بسوس عوض الاخ احمد مكوار ، وفي القافلة قرة العين عبد اللطيف ، وولدي عمر ابو الطيب ، واللوذعي الكبير السيد عمر المكناسي ، وابن الاماجد الكرام مصطفى بن حوسا الزياني ، الذي لم يلبث أن ذهب به الى أكلميم عوض الاخ المفضال مصطفى المشرفي الوجدي الذي ورد علينا في رجب . أدخلت علينا هذه القافلة المباركة فرحا عظيما ، وخصوصا هذا العبد حين عانق شقيق روحه الحمداوي ، والعلامة الكتاني سيد أقرانه ، فهكذا نيفنا

على الاربعين ، فكنا جماعة لا نغلب من قلة في ميادين مقاومة الجهل وفي التفكير والمؤانسة ، والمسلم كثير بأخيه ، ثم بعد ذلك زيد علينا الاخوان الجديديان السيد ادريس المسفر الاديب الحلو الاخلاق ، وسيد الشباب ، كرما ودماثة أخلاق : السيد قاسم العراقي ، فوجئنا بهما عشية ، ولكن رزئنا في الحين بنقل الاستاذ مولاي أحمد من مررت أسد الاطلس ، وقد كان في ضمن تلك القافلة مع الحمداوي واخوانه ، وقد قيل لنا انه مذهوب به في قضية حكم عليه فيها بعامين فتأسفنا عليه تأسفا عميقا ، وكذلك غادرنا السيد أبو عنان من نواحي وجدة فقد قيل لنا انه سرح الى أهله ، وكان له أهل جدد في الطاووس ، فلا ندري ألى الطاووس سرح أم الى أهله ، ثم في مفتتح رمضان جيء الينا بمولاي هاشم ومولاي أحمد التبر ، وقد كانا مريضين في قصر السوق قبل ، والا فقد كانا مع الاطلسيين قبل ان يوتى بهما الى كردوس، فهؤلاء هم الاخوان الذين رأتهم سماء كردوس وتنفسوا تحت نجومها (1) .

الجماعات المتساكنة

كنا في المعتقل القديم حيث الضيق ضارب أطنابه ، لاخيار لاي انسان ، فتصابر الاخوان ، وان كان يقع بين بعضهم ـ على قلة ذلك ـ ما لا يحدو اليه الا عدم موافقة الاخلاق فقط ، ولكن الانجذاب كيفما كان الحال له تاثيره في الامتزاج ، فالذين جاءوا من مركز بودنيب ، وهم نحو ستة عشر ، داموا على تآلفهم كما كانوا هناك قبل الانتقال ، وهم أهل الاطلس كافة مع أهل مكناس، ولذلك كان في حظهم المكان الكبير في ذلك المعتقل القديم ، واما البيت الذي يليه ، ففيه الاستاذ عبد العزيز ، والحلوان سيدي عبد الهادي وابن اخيه ، وسيدي علي بركاش ، وأبو عنان ، وسيدي المكي المكناسي ، وأما البيت

---

(1) حدث اخرون بعدي فلم أتعرض لهم .

الحديث ومن الاذواق ، وقد أعجبني منه ـ ولذلك ذكرت ابن القيم ـ انه مكب على مدارج السالكين بعد ما استوفي قبل كتاب الاحياء .

وأما الاذان فقد كان الاخ الشرائبي مؤذن المعتقل بالآذان العادي وربما تابعه الاديب فضول الصائغ بالآذان المشرقي ، وقد كنا اتخذنا أيام الجمع من بين المقررات يوما نجتمع فيه صفوفا من الحادية عشرة الى أن تحل صلاة الظهـر ، تشبهـا باصحاب الجمع ، فيؤذن المؤذن ثلاثا ، وربما تعالى بعضهم الى ان تصلى الجمعة ، وكأنـه يريـد بذلك مظهـرا لا غير ، فعارضـت انا كمالكي يعيش في أمة قانونها المذهب المالكي ، ولم تستـوف فينا شروطهم كما أن بعضهم زعم ان الصلاة تقصر لأننا في سفر ، فالقم حجرا ، ففي امثال هذه المواقف لا اسكت أنا ، مع ملازمة الابتعاد عن غيرها من مواقف .

وفي صلاة العيد اجتمعنا نكبر ونحمد على العادة ، ثم صلينا الصلاة بخطبة دينية مؤثرة في القلوب ، تسامح الحاضرون وراءها بقلوب صافية ، وهي خطبة حية كخطب السلف استمدت مواعظها من المثلاث الحاضرة ، فلذلك كان لها تأثير عظيـم .

4 ـ سلك القرآن واللطيف والدعوات المتلوة

وجدت المعتقل من أول يوم دخلته يالف أن يوزع ختمات من القرآن في كل يوم جمعة ، وكان الموزع المكلف بذلك هو الاخ أحمد بن علال ، بل ولدي، بل تلميذي الخاص ، فذلك ديدنه الى أن افترقنا : خمسة لكل واحد من حفظة القرآن ، من أراد منهم ، وكذلك اللطيف ، أما الكبير فيجتمعون عليه وأما الاوسط ، فيقوم كل واحد به جميعا على حدة ، فتختم السلكة واللطيف اما بعـد العصر ، واما بعد قـراءة الحـزب ، وهناك تتلـى قصيدة الشيـخ ابن ناصر في التوسل ، وهي الرجزية المعلومة : (يا من الى رحمتـه المفـر ، ثـم قصيدة أخـرى مثلهـا يستظهرهما الاطلسيون ، فيدعـى بهمـا اذ ذاك وفيهمـا دعوات تتفتـح لها قلوب المومنين .

واما تلاوة القرآن كترقيق للقلوب فى المجتمعات ، فذلك الى مولاي الحسن الادزى بالغنة المغربية بصوت حسن رقيق ، أو الى فضول الصائغ بالغنة المشرقية ، فكانما نسمع من مصري مجود ، واما اعلان الدعوات بالجهر فى المجالس عند الاختتام ، فكثيرا ما يقوم بها الكاتب دعوات مرتجلة تنفجر من الاعماق ، كانت لنا اذ ذاك من المبردات ، وكثيرا ما يتوقف امامنا عن دعواته السرية او المأثورة ، فينتدبني ان احتاج المقام الى شآبيب حية يطرق بها باب الله الذى يقول : ادعوني استجب لكم ، وكم لهذه الدعوات من اثار يحس بها الانسان فى الحين ، اطمئنانا وسكينة وما يذوقها الا المومنون .

5 ـ المؤن وتوزيعها

أعلن لنا من كثيرين ان الذى عين لكل واحد منا كل يوم (400) فرنك ، وقد كنت انا يصرف علي في تنجداد (200) فرنك فقط ، ولاريب أن من مجموع ما لكل واحد تاتينا المؤن فى المعتقلات ، وما هي المؤن ، اما ما نتوصل به : فسكر وصلت حصته الاخيرة (80) غراما لليوم بعدما كانت قبل (100) غرام ثم نزلت ، ثم طلعت الى ان استقرت على ما تقدم ، ومعها الكافي من الاتاي والقهوة ، ونصف كيلو من الصابون شهريا ، وغاز الاستصباح أو للمدافىء والمطابخ ، لان طبخنا واغلاء المقاريج انما هما بالغاز ، وكذلك المدافىء العصرية التى جعلت فى بيوتنا فى المعتقل الجديد ، ثم لم تزل الا بعد ذهاب فصل الشتاء ، فقد ادفاتنا كثيرا ، حتى اننا لا نحس بصبارة الصر في داخل مساكننا ، ونحن فى حجر ذلك الجبل ، ثم مربى ، قدر خاص لكل واحد ، فيه الكفاية وما فوق الكفاية ، وقد كنا نعطى الحليب كثيرا من النوع المصبر ، ثم من النوع السائل المحفوظ فى العلب ، ثم تناقص اخيرا ، بل كان الشاوي يأتينا بالحليب الجديد من بقرات هياها ، فيطبخ الحليب بالقهوة جماعيا ، فبه كنا نفطر يوم لا نزال فى المعتقل القديم

واما الخبز فقد عين لنا رسميا (600) غراما لكل نفس ، ولكن ذلك لا نعطاه كله ، على أن ما نعطاه فيه الكفاية ، وتحديد هذه المقادير لا أستحضره مضبوطا ، لانني مبتعد عنه ، وقد كفيت مونة المحاسبة . فيه ، والمرق فى الغداء : لحم بخضر ، مع مقدمة لها ، كالعدس او الشعيرية أو ما الى ذلك ، يوتى بالمرق على حدة ، وبالاخر على حدة ، وذلك فالغداء ، وفى العشى الكسكسو باللحم والخضر ، وقد كانت المونة أيام الشاوي متدفقة طيبة يقف الاخ سيدى محمد بن أحمد المكناسي على الطباخ فياتينا طعام حضرى مرقا تتغير فيه الخضر كل يوم ، وكثيرا ما يطعمنا الشاوى يوما فى الاسبوع الدجاج ، وكان يقول : أما فيما يرجع الى بطونكم ، فلا تعذرونى فيه ، فصدق قوله بفعله ، زيادة على ما يأتينا به من الفواكه التي توجد اذ ذاك قبل ان ينصرم وقتها وقد كانوا هم الذين يأتون بالطباخ فمر بنا طباخون مختلفون اجادة في الطهي ، وعنفوان المعيشة المستطابة مرت في المعتقل القديم حيث يفيض الشاوي ما يفيض ، وحين كانت العائلات لا تزال تتصل بنا من الحواضر ، فكانت سلات المشوى من الدجاج او ببيبي ، والحلويات والفواكه تتدفق علينا فياكل الجميع من كل ما ما اتى ، وربما طبخ ارز بالحاضرة فاكلناه فى وسط تلك البادية ، وربما حشى دجاج هناك ، فاستمتع به هنا ، ولهذه الخيرات المتدفقة قل شراء الدجاج في المعتقل القديم ، واما بعد انتقالنا الى الجديد ، وبعد ان ذهب الشاوي فقد خلفه فينا (مهماه) السارق الخائن الذي كان سوسة التموين ، والمدقق فيما تتصل به يده ، حتى البيض يقنع فيها بفرنك ان رآه ، وأما الدجاج الذي يشتريه بنحو 100 فرنك ، فانه يباع لنا بنحو 250 فرنك ، او أزيد وكيفما فعل فانه يحتجن ، وذلك هو قصده الوحيد ، وفي عهده قيل لنا ان التموين نقص منه كثيرا ، الا أن ذلك في الحقيقة لم يكن عمليا ، فان نقص ذلك فانما هي مرة ، على أن التموين الذي يصلنا على كل حال فيه الكفاية الا لمن يسرفون ، فانهم لا يزالون يشترون سكرا أو اتايا وزيتا وزبدة وكل ما الى الرفاهية ، بل الدجاج كل يوم ، بل اللحم الخاص كلما ذبحت

ذبيحة ، فعهدي بـ (مهماه) يدور باللسان أو بالقلب من ثور بين البيوت ليجد من يكويه فيهما بكية غلائه ، وهناك أناس ينفقون في هذا السبيل بغير حساب ، ويتبادلون ضيافات واكرامات ، اما لبجر من حقائبهم ، واما محبة في الاكرام ، غاية الفوها ، كبناني الكريم ، وأهل ازرو ، وكالاخ المكي بادو ، وكابن بركة ، وكالعلامة الكتاني ، هذا والخيرات والحمد لله متدفقة ، تمتلىء بها العيون ، وتتحفق فضلات على الاعوان الملازمين للباب ، فضلا عن المساكين الذين يتحينون الحاج الحسين او الفاسي او البقالي ، ليأخذوا منهم ما يعتادون ، فقد كان لهؤلاء اياد على أبناء القرى حين كنا لا نزال في المعتقل القديم ، فانهم يحرصون على أن يبقى من أطعمتهم كثير ليملأوا به القفاف او السلال لتلك الجموع التي تجتمع انتظارا ، ومن لا ينتظر من أهل تلك البادية خبز القمح في وسطه اللحم ، فهذا البقالي كثيرا ما امضى أوقاته اذ ذاك في أطراف الخبز فيملأها بأطراف اللحم ، على ان ذلك أثار علينا ما أثار ، فكان من الاسباب التي منعتنا من المسبح ، بل قيل : ان أرباب القرى ضج منهم الآباء خوف ان يتعلم ابناؤهم السعاية والتكفف من الصغر ، ومن يعرف أنفة أهل البادية على اعوازهم لا يكاد يرتاب في صدق هذه المقالة ، وقد كان الكسكسو في العشى هو الذي يبقى كثيرا ، خصوصا في المعتقل القديم ، وكثيرا ما أمر بآنية الطعام تزخر بالخالص من الكسكسو ، وربما لا يزال عليه لحمه،فأراه صباحا تتناثر عليه الذباب او النحل او تعلوه آثار زوبعة ليلية ، فأتأفف من ذلك واخواننا الحضريون يالفون مثل ذلك ، فلا يتأفف غالبهم منه وقد أدى ذلك آنذاك الى نقص من الكسكسو ، بل حتى من اللحم ، فبعد ان كان نحو سبعة من الكيلوات من اللحم نقص كثيرا ، وقد قيل لنا : ان الذي عين لكل واحد أخيرا هو : 150 غراما من اللحم ، وهذه الحصة هي التي بقيت الى الاخير .

هذا وان في الاخوان كثيرين يتتبعون الحمية رسميا ، فيعطون لذلك الحليب كثيرا ، والزبدة والخبز الهفهاف ، مع خضر ،وكثيرا ما يتشكون من قلة ذلك ، واما حظهم من اللحم فيأخذونه فيشوونه ، ولا يعطون عشية الا

الشعيرية او خضرا ، وكثيرا ما اسمع الاخ اليزيدي الذي يتشكى حقيقة لمرضه الحقيقي ، يندب حظه في رمضان ، حيث يلاقى عنتا ظاهرا ، لكنه صابر حتى وفى رمضان حقه ، وكذلك الاخ الحمداوي الذي أداه الضعف حتى أكل غالب رمضان ، ولا ينفع أمثال هؤلاء الا بنات جيوبهم ان ارادوا فوق الكفاية .

واما الذي يوزع التموين من اول يوم الى آخره هو الاخ ابن عزو ، فيوصل لكل ذي حق حقه ، ويعينه في ذلك او ينوب عنه احيانا الاخ الشرائبي ، واما تفرقة الغذاء في أواني البيوت ، فابن عزو كثيرا والشرايبي قليلا ، وربما استنيب الاخ المعطي ، وفي هذا التوزيع تظهر نفسيات لها سرعة الى الاتهام أو الى الالتهام ، ولكن الاغضاء والصبر من الموزعين الصبر المتحملين ما يتحملون يعفى على آثار ما عسى ان يحدث من ثورة او كلمة نابية ، ورضى الناس غاية لا تدرك ، والحمد لله على غلبة الصبر والاغضاء من الاخوان .

هذا ما يتعلق بالتموين العام، واما في رمضان فقد تكون فيه خاصة تموين يوافقه ، كاقتراح من الناس ، بيضتان مع زبدة للسحور ، ومعها رقاق كاف ، وفي العشى حريرة حضرية طيبة ، يقف عليها المكي في أكثر من الأحيان ، ثم مرق يتقدمه اما شعيرية او مثلها ، وفي يوم العيد اشترى لنا خمسة اكباش شويت ، فتناولناها في البستان ، فكان تعييدا ونزهة ، حيث ظللنا فاكهين الى العشى ، وقلما مر في المغرب عيد على جماعة كعيدنا نحن ، وكذلك طويت صحيفة رمضان الذي قامه الاخوان تراويح صبحا وعشيا ، وفي ليلة القدر بالخصوص احياء الى مطلع الفجر ، يتداول الامامة الاستاذ عبد العزيز وابن علال ومولاي الحسن .

6 ـ المشتريات

كانت دراهمنا الظاهرة في يد المراقبة على العادة في أمثالنا ، وحين كان الشاوي فانه يحاسب المشترين فيما اشتراه لهم ، فيتمشى الامر واضحا. وان كان عمى الشاوي غير مدفوع عن الاختلاس ، وان كان اختلاس غير شره ، كخلفه الذي سنذكره ، وقد كان ، هو معلوما في ايالته بذلك فبه تأخر

رقيه ، ثم لما جاء خلفه (مهماه) الاحمق المافون الكذاب الاشر ، صرنا نرى بأعيننا من سرقاته ما نرى ، حتى انه لا يكاد يحاول تستترا فقد تقول له بماذا اشتريت لي هذا ، فيقول لا أدري ، ثم لا تعلم من حسابك الا مجمله لا تفصيله ، وبين المجمل والتفصيل يكون ليد (مهماه) التحصيل والسرقة عمله الممتاز من التموين ومن كل شيء اتصل به ، فلم تنشب المراقبة ان وقفت على افتضاحه في ذلك ، فطردته ثم صرح المراقب نفسه بأعماله في السرقات ، تنصلا لئلا يتهم أيضا ، ثم جيء (بطهماز) كمشرف فقط على نظام المعتقلين ، وعلى تنظيف محلاتهم ، ولا مدخل له في التموين ، وازاءه اخر يسمونه (كيوم) ، هو المكلف بالحسابات ، وفي الحين أتى بتاجر يهودي من ثلميمة ، فتح له دكانا في المعتقل القديم ، فأذن لنا ان يشتري كل واحد بنفسه مايريدبالثمن الذي يريد ، وعينوا للخروج الى دكانه يوما مخصوصا في الاسبوع ،ثم بعدذلك ترسل اليه الورقات بامضاء صاحبهاوالعريف عليها ،والورقة من كناش خاص ، من نظير ما يقطع منه المحاسبون طرفا ، فيترك الطرف الآخر يدل على ما قطع بعدده وبتاريخه ، فبذلك زال الغش والتدليس ، لان اليهودي نفسه اتهم بأنه يزيد في ورقة معتادة كان يعطاها بادىء ذي بدء من المشترين ، فيها ما اشترى وثمنه وتاريخه ، الا أن ذلك يمكن فيه التلاعب له ، كما اتهم به ، ولكن حين وقع الضبط كما ذكرناه زال التدليس من اصله ، الا ان هذه المشتريات لم يستمتع بها الا قليلا، في أول شعبان ، وأما في أواخره وكذلك فيما بعد ، فلا استفادة الا قليلا ، لقلة ما يستورده التاجر ، ولاعياد اليهود ، ولقلة المواصلات ، وأخيرا عدد المراقب اليهودي يوما من اجل خيانة في مبيعات باعها للاعوان ، فصادف ذلك قعود اخوان منا عنده ، ينتظرون الطبيب الذي كثيرا ما يتباطأ عنا عمدا ، فحين لمز المراقب محله بسمة قبيحة (الماخور) ظن بعض الحاضرين أنهم هم المقصودون ، فكان ذلك هو سبب تلك الثورة التي ذكرت قبل عنها طرفا ، ثم تبين ان المقصود هو اليهودي فقط ، لا أولئك الاخوان ، وقد حاول (طهماز) تنظيم الناس في

الخروج يوم الشراء ، ولكنه لحمقه لا يهتدي الى التنظيم ومما وقع له يوما بسبب الاخ عبد السلام بن كيران الذي كان جيء به خفية عنا ـ فيما يحسبون ـ فيغلقون عليه في بيت من بيوت معتقلنا القديم فبينما نحن في متجر اليهودي اذا بالحارس جاء بعبد السلام من البستان في وقته المعتاد ، فرأيناه كلنا مقبلا ، حتى ذهب اليه الاخ الحمداوي ليصافحه ، وقد قاربنا ، لأن مسكنه ازاء المتجر الذي وقفنا في بابه ، وقد كان (طهماز) دخل المتجر ، فقيل له : أخرج وافتح للمسجون بيته ، فخرج بسرعة اهوج كأنه سكران ، وقد بهت ، لأننا شاهدنا على رغمه سجينه الذي أؤتمن عليه وعلى كتمان اسمه ، فضلا عن شخصه ، فلا يدري الاخرق ما هو العمل الا انه ارتجلها فكرة ،ربما اعتقدها من نوابغ فكره ، فثار في الحارس ليرد المسجون الى البستان ، ثم صار يدور حول نفسه كالدوامة ، فأراد أن يلوم الحارس فرد عليه بأنه انما تتبع المقرر في الوقت ، والحقيقة ان الغلطة من (طهماز) لانه لم يتخذ الاحتياط حين نريد نحن ان نخرج الى المتجر ، والمظنون أنه حاول ستر فضيحته عن المراقب ، فان المراقب جاءت فرص يذكر فيها السجين باسمه مع بعض من يتكلم معه ـ وهو العلمي النجار ـ ولكن سكت وأعرض عن الحديث وذلك يدل على أنه لا يزال يظن أننا لا نعرف ما وراء الأكمة .

أما (كيوم) فقد اخبرنا قبل سفره بأنه يلحق بالبيضاء ، واما (طهماز) فكذلك سمعنا بانه مريض ، سيغيب ما شاء الله ، ونحن نفهم من ذلك كله ما نفهم .

7 ـ الدراسات

كثيرا ما أفكر في معتقلنا فأقول : هل الواقع أن هذا معتقل حقيقة فاين آثار الاعتقال ، وأين هموم الاعتقال ، وأين تضييقات الاعتقال ، أنحن وكلنا سابحون في نعم زاخرة ، وآلاء باطنة وظاهرة ، نستحق في الواقع ان نسمى معتقلين ، ثم أنظر الى ناحية القيام بشعائر الدين والاهتبال بها ، والى المروءة السائدة ، والى الحياء الذي يسود الوجوه ، والى اشتغال كل انسان

بخويصة نفسه ، حتى أنني لأشهد بان مسمعي ما ولجت فيه قط عبارة سفه أو ما يستحيا من قوله ، فاقول : هذه زاوية من زوايا الصوفية ، لو كان فيها شيء من الهدوء ، وجهر بالاذكار التي تؤلف من الزوايا ، ثم انظر ناحية اخرى، فأرى دروساقائمة ، ومطالعات دائمة ، ومباحث تحرر ، وتواريخ تسطر ، ومحاضرات تتوالى واستفادات ، وافادات يحرص عليها ، يملأ ذلك كل طرفي النهار حتى لا تقع الا على استاذ أو تلميذ ، أو مطالع ، أو منقب بين الكتب عما يعوزه من تحرير مسالة . أنظر الى كل هذا فاقول ان هذه مدرسة تؤدي وظيفتها ، وينبوع معارف يكرع من نميرها ، ثم اذا تخللت الثنايا ، ووقعت على هذا يتخصص في العربية كدروس عليا ، وذلك في الفرنسية او الانكليزية ، أو وقفت ازاء من يتوفرون على لغة الشلحة وامثالها ومشتقاتها ، أو على اللغة المزيغية يحررون من عباراتها ، ويقايسون ما بينها وبين اختها الشلحة ، أو اندفعت الى مجلس آخر يتقن فيه علم الجبر ، وتقويم البلدان ، وكيفية تخطيط الكرات الارضية ، وكيف يوازن في علم الاجتماع ما بين زيادة الاهالي ، وبين تموينهم ، أو لفت نظري أصحاب العلم الدقيق حول الحشرات او النباتات على اختلاف انواعها ، وهم يفتحون من كتب الفرنسية أو الانكليزية او العربية ، او يسائلون الشلحيين او المزيغيين عن اسمائها وعن غرائزها ، فاسمع عن نبات او حشرة ما يسماه بالعربية وبالفرنسية والانكليزية وبالشلحة او المزيغية ، ان أنظر الى كل هذه اقول ان هذه جامعة عظمى ، وانها لتعطس بين الجامعات بانف شامخ .

ذلك هو معتقلنا او الذي اصطلحوا على ان يسموه بمعتقلنا ، وان كنت انا اسميه جنتنا التي لا لغو فيها ، ولا تاثيم ، ولا احزان ولا هموم ، فيها اخوان على سرر متقابلين .

بعد هذا المجمل اسمع التفصيل عن الدروس بأنواعها التي تمت والتي لم تتم في المعتقل القديم : اما العربية فان الاستاذ عبد العزيز درس هناك الموضح والألفية ما شاء الله لطبقة علي بركاش ومحمد الحلو ، وفضول

الصائغ ، والمحمدي ، ثم الدروس النحوية (قواعد اللغة العربية) ولا يخلو قط من دراسة دروس النحو، وللاستاذ محمد الحلو اياد بيضاء في المبتدئين ، ولم يزل معهم متدرجا ، فانتفع به امثال ابن قاسم وابن علال والمدني وأخوه المعطي وعمر أبو الطيب ، وابن سالم ، وسعيد القصيبي ، وميمون التكزرتي، ومن اليهم من شباب الاطلس العطشان ، كما للاستاذ البقالي عمله الخالد في صفوف هؤلاء الشباب ، وان كان مرضه ، لا يترك له نشاطا كثيرا ، ولم يشف حتى أمضى عملية الشق في أواسط رمضان ، فبرىء تماما برءا يستطيع معه موالاة الدراسة ، وأما العبد الضعيف ، فقد جال اذ ذاك مع هؤلاء المبتدئين في دروس خاصة لم يلتزم فيها كتابا ، على السنن الذي كان جربه في تعليم الكبار، فاثمر ذلك فيهم غاية ، ثم درس التصريف مع طبقة علي بركاش ومحمد الحلو والمحمدي وابن علال ومولاي الحسن الادزري ، فكان للمحمدي بينهم في ذلك قصب السبق . وهذه الدروس مجموعة لتكون كاثر من آثار اغبالو نكردوس ، تحتوي على : (26) درسا كبيرا ، حوول فيها استخلاص كل ما يحوم حول التصريف للكلمة من بين ما يذكره النحويون ، أفعالا ومصادر ومشتقات ، وتصريف الافعال على أنواعها مع الضمائر ، والمفردات والمثنيات والجموع على انواعها . والتصغير والنسب ، الى بعض ما يتخلل الالفاظ المعللة من الاعلال ، وقد أجتهد ان يكـــون مقصورا في الكتاب على القياس لينتفع به المبتدئون ، وقد كنت اواخذ من بين يدي بالملاطفة وبالمساهلـــة حتى استانسوا بالقراءة ، لانهم ما رأوها قط وما تعلموا الا الكتابة ، حتى للقرآن انمـا يقراه جلهم في المصاحـف ، هذه دروس النحـو ، وأما في الفقه فيقوم الاستاذ بناني بدروس يستخرجها من زاد المعاد لابن القيم ، مدارها على العبادات ، فرأيت أنا من عند نفسي ان هؤلاء المبتدئين يليق بهم ان يعرفوا مثل ما في ابن عاشر أولا ، فقرأت معهم بين العشاءين كتاب الطهارة وكتاب الصلاة ، فانتفعوا كثيرا ، وأما التفسير فكان الاستاذ ابن ادريـس يلقي دائما درسا في التفسير بروح القرآن على ما أنزل من أجله القرآن فـــي العاشرة بعد قـراءة حزب الصباح في البستان ، وافتتحت أنا تفسيرا اثـر

صلاةالصبح من أول الفاتحة ، فاستتمنا قبل انتقالنا من هناك الحزب الاول مع كل ما يتعلق ببني اسرائيل ملتقطا من نواحي القرآن ، كما قرأت أيضا السيرة النبوية ، كمفتاح لفهم التفسير ، وكان للاخ عبد الهادي الحلو اليد الطولى في ذلك ، فوقع الانتفاع كثيرا بأخبار الرسول (صلعم) وكان يحضر غالب الاطلسيين مع غيرهم ، ومن عادتي ان أذكر وان لا انتظر المجيء الي ، وأنا احث على انتهاز الفرصة ، فنجحت والحمد لله ، لان الذكرى تنفع المومنين ، فتجد مولاي الحسن الادزري ، ومولاي عبد الله ، وأمثالهما ، يستحضرون السيرة وأحكام الفقه من تلك المجالس ، ثم كان الاستاذ الفاسي يلقي أسبوعا درسا واحدا حول المسبح في التاريخ المغربي ، على رغم منه ، لانه مشغول بناحية اخرى فانتدبت أنا فاعلنت افتتاح التاريخ المغربي استتماما للسيرة،فمن السيرة الى الخلفاء الىالامويين الى العباسيين،الىعصر هرون الرشيد الى مولاي ادريس ، بعد ان ذكرنا عهد الفتوح ، ثم ذهبنا قدما ، دروس تلقى ارتجالا ثم تكرر حتى يتشربها الحاضرون ، وهكذا نسير امام ، وقد قرأ الاستاذ عبد العزيز مع المحمدي ما شاء الله من الموافقات ، كما يقرأ درسا خاصا في التفسير مع علي بركاش في أواخر القرآن ، وفي كل أصيل كان الاستاذ بناني يلقي محاضرات او دروسا ـ سمها ما شئت ـ في القضية المغربية ، كان لها تاثير عجيب ، وكانت له مهارة واقتدار في ترتيب الحوادث التي يحدث عنها ، وهذه الاحاديث زبدة مطالعات شتى فيازمان متطاولة للاستاذ ، وله بذلك اختصاص تتبع المصادر من المؤلفين ومن الصحف ، منذ انتصبت القضية المغربية في اطارها الدولي . وأما التلاوة فيكثر من يتلو عليهم كابن ادريس وبناني وغيرهما .

أما الدروس الفرنسية فانها كثيرة ، والذي يلقي الحظ الاكبر منها الحاج أحمد بناني أيضا ، وقد اكتشف منه في هذا المعتقل أنه مدرس من الطبقة الممتازة ، فله دروس متنوعة مع مبتدئين ، كمولاي الحسن ومولاي عبد الله ، كما له مع طبقة أعلى تستتم ، كمحمد الحلو ، وعمور وغيرهما ، وهناك

ومن اليه واما دروس الاجتماع فيقوم بها ـ فيما أخال لانني لا أحضر ـ الاستاذ ابن جلون ، وكذلك بدروس تدور حول الفلسفة اليوم ، وقد اجتهد الاستاذ ان يعلن ان منتهى ما ادركه العقل البشرى اليوم فى فلسفته ، ان الاديان صحيحة وان السعادة للروح هي السعادة ، وان مذهب الماديين كاد ينهار ، فيبدئ ويعيد ، وهو رجل ذلك المقام رضي الله عنه ـ أقولها بملء فى ـ ، واما الحساب فيقوم به المهدى ، كما يقوم ايضا بعلم احصاء السكان ، واما المحاضرات ، فيقوم فى السلفية فيها الاستاذ ابراهيم الذى أحضر محاضراته باغتباط لانتفع من علمه الجم ، فقد جال بها فى القرآن جولات حول اعتبار الاسلام للعلم والعقل ، ثم محاضرة حول محمد عبده وأساطين الحركة الاخيرة ، وللاستاذ من فصاحته ولباقته واستحضاره ما يخلب به الباب السامعين .

هكذا عينت الدروس والمحاضرات تنظيما مدققا بالساعات وبالايام المختلفه على قاعدة الحصص ، وعلق منشور بذلك ، كما جعلت خرائط فى القاعة ، وكذلك نظمت السهرات اسبوعيا ، فترى المعتقل يموج دروسا مدققة الاوقات ، فلا يجد أحد ملتحدا عن وقته ، وقد ترك كل وضميره ، ثم لما منعنا من صلاة الجماعة ، وأقفلت القاعة ، كما أغلق ايضا المكان الذى يتوسع به فى الدروس ، تداعت هذه الحركة المنظمة ، فتراجعت الدروس الى الاختيار ، الا ما كان من دروس الاستاذ عبد العزيز ، فدرسه فى التفسير ، وهو درس ممتاز وكذلك فى النحو لم ينقطعا ، وكذلك درس التاريخ للكتانى للجماعة وأخرى لوحدان ، وكدروس للحمداوى مع الاطلسيين ، ومع مصطفى المشرفي وغيره ، ودرس محمد الحلو ، وما يلقيه بنانى الذى قلما يخلو وقته من دروس جماعات وفرادى ، فهكذا رجعت الدروس اختيارية ، ولكن المفيد من كل ما نظم لا يزال ، وذلك راجع الى الوصلة بين التلميذ والاستاذ ، فكل من يقع بينهما التجاوب الروحى فانه دائم ، فدامت دروس العربية نحوا وما اليه من التلاوة والتفسير والفقه فى الرسالة ، يأخذها على بركاش ، والحلو وادريس

المسفر ، عن الاستاذ ابن ادريس ، وكدرس التوحيد من رسالة محمد عبده يأخذها مصطفى المشرفى عن الكتانى ، ودرس آخر محدث من النحو كالثانوى افتتحته مع ابن سالم وميمون وعمر ابو الطيب ، والمدنى وبرو ، اكتبه لهم واعطيهم التمارين فى وقائع من تواريخ المغرب ، وهي دروس أيضا مجموعة كاثر من ذلك المعتقل ، وتسمى (النحو المبسط) وكذلك اقرأت البيان : بعلومه الثلاثه : علم المعانى والبيان والبديع فى الدروس الملحقة بالقواعد مع مراجعة الحاضرين للبلاغة الواضحة ، وهم المحمدى وابن بركة ، والمسفر ، ومحمد الحلو ، كما اقرأت أيضا بعضها مع مصطفى المشرفي ، وقد قرانا ملخصا فى الاصول لخصته فى دروس من كتاب (ارشاد الفحول) وهي دروس محررة من آثار ذلك المعتقل ، وهناك دروس من اللغة ومن الادب تمشيت فيها ما شاء الله مع ابن بركة والمحمدى والمسفر وفضول الصائغ ، ثم جاء رمضان ، فكنت أقرأ فى التفسير بعد الصبح فى القاعة لجماعة تزهد فى النوم بعد الصبح ، ابن قاسم وابن علال ، واحمد بن الحسين وسعيد ، وعبد الهادى الحلو ، ومولاي عبد الله وميمون ، ومحمد بن عبد القادر ، وبا موج ، ومولاي الحسن ، وربما يحضر مولاي هاشم والحاج الحسين ان لم يناما ، وفى العاشرة الدروس النحوية مع طبقتي التى لازمتني منذ يوم تنظيم الدروس ، أحمد اليزيدي ، عبد الهادي الحلو عمور المكناسي ، احمد بن قاسم ، أحمد بن علال ، احمد بن الحسين القصيبي، مولاي الحسن ، فانها طبقة انتفعت كثيرا فى النحو ، خصوصا من حاول منهم التلاوة والتطبيق خارج الدرس ، كعبد الهادى واليزيدى اللذين يتلوان كثيرا ، ثم بعد هذا الدرس نقرأ من الموطا كتاب الصوم ، واستحضر عليه ما فى القوانين ، الى أن اتممنا الكتاب من الصوم وسط الشهر ، فوضعنا فى مكانه كتاب الفرائض ، فتمشينا فيها ما شاء الله الى أن تم رمضان ، ثم تتبعه الاربعين النووية ، ثم درس النحو فى الثانية عشرة مع الطبقة الاخرى طبقة ابن سالم ، بهذا أمضينا صبيحة رمضان ، وبعد العصر منه أقرأ مع

المحمدى الصيام فى الحديث قرأناه من كتاب (مصابيح السنة) ومن الموطأ ، مع مراجعات فى (زاد المعاد) وقد حضر أخيرا بعض هذه الدروس الاستاذ ابن جلون ، وقد كان والحمد لله هذا الشهر عندي مباركا لاشتغالى فيه كثيرا بالقرآن وبالتعليم ، وأتجنب ما أمكن المحادثات ، وأنفرد بنفسي بمجرد ما أتعشى بسرعة قبل أن يتصل بي أحد ، فالحمد لله على ذلك ، وقد أعاننى كثيرا نظام بيتنا الهادىء وقبل رمضان كنا دائما نمشى فى بيتنا فى التفسير الذى افتتحناه من المعتقل القديم ، اتتبعه مع الشريفين ، وربما حضر معنا مولاي عبد الله عشية أو صباحا ، فى الوقت الذى نعينه للدراسة ، وهو درس خاص ، ولمعرفة الناس هنا بكلفي بالتعليم ، وبالتعلم صار كل واحد يقترح علي درسا خاصا حتى الاستاذ الفاسي اقترح ان نمر بالقاموس كما اقترحه أيضا الاستاذ الكتانى ولكن القاموس لا أطيق تتبعه ، وما المسؤول فيه بأعلم من السائل ، وكذلك اقترح على مصطفى العشرفي الولوع بكل استفادة ان اقرأ معه فنونا من النحو والتصريف واللغة والادب ، كأنه يظنني دائرة معارف ، او يظن وقتي متسعا لكل ذلك ، ولكنني أراوده بما أستطيعه املاءات وفوائد متفرقة ، وكان هو أيضا مولعا بتعليم المبتدئين ، فيعلم الشريف مولاي احمد التبر المبادىء العربية ، كما يعلمنى أنا الفرنسية ، وكذلك لمولاي عبد الله ، ولمولاي الحسن ، وقد كان بوده ان يأخذ الدروس من كل الفنون عربية وفرنسية وانكليزية وشلحية ، بل شرع فى كل واحدة منها متنقلا ، فيأخذ النحو فى المزيغية عن الاستاذ الفاسى ويتذاكر فى الانكليزية مع المكب عليها غاية الاكباب الاستاذ الحمداوى ، وهي هجيراه ، ويحمد مسعاه فيها فى هذا الاعتقال ، كما أن مصطفى يأخذ عن ابن بركة من علومه التى تخصص فيها ، ورايتهما يهيآن كرة ارضية ، اتقنا تخطيطها بعدما صنعاها من الجبص ، وكانت يد مصطفى اللبقة هي التى اتقنتها وخططتها ، وهكذا الاخ مصطفى ـ وكم يفرح لو كتبت

ولـدي مصطفـى ـ له من الشغـف ما أتمنـى لو تفرغت له لأفيده كل ما فى امكانـى ، ولكـن ليـس فى عصـاي سيـر ، ولا يكاد يعلو عليه أحـد فى التعطش الـى الاستزادة ، الا ما كان من المحمـدى المستعرب المتفرنس المتنكلـز ، فانه هنـاك لا شغـل له الا التعمق فى الانكليزية وفى العربية ، فاستفاد فى الدروس التى بيننـا كثيرا ، وكما كان لهذين ما لهمـا فـى طبقتهمـا كان ايضا مثـل الهمـة القعسـاء فى التحصيل للاخ عبد الهادى الحلو ، وقد كان بـوده أن يلتهم اللغـة العربية التهاما .

ثم لما انقضى رمضان بأسبوع ، أقبلنا على بعض الدروس كالدرس مـع الطبقـة الثانيـة فى النحـو ، ودرس من التلاوة واللغة مع عبد اللطيف وجماعـة ، ودرس مـع المحمـدى فى اعـلام للموقعيـن ، حتى اذا قـارب شـوال ان ينصـرم ، وقد دخل شهـره فى الواوات ـ كما يقولون ـ قـوي عزمـي على نهضـة أخـرى وذلك فى (26) منه ، فاجبت الاوالد على بركاش والمسفـر ومحمد الحلـو فى درس أدبى عـال ، نتتبع فيه شعراء العربيـة من الجاهليـة وأدبائها ، نقتنـع فى ذلك بترجمة قصيرة لكل واحـد ، مـع اثـر قليل من شعـره أو من نثـره ، كما أخبـرت أصحاب طبقتـي الثانويـة فى النحـو بأننا سنقسم دروس الاسبوع ، بعضها الى الامـام وبعضها للمراجعة ، ففرحـوا بذلك ، كما أعلنت لهم درسـا فى التفسيـر علـى غـرار ما كانوا رأوه منى فى صبيحة رمضان ، تطبيقـا للقواعـد التي يقرأونهـا ألحـوا علي كثيـرا فيه ، ولذلك قلت للاستـاذ الفاسـى ان ما بعـد الغـد يوم الاربعـاء سنفتتـح المراجعـة فى الابحـاث السوسية وقد كان يلـح فى ذلك من أول رمضان وكذلك أجبت المحمـدى ، على درس خاص ، يقتـرح ان لا ينقطـع لزعمه أنه يستفيد منى كثيـرا ، فكأنـه سر بمـا حصله فـي التصريف وفـي الاصول بعـد ان كـان افتتـح مـع أستـاذ كبيـر (ارشـاد الفحـول) ، فلم يهتـد ذلك الاستاذ مـع معـارفه الجمـة الـى ما هو سر الصناعـة فى التعليم ، فمـا كان مثـل

المحمـــدى ليؤخـــذ الا بما يبهـــره زيـــادة على ذلـــك ان للمحمـــدى ذكاء وادراكا وتمييزا وتؤدة لا يقمقع لها فيها بشنان ، ولمعرفتي انا بهذا ، أتيت الرجل توا من صميم العلـم لا من مقدماته فتاثـــر بفهمـــه ، فذلـــك ما أراه يدفعـه الي ، ولذلك عزمت على اجابته أيضـا ، وقـــد كانـت هذه التصميمات كلها يوم : 25 ـ 26 ـ من شوال ، ولكن لم تصل السابعة فـى صبيحـة 27 حتى اعلمـت بالانتقـال .

تلك من انبـاء الدروس فى معتقلنا ، ولم اتتبع كثيرا من الـــدروس المفـردة ، لانهـا كادت تستغرق الجميع ، عربية او فرنسية او انكليزية او شلحية ، حتى ابن ادريس وابن بركـة تشلحا ـ عصمـــك اللـــه ـ لكـن الاعمـال بالنيات ، ولا يقصـدان الا الخير والحمد للـه .

8 ـ المحاضـــرات

أما المحاضرات ، فانها النوع العالى من زبـدة المعارف ، وبتنوعهـا تتنـوع ثمارها الشهية ، فقد وجـدت لما جئت من تنجـداد من سلسلـة المحاضرات حلقـات فاتتنـى ، واول محاضرة حضرتها يوم الجمعـــة المقبلـة ـ لان المحاضرات يجعلونها أيام الجمع بعد العصر فى المسبـــح أو فى المعتقـل ـ محاضرة قيمـة للاستاذ المحمـدى فى الرياضة ، ذكـــر فيهـــا كيف الرياضـــة ، وما موقعهـا الآن بيـن ما يعتنى به العصـــر الحاضـر ، ثـــم ذكـر الجهـود المبذولـة حول الرياضه فى الكشفيـــة الحسنيـة فى المغرب ، وذكر موقفـه وموقف أصحابـه من سنة 1937 م أمـــام الذين يناوئـون النـشء الحاضر فى جمعياته ، فافاد فى كل ذلـك وأجـاد غايـة الاجـادة ، وحين جـره ، الكـلام الى فوائـد الرياضـــة جسمـا وعقـلا وروحـا وهمـة وأدلـى فى ذلـك بمـا أدلـى به ممـــا استقـاه من معارفه الواسعة فى الموضوع ، عقبته أنا بعـد ان استتـم محاضرتـه كذيـل بما يتعلق بالرياضة فى الاسلام ، فذكرت ما حضرنـى فى المسابقة والمصارعـة والسباحة والرمايـة ، الى ما يمت الى الموضوع

من أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف .

ثم جاءت نوبة الاستاذ الفاسي - وقد كان سبقت له محاضرة قبل - فأدلى فيها بشيء من أعماله وأعمال رفقائه في باريس نحو القضية المغربية .

وفي الجمعة الاخرى جاءت نوبتي ، فجعلت موضوعها ما شاهدته بفاس من تكون البذرة الوطنية الاولى ، وكيف كنا اذ ذاك نتلاقى حتى كان من تلك الملاقاة ما كان ، فاسهبت في جزئيات حضرتها ، وأتيت ببعض أدبيات تروج في محيطنا اذ ذاك ، فكان للادب في المحاضرة مظهر خاص .

وفي الجمعة الاخرى تقدم الاستاذ ابن ادريس يتمم على الموضوع الذي افتتحته ، فوصل تلك الحلقة بأخرى ، فذكر ان أول اجتماع حضر فيه في فجر يقظته كان يوم القيت أنا محاضرة عن العهد المريني في المدرسة الناصرية حضرها اذ ذاك الجم الغفير ، كان الاستاذ من بينهم ، ثم صار يذكر حقائق يعز على السامع أن لا تكتب ، الى أن وصل الى وقت المطالبة باصلاح القرويين ثم وقت الاصطدام بسبب الظهير البربري وهكذا أفاض فأفاد .

وفي الجمعة التالية ، جاء أيضا الاستاذ الفاسي يستتم الموضوع ففتح صحيفة عما كان مجهولا عند غالب السامعين ، من بينها كيف تنظيم المظاهرة ضد الظهير البربري ، وكيف تعين هو ان يفتتح في مسجد بفاس اللطيف بنفسه ، وقد كان بالرباط ، وعول على التبكير يومه وهو يوم الجمعة نفسه ، ليركب في ستيام ، ولكن النعاس غلبه ، حتى طلع النهار فلم يسعه الا أن يكتري بثلاثمائة فرنك - وهي اذ ذاك لها بال - كارا كبيرا وحده ، من كيران ستيام ليمكن له ان يلحق الصلاة بفاس ، فوصل فاس والوقت قد حان ، فأدى المهمة كما ينبغي ، هكذا سار في محاضرته ، وما لمثل الاستاذ الا السمو في كل ما يجول فيه ، ومن يجيد اذا

كان مثلـــه ، لا يجيـد .

وفى الجمعـة الاخـرى ، حاضرنا فى المعتقـل فى يوم مطير الاديـب محمد الحلو فى الكيفية التى تلقـى بها الوطنية ، فازال السجف عـن حيـاة شاب نشأ متدينـا ببركـة تديـن أهلـه ، فذكر بعض وقائـع وقعـت لـه مـع مـن لا يؤمنـون بالله ،تضاحكـوا عليه عند قيامـه للصـلاة ، لمـا سألهـم عن القبلـة فى منزلهم ، ولكنـه بعزمـه وقيامـه تركهـم يرسفـون فى غيهـم ويتعثرون فى حيائهم لما غلبوا .

وفى جمعـة موالية ، حاضر الصحافى المقتدر ، على بركاش عـن حيـاة الصحافـة وعن أوصافها وكيف تصدر تلك الجريدة التـى يقرأهـا بـعض القـراء فى ثانيـة ثم يرميها جانيـا ، غيـر قادر الجهـود التـى لقيهـا الصحافيون حتى تمكن هو ان يضعها فى يـده ، كانت محاضـرة علميـة مخصبـة فـى موضوعها ، ولا عيب فيها الا أنـه عاكس الفكـر العـام فجعلهـا بالدارجـة عـلى ان له رايـه فى ايثـار الدارجـة عـلى الفصحـى .

أما محاضرات الاستـاذ بنانـى المتسلسلـة فى المعتقل القديـم ، فقـد تقـدم الكـلام عليهـا .

هذه هي المحاضرات التى استحضرتها فى المعتقل القديـم ، وأما فى الجديد ، فهناك محاضرة للاستاذ الحمداوي في اخلاق العلماء ، وكيف ينبغي أن تكون نفسية العالـم ، وكيف يـؤدي لأمتـه أو لمليكه الرسالة التي كلـف بتبليغها ، ملأها الاستاذ المطلع بشواهد عن حياة علماء أجلة وقفوا أمام الطغيان كابن طاووس وامثاله ، ثم تدرج الاستاذ الى ان القى نظرة على علماء اليوم ويقصد الخونة منهـم ، فاصلاهم نارا تلظى مـن ملامته ، ثم زاد قدما الى ان استثـار غضب السامعين عـلى العلماء الخونة ، فلمـا قضى محاضرته القيمة اندفعـت انا فطلبت الكلمة ، ومقصـودي أن ازم بعـض الشيء مـن جيشـان السامعين ضد كل العلماء ، فقلت كلمة مختصرة ضمنتها ان أمثال هؤلاء العلماء

المخلصين الذين أدلى بهم واشاد بمجدهم المحاضر الكريم موجودون في كل وقت،فجلتجولت في التاريخ عن الذين استحضرهم من المغاربة،قاوموا الطغيان وقالوا كلمة الحق ، ولا يبالون الى أن وصلت العصر الحاضر ، فذكرت من علماء المغرب اليوم من قاموا في مقام الحق ولم يتزعزعوا ، وما كل هؤلاء العلماء المسجونين اليوم ، والمعزولين عن وظائفهم ، ولا المضطهدين ، الا من هؤلاء ، وهم وان كانوا قليلين بالنسبة لمن يسمون عادة علماء ، فان المحقين دائما قليلون ، وان المبطلين هم الاكثرون ، قال تعالى : وقليل ما هم ، ثم قال: لئن تتبع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، ثم ختمت بذكر أسماء أفذاذ من هؤلاء الواقفين اليوم في قضيتنا ، كذلك أتممت فقط موضوع الاستاذ وبينت مقصوده فخرج الناس وهم للاستاذ شاكرون ، وقد سمعت الاستاذ الفاسي يقول لولا انك بينت الحقيقة ، وأزلت الابهام ، لتعين اعلان الحقيقة من جديد ، فهم هؤلاء العلماء ، في المنافي وفي السجون وفي الخارج ، فمن يدافع عن الحق اليوم الا العلماء ، ولكنهم علماء الحق لا علماء الباطل ، ومضى في ذلك ما شاء له بيانه .

ثم جاءت محاضرات الاستاذ الكتاني – ولله دره – يبين فيها بالآيات ، فقط كيف يقدر الاسلام قدر العقل ، وكيف يعتبر العلم ، وكيف ينعى على التقليد والجمود ، سلسلة توالت ، كانت آخرها عن السلفية المتجسمة في محمد عبده ومن اليه ، ثم ألم بسلفية المغرب،فأفاض مما افعوعمت به أوطابه المزبدة ، ثم كانت أيضا محاضرات الاستاذ ابن جلون أجلها وأعلاها او على الاقل التي سمعتها : محاضرة ألقاها يوم 20 مارس حول الحماية وكيف الحماية في نظر القانون وما هي الحماية في أنظار الساسة وكيف تطبق الى آخر ما هنالك ، وفي محاضرة أخرى سمعتها ، ذكر حوادث الاستقلال ، فبين الاسباب الدافعة الى اعلان الحزب ما أعلن ، وكيف انساق العرش معه ، وللاستاذ ابن جلون في أحاديثه كلها طلاوة وانتساق ومعرفة كيف تواصل أطراف الموضوع .

ثم كانت محاضرة ايضا يوم 30 مارس للاستاد بناني : القاها نيابة عنه الاخ فضول ، واخال انها هي الوحيدة المكتوبة بين كل هذه المحاضرات ، الا ما كان من محاضرة الاستاذ الكتاني ، او المتقدمة عن محمد الحلو ، وما سواها كله مرتجل .

وفي اثناء هذا اقترح علي محاضرة في موضوع ما ، فالقيتها في المقاومين من الجنوب للاحتلال ، وقد افتتحتها بذكر بعض من ظهروا في التاريخ في الجنوب وخصوصا سوسا ، وقد كنت حاولت كتابتها اولا ، ولكنني استعجلت فلم يكتب الا بعضها وقد كان من رأيي انا أن لا يفرط في هذه المحاضرات ، فان لها ما بعدها ولكن لم اجد مصيخا ، والكل يعلم اننا في صفحة تاريخية، ينبغي ان لا يضيع منها ولو حرف واحد .

تلك هي المحضارات التي تضاءلت اخيرا ، لاشتغال الناس بالدروس الخاصة ولاغلاق القاعة .

9 ـ المطالعات

جميع المتن التي توجنا الله بها عنا واضفاها على كواهلنا ، واسبغها علينا من فضله ، لها قيمة عظيمة ، ولكن هل هناك قيمة توازي قيمة الكتب المتنوعة ان وقعت لمن يتذوق ما فيها في متغرب مثل ما نحن فيه حقا اننا لجد مغتبطين من خزانتنا العامرة المتنوعة ، فما شئت من كتب آداب وتاريخ وروايات وقواميس ، وذلك في اللغتين العربية والفرنسية ، وكذلك عند المتنكلزين خزانتهم العامرة يسبحون فيها ، فتقر بها عين الفاسي والحمداوي والمحمدي وبركاش وابن بركة ، كما نقر نحن المستعربين بعشرات فعشرات من أفذاذ الكتب ، فمن كتب التفسير كالكشاف والبغوى والخازن والبيضاوي والجلالين والثعالبي والاحكام لابن العربي ، والاتقان ، وفي الاصول جمع الجوامع وشرحه وارشاد الفحول والموافقات ، ومن كتب الحديث مصباح السنة ، والموطأ بشرح السيوطي ، والشمائل بشرح الباجوري ، والاربعين النووية ، ومما يرجع الى الحديث زاد المعاد واعلام الموقعين والشفاء ، ومن

كتب القوم الحكم بابن عباد،والاحياء ومدارج السالكين،ومن الفقهيات القوانين والمنسوخ منها للشفشاوني ، والرسالة بالشرح الصغير وبابن الحسن مع الحاشية للعدوي وميارة الكبير والصغير بحاشيته ، ومن القواميس المنجد ، وقاموس الفيروزبادي ، وتفسير غريب القرآن ، والقاموس العصري للبناني ، في مجلدين كبيرين ، زيادة عن قواميس فرنسية عربية او انكليزية عربية ، والثاني منها في غاية الافادة ،ومن السيرة سيرة هيكل ، وكذلك في منزل الوحي ، والمواهب اللدنية بشرحها كله ومحاضرات للخضرى ، ومن الفتوح الاسلامية،فتوح البلدان للبلاذري،وغزوات الاسلام،للشيخ دحلان،ومن التواريخ: ابن خلدون كله وابن الاثير ، وابو الفداء ، ومروج الذهب ، وكتاب السيوطي في الخلفاء ،والاستقصاء، وتاريخ المغرب لابن عبود ، وآخر لهاشم الفيلالي ، ونزهة الحادي والحلل السندسية ، وتاريخ ابن عذارى ، وكتاب صاعد في التاريخ في الطبقات ، ومن كتب الادب بحر زاخر ، نفح الطيب بطبعتيه ، وزهر الادب للحصري ، والعقد الفريد ، ومجموعة (اقرأ) ، ومجموعة روايات (جرجي زيدان) ، واكداس من روايات اخرى ، وأجزاء فيض الخاطر ، ومجموعة فجر الاسلام كلها ، ويوم الاسلام ، والاسلام على مفترق الطرق ، والقضايا الكبرى لعنان ، ومجموعة مؤلفات سيد قطب مما الفه حول الاسلام ، وديوان الحماسة لابي تمام والمقامات الحريرية ، والمعلقات ، والبلاغة الواضحة كتاب أدب وفن.

هذا ما استحضره الآن ولعله لا يكون الا نصف ما هناك ، لانني لم اطلع على الكل ، والاستاذ الكتاني هو الذي استحضر كل ذلك وقيده ، وقس على ذلك ما في الخزانة الفرنسية ، وهي اعمر وأزخر ، ثم لا تنس الخزانة الانكليزية او من يستمتع بين هذه الاعلاق يعد نفسه غريبا لا أبا لك ، والذي يثلج صدري انا بالخصوص كوني رأيت شبابا لم تمض عنهم في الدروس العربية الا شهور ، حتى صاروا يطالعون الكتب ، ويفهمون مقاصدها ، وقد كنت أدلهم أولا على الروايات حتى استأنسوا ، ثم ارشدهم الى الكتب التاريخية ، فوالله لو كان لي في هذا المعتقل رأي وحدي ، لخرجت في العربية مؤلا، تخريجا يضرب بهم المثل ، ولكن وا أسفاه تعدد المرشدون عليهم

بلسان المقال أو بلسان الحال ، فمن أراد أن يعلمهم يريد ان يسلك بهم مسلك الصبية ،بحيث يعطيهم حبة حبة ، ومن أراد أن يثقف عقولهم ويعلو بعقليتهم يجعلهم بحيث ينسلخون من كل حياء واتباع وحسن ظن ، ثم لا يؤدى ذلك اذا لم ينضج الانسان الا الى الالحاد او الاعتساف حتى لا يجري يمينه من شماله ، ولكن أحمد الله اذ أن جميع الشباب هناك صاغيتي وحدي في التعليم، لا يفتتحون درسا عند غيري الا باستشارتي فأوجههم بلطف كيف شئت ، الا أن الذين لازموني كابن قاسم وابن علال ومولاي الحسن وابن الحسين وامثالهم قد نالوا ما نالوا بعد شهور ، فتكونت لهم ملكة علم وادراك وقواعد ، ومعرفة الناس ، والرسوخ في التدين ، ولم يكن يهمني أنا الا ان يخرج الاميون وهم يقرأون واعينهم متفتحة في دينهم كما تتفتح في السياسة التي لابد منها ، فقد نلت والحمد لله غالب مقصودي فليس هناك من لا يقرأ البتة الا اثنان فقط، شيخان ، مع انهما ايضا حضرا وسمعا وعرفا التهجى وبرما يخربشان ما يريدان ، وذلك على كل حال خير ، والقراءة بالقلب والعاطفة تقوم مقام القراءة باللسان أحيانا .

كثيرا ما أمر على المعتقل أحيانا فلا أرى الا مطالعا اما في كتاب عربي ، أو في كتاب أجنبي ، وهؤلاء الشبان كلهم تقدموا في الفرنسية كما تقدموا في العربية ، وهكذا نرجو أن تستتم فيهم النعمة ليتمكنوا من تبليغ الرسالة غدا في الاطلس .

10 ـ السهرات

كانت لهم في المعتقل القديم سهرة في كل اسبوع ، تنطلق لهم فيها العواطف ، وينفضون فيها عن انفسهم عنت الغربة ، فيأتونها أجمعون ، الا ما كان من الحاج أحمد بناني فانه يفضل علينا النوم ، وكذلك صاحب هذا الكتاب ، فلم أحضر لهم قط سهرة من اجل أنني لا أحب السهر لا غير ، واسمعهم وهم يتناقزون او يشطحون شطح الاطلسيين ، او يحكون الدرقاويين ، وهم في كل مقام يحتفلون له بشروطه ، فينشدهم أهل الاطلس

من أشعارهم بغنائهم وسط الشطح الاطلسي وهم يحدقون على طاسة لها رنين ، أو يقومون كالفقراء فيقوم لهم بعض أهل العدوتين بنشيد الفقراء ، وقد حضرت يوما فكنت أنا والاستاذ عبد العزيز نتلو من اشعار ابن الفارض ويردون علينا بالاذكار ، ولكني لا اكتمك ، قد تحرك ساكني حتى احسست بما أحسست به ، او لست ابن زاوية وابن الفقراء لا ابا لك .

وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

وقد لا زموا تلك الليلة الهدوء ، فمرت الاذكار ولها تأثير ، وقد كان لمولاي عبد الله الميدلتي ولمولاي الحسن الادرزي ، ولمحمد الشرائبي وللمكي بادو يد في جعل الاخوان ينبسطون في سهراتهم هذه ، وقد كان للفاسي دائما في هذه السهرات ماله ، حتى أنه ليجر اليها جرا ان تأبى من الحضور ، لما له من خفة وللانبساط الى مدى بعيد يكاد يطير فرحا ، ولكن لا تحسب أن لهجر القول أو للغيبة متسربا الى هذه المجتمعات ، فحاشا الاخوان الاعلين أصحاب المروءة في ذلك ، وكفاك أن الشيخ عبد العزيز لا يفارقها ، وما كان الا مثل ما قاله عبد الملك في عدوه مصعب بن الزبير ، فقد قيل له : أكان مصعب يشرب الخمر ، فقال او كان مصعب يعلم ان شرب الماء ينقص من مروءته ما شربه ، فكذلك عبد العزيز ، فانه لا يبيع نفسه ولا مروءته رخيصا ، ولا ينبئك مثل خبير .

وقد دخل تطور ما في هذه السهرات ، لما التحقنا بالمعتقل الجديد ، وذلك أن بعضهم اخترع كتب ورقات مطوية اما على امثال واما على أشعار ، كان يختارها على بركاش ، تفتح كل واحدة منها على بخت انسان ما ، وقد قيل لي ان ورقة فتحت ببختي فكان فيها : (الله يفرقنا بلا ذنوب) فيا انذا الان أشهد ان لا احد من اي انسان هناك أذنب الي ، واخال انني كذلك لم أذنب الى احد ، ولعل الله الذي نذنب اليه هو دائما : ان يصفح عنا ويتجاوز ، ويختم علينا بالحسنى .

تلك هي السهرات التى قلت اخيرا جدا كمجتمعات عامة ، فلم يبق الا سهرات خاصة بها قضى أناس رمضان ، ولكنهم قليلون جدا ، فلا ينامون الا بعد الصبح .

11 ـ مجتمعات سماع الاخبار

كان الاخ ابن بركة النشيط هو الذى نشط لتولى مهمة الاخبار ، فكان كلما وقعت في يده جريدة أو سمع خبرا ما مما يتشوف اليه الجميع يستدعي الناس الى القاعة ، فيفضى اليهم بما عنده ، ولا ينسين القارىء ان الجرائد والمراسلات والاتصالات انقطعت عنا منذ أول ربيع الاول ، ثم لم يغمض عنها الا أخيرا حين يوتى بها كالمماسح لزجاج النوافذ ، فنقرأها قبل المسح ، وقبل ذلك فكل ما يأتينا فمن فضل الله ومن فضل عباد الله الذين يرحمون المعتقلين فى سبيل الله ، فقد استجيبت فينا دعوة يوسف للمسجونين ، فكان كل ما يقع يصل الينا فى الحين ، وما يدريك ، فلعل الحكومة نفسها تسرب الينا سرا وان منعتنا جهرا .

لا تسل كيف كان ذلك لكن صدقن ان ما تبلغ حق

وكثيرا ما يستوعب بالترجمة الى العربية الاخ المذكور من مقالات شتى من الصحف او مما يبلغه من هنا وهناك،فيأتي باللب،فيلقيه علينا بعبارة فصيحة، يقل فيها اللحن جدا ، ولقلته يعرف ويخاطبه به حين نخرج بعض أساتذته الذين لا يستحيون ، فقد قلت له مرة أباسطه : انني أرى فيك للوزارة الخارجية ملامح ، فأنت أقدر الناس على ان تلاقى كل واحد بما تريد ان تلاقيه به ، وتلك من مزايا الوزارات الخارجية ، وانا أكبر هذا الشاب ، وأرى له مستقبلا ، وكم دعوت الله له أن لا ينقصه شيء ، والى الان لا أيأس من فضل ربي عليه ، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء .

12 الحلاقة والمعالجة

ما خصصت للحلاقة فصلا خاصا الا لكون المعتقلين أراهم لا يفرطون

المصدقـون عنـدي كالحمداوى وأحمد اليزيدى ـ انها نافعة جدا فى الدورة الدموية ، وهي مما اشتهر فى هذا العصر من الألاعيـب ، ولذلك ميأته لنـا الحكومـة ، وجعلت لها تلك القاعـة .

ومن العابهم أيضا على قلة : الكرة الكبيرة المتلقفة من يـد الى يـد ، فيجـرون من هنا وهناك جريا لا يبالون به ، فينتفعـون فى أجسامهـم انتفاعـا عظيمـا .

هذه هي اللعـب الجسديـة ، وأما الكارطـة والشطرنـج ، فهـي مـن الالعـاب الفكرية وقد كان هناك من أولعـوا بالكارطة ، خصوصا اثر مجيء قافلـة ابـن بركـة ، حتى انهم ليقضون ساعات متوالية عليها وعلى الاربر حولهـا (والاربر اصوات المقامرين) وربما سهروا من اجلها ، وتناقلوا فى البيوت مناوبـة ، وهؤلاء قليلون جدا من الاخـوان ، ثم لا يعمـدون اليهـا الا بعـد أن يقضوا واجباتهم وربمـا ادى الحال الى ما لا يحمـد ، فاجتمعـت اللجنة العليـا فمنعت لعب الكارطـة بتاتا ، فلمـا بشرنـى بعضهم بما قـرر لانه يعلـم رأيـى فى مثـل ذلـك ، قـرأت قولـه تعالـى : (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحـون ، انما يريد الشيطان أن يوقـع بينكم العـداوة والبغضـاء فى الخمـر والميسـر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهـل أنتـم منتهـون) .

وأما الشطرنج فقليل من يقبل عليه من الاخـوان ، ولا يميل اليه بعض الاوقات الا العلامة الكتانى ، وكثيـرا ما يقول لي تعالى أعلمـك كيـف تلعبـه ، فلا أزيد عـلى ان أجيبـه بابتسام ، والى الوقت الذى أفارقـه يقـول لي ذلـك مباسطـة فاقول له : ان علم الشيء على كل حال خيـر من جهلـه ، وقد ذكرت قضية ابن العربى المعافري ، ولكن لا أجد منى دواعـي تعاطيـه ، وقد أقـول : ان لذتي انا فى مطالعـة كتاب أو محادثـة

خليـل ، ورياضتـى فى المشي الكثير ، وبهذا المشي الكثير عرفـت هناك فى المعتقـل ، فان لي أوقاتا غير قليلـة لا أزال أجيء فيها واذهب لاننـي ان لم اتمـش لا تكون فى شهوة الاكـل .

تباشيـر الســراح

كانت جميع الاخبار التى تذاع أو تنشـر تصلنا او غالبها على الاقـل منـذ حـوادث العرش الى زعـازع الارهابات ، الى مقـرر لجنة الـوزارة الخارجيـة ، الى اعـلان (75) من الفرنسيين من المغرب مـا اعلنـوا ، فلذلـك نعلم ما هنالك ، فكنا نتتبـع من أفق بعيـد ، ما يتراءى به الشريط السياسي ، وقد كنا سمعنـا قبل ان يذهب الذاهب (1) الى الحمـراء ، انـه وعـد بتسريـح اناس ، وفى ذلـك الوقت شاع بأن عشرة من معتقلنـا تقـرر ان يسرحـوا ، فكنا نعدهم مـن الاطلسيين ، حيث الحالة هادئة . وفي هذا الوقت نفسـه ، زار الجنـرال ميكال معتقلنا فدخل الى وسـط الساحـة ، فاستدعـى ابن بركـة ، فحادثـه مليا وهو وان لم يفه لـه بشـيء ، ظاهر عليه أنه يريد ان يلين السير ليمكن حل عقدته بسهولـة ، وفى اليوم نفسه جاء الكاتب الكبير الذى معه في مكناس ، وتلاقـى مـع بنانى الذى كانت له به معرفـة ، فقال له فيما قال ان القضية يحاول حلها ، وان كان لا يدري كيف يمكن ان تحل ، وهنالك جريان في الدوائر حول حلها الا ان جريان الدوائـر ثقيل السير هكذا قال له ثم لما وقـع في (بريمة) (2) ، بمراكش ، ما وقـع ، عرفنا ان الحالة سيتوقف دولابها مليـا ، وقـد توقف حقيقـة ، ثم توالت حوادث ندرك منها مقـدار النبض الى أن جـاء ذكـر

---

(1) ـ هو ابـن عرفـة .
(2) ـ مسجد بريمة حيث حوول الفتك بابن عرفة .

عـــزل المقيـــم ، وسمعنا بما يـروج عن تعيين خلفـه ، فلما تعيـــن (لاكوست) استبشر الجميع ، لانهم كانوا يعرفون من نواياه قبـــل ، ثم لما نزل فى المغرب وقام امامـه من قاموا من المقاومين لحل القضيـة ، ثم سقطت الـوزارة ، ثم تعينت الوزارة الحالية ، وافكار رئيسها كذلـــك معروفـة ، لما كان كل ذلك ازداد من هناك تفـاؤلا ، ولكن لما وقع لجنرال مـراكش ما وقـع (دوتفيل) من محاولة قتله وكذلك لمـا قرئت خطبـــة المقيـم فى الاقامـة ، وقف النبض قليلا لان الميزان فـي معتقلنا حساس ، يصعـد ويهبـط بأقل حـرارة أو بـرودة ، وفى هذا الجو كله كنت انـــا مطمئنـا لا انتظر أن اكون اول من يفارق كردوس ، وان كان سؤال المراقب عنـى قريبـا سـؤالا خاصا للمحمدى يفهم منه البعض شيئا ، لكننـــى لا اعلـق علـى ذلـك اهميـة ، فاقبلت على دروسي ، وعزمت على الاستزادة فيهـــا .

لا تاتيكم الا بغتـــة

كذلـك كنت ، وعلى تلك النية اصبحت يوم الثلاثاء 27 شوال ، فقد راجعـت فراشى على خـلاف عادتى من هجر نـوم الصباح ، فقد كنت أقرأ مـن احزابـى الـى ان غلبت على عينى عند الشروق ، ثم لما قـام رفقائـى للفطـور حاولـوا مني ان أقوم ، فأحسست بثقل فى همتى اكثر مما احس بها فى جسـدى ، فلم اقم فظنونى قد ألم بي سقـم ما او غلب علي النـوم ، فصـاروا يفطرون ، وانا اقرأ صـورة النمل سرا ، وذلك عند السابعـــة ، فاذا بأحمد بن قاسم الكيكي جاء يجرى فدخل البيت بسرعة وهو يناديني : قم يا سيدى ، البشرى ، فانك مسرح ، فتثاقلت فى قيامي كأن الامـــر لا يهمنـى ، او كأنى مريض حقيقة والواقع أننى احسست بصدمة فى قلبـي صدمـة المباغتة غيـر المنتظرة ، فلم اكد أتماثل من الفراش حتى تسايل الى الاخـوان ، وجـاء العريف المحمدى ، فقال : ان المراقب ارسل لتجمـــع

متاعك الآن ، فان السيارة التي ستقلك آتية في الطريق . ثم استتم نطاق الاخوان حولي ، فأرى منهم تلاميذي تغرورق أعينهم دموعا ، كما اغرورقت أيضا عيني انا ، وما أشد هول الفراق ،وما أعظم استبدال حالة باخرى ، ثم صار مولاي الحسن ، واحمد بن الحسين ، واحمد بن قاسم يجمعون من متاعي، فخرجت أنا ، فتوضأت فصليت شكرا لله ، ثم صار الاخوان يتجاذبونني ، فكل واحد يريد مني وقتا خاصا ، لنفسه وحده ، وليس عنده في الحقيقة ما يسره لي ، الا ان القلوب المتضامة ، لا تقدر على الفراق ، ولكن ما لا بد منه ما منه بد ، وعند قرب نصف النهار ، جاءت سيارتان من سيارات مكناس ، في كل واحدة منهما شرطي بلباس مدني ، هذا وقد علمنا ان الاخ عبد السلام بن كيران اعلم كذلك ان يهيىء هو ايضا متاعه ، وقيل لنا انه أولا ارتاع خوفا من ان ينقل المسكين ثانيا الى منفى آخر،ولكن لما قيل ان فلانا سيذهب معك ارتاح ، وقد فهمت انا من السيارتين : ان الغالب أن كل واحد منا سيكون وحده في سيارة ، ولذلك احتطت فأوجدت معي جزءا من ابن خلدون للمطالعة في الطريق ، ومن احتاط فلا يندمن ابدا .

ثم اقترح على الاخوان ان أجلس معهم في جلسة اقاموها لشرب الاتاي على عادتهم في توديع كل من يودعونه او في استقبال كل من يستقبلونه ، فصار كل واحد ممن في الحواضر يوصيني بشيء ، وأكبر من وصاني الاخوان : الحمداوي والشرائبي ، لانني أقصد بلدتهما ، وأوعز الى الحمداوي ان يبرق اليه اهله بكلمة جعلناها علامة وصولي .

ثم تناولت الغداء على مائدة الكرماء الازروئيين ، وأنا لا أكاد أقدر على الاكل ، لما مازجني ، فلا اقول انه فرح ولا هو حزن ، وانما هو شيء فيه انقباض يحس به الانسان في امثال هذه المواقف ثم قلت لبعض الاخوان : منهم ولدي بركاش ادعوا الله ان يوصلني الى الاولاد بسلامة وعافية من غير أن الاقي شيئا يؤثر في ثانيا ، وقد أفضيت الى الاخ الحمداوي ببعض هواجس المت بي ، ويا عجبا للقلب ، وما يهجس فيه مما لا يدخل في نطاق العقل

ولا في اطار العاطفة .

الـــوداع

انتظرنا كثيرا بعد الغداء ، ولكن الشرط ايظاوا عنا لنومهم ، ولا ريب أنهم اسروا ليلا من مكناس ، وينووون كذلك أن يسروا ثانيا اليها ، بذلك فسرنا ايظاءهم عنا ، وقد ظهر بعد ان كل ذلك صحيح .

دقت الساعة ، فازدحم الاخوان عند الباب ، وقد حمل متاعي الى مكان المراقب ، فهناك ساركب ، فصرت أودع الاخوان واحدا واحدا ، فاوجز لئلا افتضح بينهم ، فأودعت تلاميذي واولادي واخواني في يد الله ، فبعد أن مشيت خطوات من الباب ، التفتت الى أحدهم فقلت له : أذن ، لما يؤثر من الآذان وراء المسافر فكانت الكلمة الاخيرة ، ثم تسلمني باب المعتقل الشرقي او الشمالي ، سمه كما شئت فهو بين الشرق والشمال ، فغاب عني الاخوان وغاب مختارهم عنهم ، فاللهم اجمعنا في ساعة سعيدة تحت راية الحرية .

في السيارة الى البيضاء

وجدت ابن كيران طارت به سيارته قبلي ، فلم تكن هناك الا السيارة المعدة لي ، فعرفت ان المخيلة قد صدقت ، فاستويت في مكاني بين متاعي عند الرابعة الادارية ، ففي لحظة دبت السيارة في طريقها ، فمررنا بباب البستان فازاء المسبح ، ثم انحدرنا ، ثم صعدنا في الثنية التي اعلم ان عيون الاخوان ترتكز فيها انظارهم ارتكازا ، ثم التهمتنا العقبة ، ثم خفينا عن أنظار الاخوان ، فواقلباه ، فواكبداه ، آه ، آه من الفراق ، الفراق ، الفراق .

تلك هي الثانية التي فاضت فيها المشاعر ، وثارت العواطف ، فهذا المختار وحده الآن ، ومل كان يظن أمسه أنه سينفرد هكذا الآن ، فيا لله من تقلبات الاقدار ، ومن دوران رحاها .

فبين غمضة عين وانتباهتها تقلب الدهر من حال الى حال

ثم صارت المركوبة تقعقع بي وأنا اتدحرج وراء بين متاعي ، فاتمكن جيدا ليمكن لي أن اثبت في مكاني ، ولم يستقر السير الا بعد وصولنا الى كلميمة ، حيث الطريق ممهدة ، فقد وقفوا هناك بنا ، فنزلت فأديت صلاة العصر ، وتمشيت قليلا ، ثم زدنا قدما بعد ان ترحمت على روح الشهيد الاديب محمد القري الفاسي الذي استشهد في عذاب المعتقلين هناك سنة 1937 م ، وقد نفذت بالترحم عليه وصية أخي ابي المزايا ، ذكره الله بكل خير ، فقد قال لي : كل من في المعتقل ، سيفقدون المختار ، ولاكن لا يفقد المختار حقيقة الا ابراهيم الكتاني الذي ستكتب له الوحدة بعده ، فمعدة الكتاني قلما تهضم الا أمثال المختار ، ثم لما قاربنا قصر السوق ، حصل شيء في آلة السيارة ، فوقفنا هناك حتى رجعت السيارة التي اقلت ابن كيران الينا ، فجرت سيارتنا الى ان وصلت بها الى قصر السوق ،فاذا بها لا ينقصها الا الماء، ثموقفنا ما شاء اللهعند المغربامام الاقواس التي كنا جلسنا فيها جماعتنا منذ عام ونصف حين اعتقلونا ، وقد كانت سيارة ابن كيران قرب سيارتنا ، فطلبت النزول للصلاة ، فلم يؤذن لي ، ففهمت العذر ، وما هو الا انهم لم يريدوا أن نتراءى معا ، فما الحامل لهم على ذلك ان كانوا يريدون ان يسرحونا معا ، وما الفائدة في ذلك بعد ، فعند المستقبل الجواب .

ثم استسقيت ، فاتوني بعذب حلو بعد ان اتوني بآسن حميم ، ثم خرجنا من قصر السوق ، وقد نزلت ظلمة ما بعد المغرب ، والمصابيح من المدينة تعج أضواء ، فرأيت ما بعد نظري عن ابصاره ، ثم اندفعنا الى الجبال، فلم نزل في سير مستمر ، الى ان خطفتني سنة ثم زايلتني في الوقت الذي لامس السائق برجلي فنادى ما هذا ، فاستسمحته معترفا بغلطي لنومي ، هذا وسيارة ابن كيران وراءنا نرى أضواءها ، وربما وقفت ازاءنا ان وقفنا ، ثم هكذا الى أن وصلنا ميدلت ، فهناك صليت المغربين ، وقضيت حاجة الانسان واكلت شيئا من زادي ثم قال السائق ، تهيا للنوم ، فنمنا كلنا في السيارة

كل في مقعده ، الى أن مضى نصف الليل بكثير ، فصمدنا الى مكناس ، فصليت قبل دخولها ، فوصلناها نحو الخامسة عند الشروق ، وقد كانت سيارة ابن كيران سبقتنا الى مكناس لما قاربناها ، فلم نرها منذ ذلك الحين، ثم وقفنا في مكناس ، ريثما استبدلت السيارة باخرى ، والسائق والحارس المدني بآخرين ، وقد كان السائق الاول يلين الكلام معي كثيرا في الطريق ، وقد قال انك ستصل الى البيضاء فتكون حرا طليقا ، ثم استبدلت السيارة ، فقال ان حارسا طيبا سيذهب معك الآن ، وقد صدق فان الحارس والسائق معا طيبان ، تباسطنا ما شاء الله في الطريق ، حتى احسست مني بانشراح يدفع انقباض امس ، وقد لاقينا بين تيفلت والرباط كوكبة من الشرطة على الدراجات النارية ، ثم اثرهم بما شاء الله ، سيارات جديدة امامها شرطي او اكثر ، في يده اشارة لفسح الطريق ، فراغت سيارتنا حتى مرت السيارات، ولا اراها الا سيارات المقيم وحاشيته ، وقد وجدنا بعد الحرس منبثا في جوانب الطريق ، ثم لاحت الرباط ، ثم جزنا قنطرة وادي ابي رقراق ، ثم أوقفوا السيارة في باب الاحد ، فاغتنمت الفرصة ، كانني سأشتري شيئا ، فوصلت متجر السيد محمد أخي المرابط الذي لا يزال معتقلا في اكدليم ، فتسالمنا ، فاخبرني بان أخاه توصل منه برسالة قريبا ، ثم اخذت منه حلويات للصبية تفاؤلا أن أصلهم وان أراهم يستمتعون بها امامي وقد وصلتهم الحلوا، واكلوا منها ، ولكن اين انا اذ ذاك ....

في معتقل البيضاء

انطلقت بنا السيارة الى البيضاء ، والسائق يناديني كل وقت انك الآن مسرح ، وهو شاب مرح ، وكذلك من معه شاب مرح ، ثم ذهبنا الى ان اطلت البيضاء بمداخنها ، قال السائق هذه هي البيضاء ، فقلت في نفسي اللهم اني اطلب منك خير هذه البلدة ، والحفظ من شرها ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، وهي عادة مني ، كلما أهويت الى دخول بلد ، ثم دخلنا محل الشرطة المعلوم عندي ، لما كنت

لاقيته منه عند الاعتقال ، من أشجان وانكاد ، تأثر منها القلب وان لم تتأثر بها الاجساد . ثم مثلنا مع رفيقي أمام من هناك ، فصرفوهما فأمروني بالقعود، فيكتب عني احدهم الحالة المدنية ، وكأنني أحس بحالة غير عادية احساسا باطنيا فقط ، وأنا امامه ، وقد كان لا يزال عالقا بذهنه من أنا ، ثم ناداني أحدهم ، فخرجت فوجدت معه متاعي في سيارة أخرى ، أمرت ان اركبها .

ما هذا يا رب ... ، في الوقت الذي نظن فيه النجاة نقع في موبقة اخرى، ثم ركب معي شاب ، جلس الى المقود ساكتا ، فقلت له الى أين ، فقال لا أدري . وبعد لاي جاء ضابط وفي يده ملفي ، وقد كنت رأيته في أيدي الذين جاءوا معي ، بل أعطاني منه حارسي من مكناس ونحن واقفون في الرباط في باب الاحد دراهمي ، لما قال لي أتشتري شيئا ، فقلت له : لا دراهم عندي ، ففتح غلاف الملف ، فدفعها لي بحسابها ، وذلك مما يدل على أنه ليس هناك شيء مدبر مدسوس خارج البيضاء . هذا فلما جاء ذلك الضابط وركب امر السائق ان يذهب الى مركز الحاكم العام على البيضاء ، فوقفنا ما شاء الله ننتظر ، فظهر أنه غائب ، فبعد زمان أمرني الضابط بالنزول ، وبانزال متاعي فأعانني عون مسلم على انزاله ، وعلى ادخاله الى اسطوان دار القيادة ، وهو اسطوان انيق بأساطين رقيقة مرتفعة ، فاذا بشاب التهمته عيني ، فاذا به يعرفني فأعانني في متاعي بعدما أحفى في السؤال والفرح بلقائي ، فافضى الي وأفضيت اليه ، فكان مما ألقى الي : ان ايرو مدير جريدة (لافيجي) قد قتل الآن ، وذلك في نحو التاسعة ونصف في الوقت الذي أدخل فيه الى البيضاء ، قال ولذلك ترى هذه الدوائر مختلفة ، والحاكم نفسه قد غاب في هذه الحادثة ، لانها عندهم حادثة عظيمة جدا ، وقد أدركت الآن تعليل ما كان خافيا عني ، فذلك التبلبل الذي أحسست اثره في دار الشرطة ، وكذلك مغيب الحاكم العام عن محله ، وكذلك مجيئهم بي تترا من غير أمر سابق ، وكذلك انتظار من جاء بي ما شاء الله ، حتى مل فتركني لانسان ذكر لي أننا في انتظار الحاكم الكبير ، وها أنذا الآن لا أحس بحارس معي ، هذا كله

فهمت منه انه كنتيجة لذلك الفتك المفاجىء فلم أستبعد حينئذ تريثا في قضيتي ، لانني أعرف كيف الفرنسيون في أمثال هذه المواقف . هذا وقد كان متاعي في الممر ، اذا بالاعوان ادخلوه الى بيت فقالوا انهم أمروا بادخاله لئلا يبقى تحت الانظار ، ثم بعد وقت غير طويل ، جاء من امرني ايضا بنقل المتاع الى الخارج في انتظار سيارة ، فصح عندي ما حبس فلم ادر الى اين أذهب من جديد ، فجاءت سيارة جيب فركبتها بمتاعي ، وأمام الباب ذلك الشاب الذي أفضى الي وافضيت اليه ، وقد كنت قلت له : لا تبعد حتى تعرف الى اين انا صائر ، ولعله تبع بسيارته سيارتنا التي ذهبت بنا قريبا الى مركز ايالة الشاوية ، فأبلغ عني الناس بالبيضاء ، فلما وصلنا مركز الشاوية نزلت، فلاقاني جاويشها ، وهو شريف مسلم مؤمن : رجل حسن الوجه ، لطيف اللبسة ، منبسط الجبين ، فجلست أمامه حيث أمرني فوق متكأ أنيق وثير أمام باب مكتب المراقب ، ثم خرج المراقب ، فأمره ان يدخلني بيتا ، وان يعطيني فراشا افترشه وان يعطيني خبزا وماء . فقلت له : انني قاطن هنا ، وأولادي يأتونني بالمؤونة فقال للجاويش : ان اتوك بالمؤونة فاقبضها منهم، فهكذا كانت حالتي عند الثانية عشرة من يوم الاربعاء ، في الوقت الذي سيظن اخواني في المعتقل ، انني مسرح ، ولم يدروا أنني انما انتقلت من معتقل الى معتقل . لا انني سريت من حرم الى حرم ـ كما يقول الاديب ـ ولكن مع كل هذا لم يغلب علي الحزن ولا استولى على الاسى ، لانني أعرف أن هذا السبب الذي به وقع لي ما وقع سبب عارض ، وأنهم لولا رغبتهم في اطلاقي لما استوردوني من معتقلي ، والقضية كلها تسير في مصلحتنا ، والصبر الجميل لا بد منه على كل حال ، ولعل الفرج أقرب مما يظن .

ثم توالت الايام بالفرج ، فقد دخل علي الجاويش فقال : انني ابشرك سرا عن اذن المراقب بأنك ستطلق بعد يومين ، ودع هذا في صدرك ، وما سبب توقيفك الا الفتك ببعضهم ، ثم ذاكرته في أنني أريد الاتاي وبعض الامور ، فقال ليس في يدي الآن ما أصنع فاصبر ، فكل ما أقدر عليه سأجعله معك ، ثم أعلمته من هو أنا ، وكأنما كان يسمع بي ، او ذهب فسأل عني،

وكيفما كان رجع الى مكبرا مجلا ، فقال عرفت عنك كل شيء ، ولا ريب ان ذلك هو السبب حتى قال لصاحبه المراقب ما حمل المراقب على أن اذن لـه أن يفسح عني وان ازار فأتيت بزجاجة كهربائية ، فبت خير مبيت ، فبقيت يوم الخميس ولا ماكول الا ما معي ، وقد كان معي خير كثير من كردوس ، ثم أتاني الجاويش بنصف خبزة فيها كفتة ، ولكن ولدي وأحد اصحابنا وصلاني يوم الجمعة بكل المؤن ولاقوني ، وقد ذكروا ان خبري كان عندهم يوم الاربعاء بعد الغداء ، ثم بلغهم أنني هنا ، ولا أكاد أشك بأن المبلغ هو ذلك الشاب ، وهل الخير الا في الشباب ، وقد ذكر لي ان اسمه الحلو ، وما أحلى الاخلاص من كل من اسمه الحلو ، ثم بعد ذلك اتاني أولادي الاربعة ، ثم توارد علي اخوان كثيرون ممن يعرفون الجاويش ، وقد كان يطمعهم في اطلاقي يوم السبت ، فاذا بالمقيم يسافر الى باريس ، فذكر ان الاطلاق منوط برجوع المقيم من باريس ، ثم انني جعلت لي شغلا شاغلا ملأت به الاسبوع حتى لم اعرف كيف مر ، ومن جملة الاعمال كتابة هذه المذكرات التي أصل فيها هذا المحل ، والوقت السادسة الادارية والربع من عشية الاربعاء (6) قعدة ، وأنا الآن أنشط ما كنت ، فأمامي كتبي واولادي اراهم ، وفي هذا الوقت خرج عندي اولادي الاربعة ، وكذلك كل أودائي وأقاربي هنا رايتهم ، وقد اذن لي أن القى من جاء بمحضر الجاويش ، ولكن يخرج فيتركنا ، فلم يبق الا تلك المسكينة ربة المثوى، وهي التي لا يعلم الا الله كيف هي ، لانها ان صبرت فيما مضى ، فحالتها الآن تنشد :

وأعظم ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

هذا وقد علمت الآن أن عبد السلام بن كيران (1) وصل الى أهله ، فكيف

---

(1) ثم علمت أنه اطلق من مكناس .

سرحوه وتركوني ، وهل هناك فرق الله أعلم ، وسيأتيك بالاخبار من لم تزود وانشد الآن :

سلـــم الأمـــر تجدنـــا نحـــن اولـــى بك منكـــا
لا تدبـــر لـــك أمـــرا فاولـــوا التدبيـــر ملكـــى

الفـــرج التـــام اخيـــرا

مضى يـوم الاربعاء المتقدم فيـوم الخميس ، والقلب مطمئـن والصدر منشرح والاهل والاحباء يتصلون بي ، ويأتونني بما أريد ، وقد سربـت بعض الاثقال التي معي معهم تخفيفا ، وفي عشية الجمعة بعد العصر استدعاني المراقب على الشاوية الذي انا في مركزه ، فافضى الي بانني مسرح صباح الغد ، واذن لي ان اعلم اهلي ، ثم حادثني في كل ما يغلي به القطر ، فتجاهلت معرفة اي شيء بحجة انني جئت محروسا ثم بقيت هنا كذلك ، مع كوننا هنا في المعتقل لا صحف ولا اتصال ، فكيف اعرف أي حادثة ، فافضى الـي بالغليان الواقع فيه المغرب الآن ، قائلا انك وأمثالك من الاماثل يجب عليكم ان تفهموا الناس حتى تبرد دماؤهم ، او كلما غضب انسان على آخر يفتك به او يحرق مزروعاته ، او يحول بينه وبين حريته ، فيمنعه مثلا التدخين ، أو يلزمه ما لا يريد كالزام النساء لباس الاردية عوض الجلابيب ، قال وان كان النساء لم يؤثر فيهن ذلك ، ثم زاد قائلا : او كل هذا ينبغي ان يكون، مع اننا نحن الحكام ابوابنا مفتوحة ، وها أنذا اقتبل كل من طرق علي بابي كائنا من كان وكثيرا ما اترك للناس الحرية في الانتقاد لاعمالي ، فلا نـزال متحاورين حتى ارجع اليهم او يرجعوا الي ، وها أنتذا منذ الآن ـ وقد تعارفنا ـ أصل بك الاسباب فكل ما تعرض لك في ايالتي فجيء الي ، وهكذا تركته يقول ما يريد باسهاب ولا اريد ان ادخل معه في اية مناقشة ، الا انني قلت لـــه ، لو كان كل اخوانك يفتحون ابوابهم مثلك ، او يقبلون الانتقاد ، او يعيرون السمع للناصحين من الاهالي ، لما وصلت القضية الى ما تقول ، وها انذا الآن

اعلن لك أنني نفيت منذ عام ونصف ولا ادري الى الآن ما هو السبب الحقيقي في نفيي ، فان لم يكن الا فكري الخاص ، أفذلك من العدالة ، وانا اشعر بأنني مظلوم ويشعر مثل شعوري آلاف من أمثالي ، فبأي وصلة تتصل بعد القلوب ، فقال ـ ليقطع المناقشة ـ ان ما مضى فات ونحن ابناء المستقبل . فقلت له حقيقة نحن ابناء المستقبل ، قلت ذلك وانا أنوي ما انوي ، ثم شيعني فخرجت ، وفي الصباح ودعني ، ثم ارسل معي جاويشه الى (الكوميسارية) حيث بقيت نحو ساعة ونصف ، ريثما استتموا محررات ، لا ادري ما هي ، فوقعت عليها كطلب منهم ولم اسأل عن كنهها ، لانني لا أريد ان اثير شيئا آخر من جديد ، ويغلب علي ظني انها مقررات السراح من النفي ، كما وقع قبل اليوم على مقرارات النفي .

وفي نحو الحادية عشرة ، من السبت التاسع من ذي القعدة استرجعت حريتي ، فأقبلت مع الاخ عبد الرحمن ومع أولادي الى دارنا في سيارة .

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

آئبون ، تائبون ، لربنا حامدون ، فالحمد لله الذي هزم الاحزاب وحده وجعل من الفراق التلاق .

كان لم يكن بين ولم تك فرقة اذا كان من بعد الفراق تلاقى

انتهى

محمد المختار السوسي

خرائط للمعتقلين
الجديد والقديم
بيد المؤلف

فهرس الكتاب

مقدمة 5

القسم الاول : التينجداديات

- كيف اعتقلت الى الصحراء 9
- اعمالي الخاصة قبل حوادث الاعتقال 9
- الانتقال الى البيضاء ثم الاعتقال 12
- في الدراسة بالبيضاء 16
- استدعاءات من الاستعلامات 16
- الغيوم تتكاثف 19
- يوم فرحات حشاد الحاصد 20
- المختار يعتقل بدوره 21
- الى تافيلالت 24
- الى تينجداد 27
- رئيس مركز تينجداد 28
- الأيام الاولى 29
- كلمة امام القوافي في تينجداد 31
- تحية تينجداد ، قصيدة مطلعها :

(تنجداد اني اليوم ضيفك هل ارى) 32

- أ ارضى لديني ذلة ، قصيدة مطلعها :

(تنجداد اني عبد ربك فاشهدي) 33

- طيب الوحدة،قطعة مطلعها : **(في وحدة المرء اشتات الملذات)** 34

- الشيخوخة ، قصيدة مطلعها : **(دار الزمان فجاءت الشيخوخة)** 35
- زفرة على نزع كتب ، قصيدة مطلعها :
(عني فما في مـن صبر ولا جلد) 37
- فرحة برجوع الكتب ، قصيدة مطلعها : .....
(يا فرحتا ان هـذا منتهى أملي) 39
- شكرا لله من أعماق الفؤاد ، قطعة مطلعها :
(شكرا من أعماق الفؤاد المسلم) 41
- يا له من فطور ، قطعة مطلعها **(هكذا هكذا يكون الفطور)** 42
- متابا ربي متابا ، قصيدة مطلعها : **(متابا من الاجرام رب متابا)** .. 42
- الى م اعتساف في الضلالة ، قصيدة مطلعها :
(الى م اعتساف في الظلالة والعمى) 43
- واحسرتاه ، قصيدة مطلعها : **(واحسرتاه غرقت في الاثم)** 45
- أتوبة دائمة ، قصيدة مطلعها : **(على غرر ان لم تداركه باللطف)** 46
- ختمة القرآن حفظا ، قصيدة مطلعها : **(الحمد لله هذي منية العمر)** .. 47
- حسرة على فوات قيام ليلة القدر ، قصيدة مطلعها :
(أقمتها أم شخرت بين من ناموا) 49
- زعزعة بزيارة الاخ والولد ، قصيدة مطلعها :
(يا وقفة ظلت فيهـا اليوم حيرانا) 50
- الحنيـن الـى افـلاذ الكبـد :
- الولد عبد العزيز ، قطعة مطلعها : **(تذكرني عبد العزيز الغزيلا)** 52
- البنية عائشة ، قطعة مطلعها : **(عائشة الحلوة يا فلذتي)** 53
- البنية مريم ، قطعة مطلعها : **(مريم يا بسمة الحياة ويا)** 54
- زعـــزعـــة 55
- يوم أيوم ، قصيدة مطلعها : **(أفي الباب ام فـي العين دقات مسمار)** 56

- فـرج جديـد 58
- هكذا أحرزت كل المنى ، قصيدة مطلعها : **(أزيد من أربع ساعات)** .. 59
- الجرائـــد ونفـــي الملـــك 60
- الجود والبخل ، قطعة مطلعها : **(أجود هنا وأبخل وفق ما قد)** 63
- خيس العهود ، قطعة مطلعها : **(بعض الألـى نتولى)** 64
- بقدر كبر النفس تعلو الهمة ،قطعة مطلعها: **(عاطفة النفس اذا لم تصن)** 65
- الناس في نظر ابن عباس ، عقد كلامه في ذلك 66
- عقد كلام ابن عطاء الله : **(ان لم يكن ما تريد فأرد ما يكون)** 67
- عقـــد حديـــث شريـــف 67
- التوبة الحق وشروطها فـي نظر علي بن ابـي طالب ، عقد ذلك في رجزية ، مطلعها : **(قال علي وعلي ان يقل)** 67

القسم الثاني : الكردوسيات

- المقدمـــة 71
- رجز مطلعة : **(تلك البداية متى النهاية)** 71
- الكومندار يبوء بالفشل من طرف المعتقلين 73
- قصيدة مطلعها : **(بالحق صاولت لا بالبيض والأسل)** 75
- عرشنا من القلوب لا من الاعواد ، قصيدة مطلعها : **(بشرى قد انتظم الياقوت في الجيد)** 79
- الاجهاز على خائن مجروح : قصيدة مطلعها : **(نودوا قلبوا صـارخ النداء)** 88
- أفيرانا تركت أم البنينا ، قصيدة مطلعها : **(أفيرانا تركت ام البنينا)** 90
- واوحدتاه ، قطعة مطلعها : **(واوحدتاه أدور منفردا)** 91
- المنع من الأذان وصلاة الجماعة ، قصيدة مطلعها : **(أهكذا صارت النعمى الى بوسى)** 92

- رفع الحضر عن الصلاة جماعة ، قصيدة مطلعها :
(أمس صدوا عن الصلاة جماعة) 94
- لا ناقوس ولا أذان ، قصيدة مطلعها : **(أجريالا نحرم والدنانا؟)** .. 95
- مع الاستاذ العلامة سيدي محمد الفاسي 96
- عقد مثل باقتراحه مطلعة : **(رويدا فقد بالغت حتى تجاوزت)** 96
- الخ فاس الجنوب أو فاس الخ الشمال ، قطعة مطلعها :
(حمدا وشكرا فالعيش عيش) 97
- وعد مخلف ، قطعة مطلعها : **(يا أيها الأستاذ يا من له)** 97
- احتجاج سوس على الاطلس : قطعة مطلعها :
(الاحاكمون على من يسى) 98
- مجلس الاستاذ الفاسي ، قطعة مطلعها **(خير ما زرت مجلس الاستاذ)** 98
- سوس تطالب بحقها ، قطعة مطلعها :
(متى ننثني أيضا الى ذلك البحث) 99
- أبو المحاسن ، قطعة مطلعها : **(يا كارعا من زاخر)** 99
- تبكير الاستاذ ، قطعة مطلعها : **(يا عجبا قد بكر الفاسي)** 100
- المعية الاستاذ ، قطعة مطلعها : **(لله من أنجبت يا فاس)** 100
- مع الاستاذ سيدي الحاج أحمد بناني الفاسي ، قطعة مطلعها :
(كاسك تشتاق لرؤياك) 101
- الثلج على الجبال ، قطعة مطلعها : **(أخرج تر الاجبل الشماء توجها)** 102
- كرم الفاسيين ، قطعة مطلعها : **(حييتم فانتسم أنتم)** 102
- مع الاستاذ المحمدي ، اعتذار بقطعة أولها :
(سمعت واعظم بأذي سمعت أذني) 103
- مالك لا تجلس متكئا ، قطعة مطلعها :
(يا أيها الممتد في فرشه) 104

- اعمل لدنياك ... ولآخرتك كانك ... ، قصيدة مطلعها :

(يا مزيبكر للرياضة) 104

- مع الاستاذ علي بركاش 105

- رجاء شفاء ، قطعة مطلعها : (شفاء شقيق الروح من كل ماعرا) 105

- تحكيم في مطبوخ ، قصيدة مطلعها : (أمهدي اطهى للجلبان أم علي) 105

- آل بركاش ، قصيدة مطلعها : (أخلاقك أم حلواء اهديت يا علي) .. 107

- مع الاستاذ محمد الحلو ، قطعة مطلعها : (شفاء وشيكا يا بني محققا) 109

- قطعة أخرى مطلعها : (الحمد لله قد عوفيت عن كثب) 109

- مع الاستاذ عبد الهادي الحلو ، قصيدة مطلعها :

(من مصقع يهتز منه النادي) 109

- قطعة أخرى مطلعها : (حاجيتكم من كلامه خطب) 110

- مع الاخ أحمد بن قاسم الفكيكي،قطعة مطلعها: (اليوم يوم الاربعا) 110

- أخرى مطلعها : (في كل مصطبح صبيحة نائم) 111

- أخرى مطلعها : (يا أحمد يا من حمدت خلاله) 111

- أخرى مطلعها : (كناش أحمد من خير الكنانيش) 112

- أخرى مطلعها : (ان يوم الخميس يوم سرور) 112

- أخرى مطلعها : (بعادا عن أذني وملحظ عيني) 112

- أخرى مطلعها : (الى بنيي وقرة عيني) 113

- مع الاخ أحمد بن علال ، قطعة مطلعها : (خط يجاد اذا تفرنس لفظه) 114

- أخرى مطلعها : (أراك ابن علال شغولا لكل من) 114

- مع الاحمدين ابن قاسم وابن علال قطعة مطلعها :

(اليوم يوم الخميس) 115

- قطعة أخرى مطلعها : (تجارى في النعاس الاحمدان) 115

- مع الاخ أحمد بن الحسين ، قطعة مطلعها : (أيها الضارب للدف) .. 116

- قطعة أخرى مطلعها : (يا ابن الحسين النؤوما) 117

ـ قصيدة أخرى مطلعها : **(سرعان ما عوفيت يا أحمد)** 117
ـ نتيجة امتحان لاخوان 118
ـ مع مولاي الحسن قطعة مطلعها : **(لله در الحسن اللبق)** 119
ـ مع أحمد بن علال ، قطعة مطلعها : **(كدت تطير يا ابن علال)** 119
ـ مع أحمد بن بلقسام ، قطعة مطلعها : **(أحمد قد كبا به جواده)** 120
ـ مع الاخ عمور المكناسي ، قطعة مطلعها : **(لله در أبيك يا عمور)** .. 120
ـ مع عبد الهادي الحلو ، قطعة مطلعها : **(كاد الخطيب بما أجاب يفوق)** 120
ـ مع الشجاع أحمد اليزيدي ، قطعة مطلعها :
(لقد ذقت ما قد ذقت بين المهارق) 121
ـ مع أحمد بن الحسين ، قطعة مطلعها :
(تسام الى العلا يا ابن الحسين) 121
ـ مع محمد برو ، قطعة مطلعها : **(أن الفتى محمدا برو)** 122
ـ أخرى مطلعها : **(ان برو قد لاحظته السعود)** 122
ـ مع سعيد بن الحسين ، قطعة مطلعها : **(ان سعيدا خير من فاقا)** .. 123
ـ اخرى مطلعها : **(يا سعيد القداح هل أنت صاح)** 124
ـ أخرى مطلعها : **(نعود سعيدا والعيادة واجبة)** 124
ـ مع سيدي ميمون ، قطعة مطلعها : **(شاوروه فانه ميمون)** 125
ـ مع ابن عنان قطعة مطلعها : **(من أين موزجت بالايثار والكرم)** 125
ـ مع المعطي الازرويي ، قطعة مطلعها :
(لو فات درس لقلنا قد عرا شغل) 126
ـ مع مولاي الحسن الايدزري ، قطعة مطلعها :
(من لم يذق شايك يا حسن) 126
ـ مع مولاي الحسن ومصطفى المشرفى ، قطعة مطلعها :
(تسمى باسفناذ كثيرون ما دروا) 127
ـ مع بني ازرو الكرام ، قطعة مطلعها :
(تطوف فلا تلقى مزارا كانما) 127

- مع الاخ المكي بادو ، قصيدة مطلعها : **(أمكية تطهو الحريرة أم مكي)** 128
- مع ابن سالم ، قطعة مطلعها : **(لله درك يا ابن سالم الذي)** 129
- قطعة أخرى مطلعها : **(حقت لنا حقت لنا كل البشر)** 130
- مع الاخ مصطفى المشرفي ، قطعة مطلعها :

(يا مصطفى هـل انت في سعة) 130

- مع سيدي محمد بن عبد القادر ، تعزية بقطعة مطلعها :

(عزاء وان الظى المصاب وان وقذ) 130

- مع ابن عزو ، قصيدة الاضالع ، مطلعها :

(أفي كل يوم حظنا من أضالع) 131

- مع ابن عزو والشرائبي ، قصيدة مطلعها :

(ببختك ما تعطـاه بين الاصاحب) 132

- مع جماعة فارقت مجلسا ، قطعة مطلعها :

(يا لهف نفسي على اخوة) 133

- مع طهماز ومهماه القيمين ، قصيدة مطلعها **(غاب مهماه ذلك الجماز)** .. 134
- مع طهماز قصيدة مطلعها : **(انتدبآت الغيب من طهماز)** 136
- تحية رمضان ، قطعة مطلعها : **(رمضان جاء هلم يا مختار)** 136
- وصف خوان مستطيل ، قطعة مطلعها : **(وخوان قد استجد طويل)** 137
- بناء بنهار ، قطعة مطلعها : **(قالو تداعى سريعا كل ما سمكوا)** 137
- لعب الكارطة : قصيدة مطلعها : **(عذولك من يشتط حقا ومن اخطا)** .. 138
- تهكم بمدخن ، قصيدة مطلعها : **(يا من يدخن مرة)** 139
- ضياع مذبة ، قطعة مطلعها : **(يا من رأى مذبة)** 140
- أخرى فيها لما وجدت مطلعها : **(يا رب غفرانا فقد)** 140
- حول ريح المانية ، قطعة مطلعها : **(كيف يرتد للحياة الريح)** 141
- عقد كلام في انواع الناس في قطعة مطلعها :

(أنواع من تعيـش فيهم اربعة) 141

- ان لم تكن جندلا فكن صباءة ، قطعة مطلعها :
(كن كيفما كنت وشارك فما) 142
- العاقل والجاهل ، قطعة مطلعها : (أي فضل لعاقل قابل الجاهل) 142
- الصداقة ، قطعة مطلعها : (من يكن جاهلا مقام الصداقات) 142
- المصاحبة ترجمة الانسان ، قطعة مطلعها :
(لا لا تلمه - وقد اجللت - ان شمخا) 142
- عادة أوربية تفشت فينا ، قطعة مطلعها : (بقلب الشفاء وهز الكتف 143
- لحية كثة ، قطعة مطلعها : (يا لك من ذى لحية لم يشب) 144
- وصف المعتقل ، قطعة مطلعها : (أمعتقل يا قوم أم جنة الخلد) 144
- ظاهر وباطن من انسان ، قطعة مطلعها : (أباطنه حقا يخالفه العلن) 145
- نصيحة في السر ، قصيدة مطلعها : (بني كردوس يا اخوان فكري) 145
- أخرى مطلعها : (مسامحة ان الاخاء التسامح) 147
- الاتصال بالاخبار ، قطعة مطلعها : (أسقناها وهاجة في الكاس) .. 148
- محاولة الفتك بعرفة ، قطعة مطلعها : (ليتها فيه فتكة البراض) .. 149
- محاولة الفتك بدوتفيل ، قطعة مطلعها : (وافرحتا قرطس دتفيل) 150
- وداع المعتقل ، قصيدة مطلعها : (عن فجأة هب عن تسريحه ريح) 150
- تحية الاولاد الصغار ، قصيدة مطلعها : (الحمد لله هذا الاهل والولد) 154
- السراح التام 156

مذكرات عن المعتقل :

- المقدمة 159
- من تينجداد الى أغبالو نكردوس 159
- موقع اغبالو نكردوس وجغرافيته 163
- ما هي البناية الجديدة 169
- حشدنا يتكاثر بواردين جدد 171
- الجماعات المتساكنة 172

- جمهوريـــة بـــرو 173
- جمهوريـــة عـــلي بركـــاش 173
- جمهوريـــة المكـــي بـــدو 174
- جمهوريـــة سيـــدي ميمـــون 174
- جمهـوريـــة البقالـــي 175
- جمهوريـــة امـــل ازرو 175
- جمهوريـــة الشـرفـــاء 176
- جمهوريـــة عمـــور 177
- جمهوريـــة ابـــن بركـــة 177
- جمهوريـــة العلمـــي 178
- جمهوريـــة عمـر بـن الشمســـي 178
- سيـرة المعتقـــل العامـة 179
- العراقـــة 179
- المنتخبـــون 182
- شعائـــر الديـــن 185
- سلك القرآن واللطيـف والدعوات المتلوة 188
- المـــؤن وتوزيعهـــا 189
- المشتريـــات 192
- الدراســـات 194
- المحاضـــرات 203
- المطالعـــات 207
- السهـــرات 209
- مجتمعـات سمـــاع الاخبـــار 211
- الحلاقـــة والمعـالجـــة 211
- الألعـــاب 212
- تباشيـــر الســـراح 215

ـ لا تأتيكـــم الا بغتـــة 216
ـ الـــــوداع 218
ـ في السيـــارة الى البيضـــاء 218
ـ في معتقـــل بالبيضـــاء 220
ـ الفـــرج التـــام أخيـــرا 224
ـ خرائـــط للمعتقـــل بيـــد المؤلـــف 227
ـ فهـــــرس الكـتـــاب 235
ـ الاخطـــاء المطبعيـــة 245
ـ لائحـــة لمؤلفـــات المرحـــوم 248

الاخطاء المطبعية

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
5	9	نكرودس	نكردوس
11	8	مستاوقة	متساوقة
20	1	مي	في
22	20	بعتبع	بمتتبع
24	6	اللدان	اللذان
29	20	من	عن
32	3	منميا	منفيا
36	16	مهلهة	مهلهلة
37	13	المنجذ	المنجد
38	12	حد	خذ
39	10	فيكون	أفيكون
40	6	(الكشف)	(الكشاف)
40	13	الحصر	الخصر
41	15	المنتدم	المتندم
43	19	ـ اعتساف الضلالة	... اعتساف في الضلالة
44	15	نرضى	ترضى
45	3	انقدني	انقذني
45	18	سكن	يكن
46	17	في المنفى له ...	...في المنفى يوصله
47	15	حرمت	جرمت
49	16	بغبرك	بغيرك